القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة الثانية والثلاثون العدد 9893 الأحد 3 آيار (مايو) 2020 – 10 رمضان 1441 هـ
Volume 32 - Issue 9893 Sunday 3 May 2020

حوار: الأكاديمي اللبناني أنطوان حداد

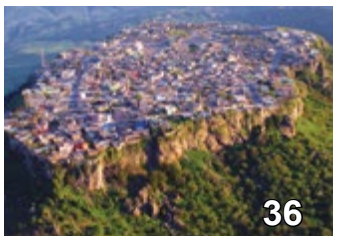

العمادية العراقية: عاصمة إمارات الكرد

انتقال مبابي إلى مدريد: مسألة وقت؟

الأردن: إغلاق المساجد ملف نقاش حار 06
ألمانيا تحاكم ضابطين سوريين بجرائم حرب 28
رمضان السودان: بين الابري والحلو المر 42

جنوب اليمن: مجلس انفصالي ورئاسة تابعة

أقدم ما يُسمى بـ«المجلس الانتقالي الجنوبي» في اليمن على خطوة انفصالية جديدة تمثلت في إعلان الحكم الذاتي، في انتهاك صريح لاتفاق الرياض الذي رعته السعودية في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، مما وضع المملكة في حرج واضح، خاصة إزاء صمت الإمارات الداعم الأكبر للمجلس الانفصالي، فاضطرّ «تحالف دعم الشرعية» إلى إصدار بيان يؤكد على ضرورة عودة الأوضاع إلى ما كانت عليه سابقاً وإلغاء أي خطوة تخالف اتفاق الرياض. وإذا كانت هذه الحال تفضح مقدار تصدّع التحالف السعودي ـ الإماراتي وتفكك مجمل استراتيجيات التدخل العسكري في اليمن، فإنها من جانب آخر تكشف تعقيدات المشهد في الجنوب وعجز حكومة عبد ربه منصور هادي في ظل استمرار تبعيتها للخارج.

(حدث الأسبوع 8ــ15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

معبر مزناز – معرة النعسان حاجة جميع الأطراف عدا المهجرين السوريين

سوريون في إدلب يتظاهرون ضد فتح المعبر

تفعيل معبر مع النظام مرتبط برغبة تركيا لتنشيط صادراتها والاستفادة من بضائع الترانزيت التي تستورد من إيران أو الصين عبر شبكات تجارية تشغل أموال الهيئة والفرقة الرابعة.

منهل باريش

سقط قتيل مدني أثناء اعتراض شعبي واسع ضد فتح هيئة تحرير الشام لمعبر تجاري بين مناطق سيطرة النظام ومناطق سيطرة المعارضة، بين منطقة مزناز ومعرة النعسان في ريف حلب الغربي. وأطلق عناصر في الجناح الأمني لتحرير الشام النار على المتظاهرين الرافضين لفتح المعبر الذي شرعت هيئة تحرير الشام بافتتاحه.

وتداول نشطاء شريطا مصورا لعناصر الهيئة يقومون بدهس المتظاهرين، ومن ثم بدأ إطلاق نار لتفريق المتظاهرين. وقتل المدني صالح مرعي من أهالي بلدة معرة النعسان إثر إطلاق النار عليه وعلى آخرين، بعد عملية الدهس وسقط عدد من الجرحى.

وتعرفت «القدس العربي» على القائد الأمني الذي قام بعملية الدهس وأمر بإطلاق النار على المتظاهرين. والملقب «أبو محمد مهام» واسمه ضياء الدين عمر حسموس وهو من مدينة بنش القريبة، وكان مساعدا في جيش النظام انشق عنه نهاية 2011.

وقال ناشط من معرة النعسان: «استقدمت تحرير الشام تركس لإزالة السواتر الترابية التي وضعها الجيش التركي قبل يوم، لإغلاق الطريق إلى المعبر المزمع افتتاحه». على تداعيات ذلك، توجه وفد من وجهاء البلدة، ضم أربعة أشخاص بينهم الناشط القتيل صالح مرعي، نقلوا مطالب المحتجين إلى حسموس المتواجد شرق البلدة بالقرب من مزناز حيث تنصب الهيئة حاجزا لها. وأعرب الوفد عن رفض الأهالي لفتح معبر مع النظام لعدة أسباب أهمها أن افتتاح المعبر يعني اعترافا بالسيطرة الجديدة، في حين يترقب المهجرون عودتهم إلى بلداتهم وانسحاب النظام إلى حدود نقاط المراقبة التركية. ما أغضب المسؤول الأمني وهدد الوجهاء أن المعبر سيفتح مهما فعلوا وان استطاعوا الاعتراض فليعترضوا.

وعقب تطور الأوضاع في معرة، تظاهر أهالي مدينة إدلب احتجاجا على تفريق المظاهر بقوة السلاح، وتجمع عشرات الشبان يهتفون ضد تسلط هيئة تحرير الشام وزعيمها أبي محمد الجولاني. وتوسعت التظاهرات لتشمل كفر تخاريم غربي إدلب، احتجاجا على مقتل مرعي.

وحاولت تحرير الشام فرض فتح المعبر وجعله أمرا واقعا، عندما أدخلت عدة شاحنات بعد مقتل المتظاهر، وأدخلت أربع شاحنات من مناطق سيطرة النظام إلى مناطق سيطرة المعارضة، رافقتها تعزيزات أمنية كبيرة للجناح الأمني في الهيئة.

ودعا ناشطة إلى التظاهر في اليوم التالي لمقتل الناشط المدني تحت اسم جمعة «كلنا الشهيد صالح مرعي» وخرجت مظاهرات في إدلب وتفتناز وبنش ومعرة النعسان وكللي وكفر تخاريم ودارة عزة وحربنوش والأتارب.

ورفض أهالي معرة النعسان تشييع المتظاهر القتيل يوم الخميس، إلى يوم الجمعة من أجل إقامة تشييع لائق وكبير وإعطاء الفرصة لأبناء القرى والبلدات القريبة من أجل المشاركة. وبالفعل، تم التشييع وسط غضب شعبي كبير دفع بعض وجهاء البلدة إلى التبرؤ من أبنائهم المنتسبين إلى تحرير الشام في حال بقائهم فيها.

وانطلقت المظاهرة من وسط معرة النعسان إلى النقطة التركية غرب البلدة، وسلم نشطاء البلدة رسالة إلى الضابط التركي المسؤول، أعربوا فيها عن استنكارهم لفتح المعبر، وطالبوا الجيش التركي بالتدخل والضغط على تحرير الشام لإغلاق المعبر.

والجدير بالذكر أن الناشط القتيل هو معتقل سابق لدى النظام السوري، اعتقل لدى المخابرات الجوية في عام 2012 ولديه ابن قتل في المعارك ضد النظام في سجن حلب المركزي عام 2014 واثنان من أبنائه في جيش الأحرار أحد فصائل «الجبهة الوطنية للتحرير».

وقبل أسبوعين، اعتبر النازحون بسبب هجوم قوات النظام أن فتح معبر مع النظام في سراقب يعني إقرارا بعدم عودتهم إلى قراهم التي هجروا منها، وقبولا بخطوط التماس التي أقرها اتفاق موسكو في 5 آذار (مارس). ومع تفاقم أزمة النظام الاقتصادية، يرون أن المعبر سيخفف عنه بسبب تأمين الدولار له، واغراق سوقه بمواد غير متوفرة. كما يتخوف السوريون في الشمال من نقل فيروس كورونا إلى مناطقهم عبر البضائع وسائقي الشاحنات، وينتقدون فكرة تعقيم البضائع ويصفونها بأنها غير كافية ويتهمون النظام باختراع أساليب لنقل الفيروس وإلحاق الأذى بهم.

وتصر تحرير الشام على أن غاية المعبر هو تصدير الفائض الإنتاجي في الشمال إلى مناطق النظام، وأشار المسؤول في الإدارة العامة للمعابر، سعيد الأحمد، في تصريح لوكالة «إباء» التابعة للهيئة أن «المناطق المحررة تستورد بضائع من مناطق النظام بنسبة 5 في المئة مقابل 95 في المئة من تركيا». وهو امر يجافي الحقيقة تماما، فالمعارضة خسرت نصف الأراضي المزروعة بالعمليات العسكرية خلال عام. ولم يعد لديها إنتاج يكفي ثلاثة ملايين مدني في إدلب. كما أن المنطقة مفتوحة باتجاه الشمال السوري في عفرين وشمال حلب، ويمكن نقل فائض السلع والإنتاج إليها.

وعلقت تحرير الشام قضية فتح المعبر على أثر الغضب الشعبي الكبير ضدها، وحملة الانتقاد التي ركزت على قائد الهيئة ونالت منه. ويدرك المدنيون في الشمال السوري أن قرار تعليق فتح المعبر هو محاولة لامتصاص الغضب الحالي، في حين أن القرار الاستراتيجي هو فتح المعابر. فتفعيل معبر مع النظام مرتبط برغبة تركية لا يمكن إغفالها في تنشيط الصادرات التركية والاستفادة المالية من بضائع الترانزيت التي تستورد من إيران أو الصين إلى إدلب ومنها إلى مناطق سيطرة النظام عبر شبكات تجارية تشغل أموال الهيئة وأموال الفرقة الرابعة.

ويقع معبر مزناز في مكان متوسط جغرافيا، فهو قريب على باب الهوى ويمكن أن تسلك الشاحنات طريقا سهلا إلى حلب عبر كفر حلب والشيخ علي، فأورم الكبرى، أو طريق أقرب إلى طريق M5 يسلك كفر حلب ومنها إلى الكماري الواقعة على الطريق. وهو الطريق المفضل لتجنب المرور بطرق البلدات التي تحتاج إلى صيانة كبيرة، وهو الأسرع باتجاه دمشق والمحافظات الجنوبية.

في سياق متصل، فإن الربط بين فتح المعبر والاعتصام على طريق M4 فيه مغالطة كبيرة، فهو سوء تقدير وشائعة يطلقها مناهضو الهيئة في عملية التحشيد ضدها. فالمعبر هو حاجة كل الأطراف ولا يحتاج إلى اتفاقات كبرى لأنه لا يعرض أي جهة إلى الخطر، على عكس طرق الترانزيت التي تحتاج إلى تفاهمات أمنية عريضة وواضحة. وبالطبع فإن تحرير تنظر إلى وجودها على طريق حلب–اللاذقية على أنه قرار وجود أو لا وجود. فهي تدرك أن إبعادها لمرة واحدة عن الاتفاق السياسي يعني إخراجها من المعادلة دائما. ولذلك فإنها ستفرض فتح المعبر المتوقع من مكان آخر في حال إصرار أهل بلدة معرة النعسان، وستبحث عن مكان خال من السكان، تكون فيه حركة المدنيين شبه معدومة، ويرجح هنا اختيار منطقة جنوب طريق M4 حيث ما زال أغلب سكانها نازحون في الشمال.

أي حظوظ للخطة الإصلاحية في ظل «شيطنة» المعارضة وعدم فكّ العزلة عن لبنان؟

احتجاجات مطالبة بالإصلاح

أضاء المسؤول الأمريكي على التهريب على الحدود، وهي نقطة ألمح إليها حاكم مصرف لبنان الذي تحدث عن استيراد بقيمة 4 مليارات دولار سنوياً لأمور لا يحتاجها لبنان.

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

خلافاً لرغبة حزب الله الذي جاهر قبل فترة برفضه الاستعانة بصندوق النقد الدولي لمساعدة لبنان وفرض شروطه قبل أن يتراجع تكتيكياً عن هذا الرفض، فقد وقّع عن الحكومة حسان دياب ووزير المالية غازي وزني طلب مساعدة صندوق النقد الدولي للبنان للانطلاق «بورشة حقيقية لإنقاذ الوضع من الهوة المالية العميقة التي يصعب الخروج منها من دون مساعدة فاعلة ومؤثرة» على حدّ ما أعلن دياب إثر إقرار الحكومة في الأسبوع المنصرم البرنامج الإصلاحي للبنان.

وكان يمكن للحكومة توفير وقت ضائع لو استمعت إلى النصائح منذ البدء وخصوصاً نصيحة وزير العمل السابق كميل ابو سليمان الذي كان أول من نصح بالاستعانة بصندوق النقد منذ آذار/مارس 2019 إلا أن الحسابات السياسية وتمنّع فريق العهد عن تلبية رغبة وزير من «القوات اللبنانية» أرجأ الأمر إلى أن انفجر الوضع، واقتنع معظم الأطراف بأن اللجوء إلى صندوق النقد ممر الزامي لنجاح أي خطة إنقاذ وإعادة هيكلة الديون واستعادة ثقة المانحين.

وأولى ردود الفعل الدولية بعد طلب لبنان المساعدة من الصندوق، صدرت عن رئيس مكتب شؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأمريكية دايفيد شينكر الذي رحّب بالخطوة، لكنه قال «لا يكفي الطلب، لكن عليهم أن يعملوا بشفافية والتزام». وكان شينكر يقصد «أن حزب الله معروف بعدم إبدائه أي دعم للإصلاحات، فهو لا يدعم سوى التمويل غير المشروع، ومن خلال الفساد» لافتاً إلى «أن المجتمع الدولي يطلب التحكم بالحدود، وإغلاق المعابر غير الشرعية لوقف سيطرة حزب الله عليها».

وهكذا يكون المسؤول الأمريكي أضاء على إحدى النقاط الأساسية للنزف المالي من خلال التهريب على الحدود، وهي نقطة ألمح إليها أيضاً حاكم مصرف لبنان رياض سلامة الذي تحدث عن استيراد بقيمة 4 مليارات دولار سنوياً لأمور لا يحتاجها لبنان، وإذا كان سلامة لم يعلن صراحة ماهية هذا الاستيراد فقد توقّع بعضهم أن تكون مادة المازوت التي تُستورد إلى لبنان ثم تُهرّب إلى سوريا إضافة إلى بضائع محظورة على دمشق وطهران تأتي عبر مرافئ لبنانية.

وكانت ثورة 17 تشرين الأول/أكتوبر اندلعت على خلفية الأزمة الاقتصادية والمالية وغياب الإصلاحات التي تعهّدت بها الحكومات السابقة وعطّلتها التجاذبات السياسية والكمائن التي ينصبها كل فريق للفريق الآخر. ومن المعروف أن العملية الإصلاحية ستحتاج إلى فترة غير قصيرة قبل أن تهدأ الاحتجاجات في الشارع التي اتخذت أخيراً منحى تصعيدياً، واستهدفت بشكل خاص مصرف لبنان والمصارف إثر الحملة التي شنّها رئيس الحكومة على حاكم البنك المركزي، واعتبرت خارجة عن المألوف. وذهب بعضهم إلى حد الاعتقاد أن هناك من ورّط حسّان دياب ووضع بين يديه أرقاماً غير دقيقة دحضها حاكم مصرف لبنان بإطلالته، إضافة إلى أن هناك من جعل دياب يعتقد أن رياض سلامة متورّط بلعبة رفع سعر صرف الدولار من أجل تحضير الأرضية لإسقاط الحكومة في الشارع. فيما المسألة ليست أكثر من صراع بين حزب الله والحاكم على خلفية التزام الأخير بتنفيذ العقوبات على الحزب من جهة، وليست أكثر من تنافس على رئاسة الجمهورية بين رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل والحاكم الذي حوّلوه بفعل هاتين المسألتين إلى رأس حربة وهدف في صراع كبير أميركي إيراني، وإختلط الأمر على البعض بين إسقاط رياض سلامة كحاكم لمصرف لبنان أو كمرشح محتمل لرئاسة الجمهورية.

وفي ضوء ما تعرّض له حاكم مصرف لبنان، يطرح بعضهم السؤال هل سينجح الإصلاح ومكافحة الفساد بعد سلسلة اقتراحات ومشاريع القوانين التي تنتظر اقرارها في مجلس النواب؟

في رأي نائب معارض للحكومة لـ «القدس العربي» أن العهد والحكومة في حال استمرا بشيطة السياسات المالية على مدى السنوات الماضية، وتابعا سياسة الكيدية المغلفة بالإصلاح سيصطدمان مرة جديدة بحائط مسدود بدليل التحذيرات التي صدرت عن رؤساء الحكومات السابقين والبيانات الصادرة عن «كتلة المستقبل» وآخرها أشار إلى أنه «ليس في نوايا وأفعال العهد وحكومته ما يبشّر بالخير، واللبنانيون ملّوا من إخفاقاته ومن ايامه التاريخية».

ويقول النائب المعارض «إن من عوامل نجاح أي خطة إصلاحية وإنقاذية تحييد لبنان عن الصراعات وفكّ العزلة العربية والدولية التي تسبّبت بها ممارسات حزب الله، والتي حجبت عن بيروت المساعدات العربية والأوروبية. وآخر دليل على التأثير السلبي لدور حزب الله على لبنان هو قرار ألمانيا تصنيفه منظمة إرهابية وحظر أنشطته كافة ومداهمة مراكز إسلامية يُعتقد أنها على صلة بالحزب».

ويختم «إن الخطط الإصلاحية هامة ولكن الأهم ترجمتها على أرض الواقع والبدء بالملفات الأكثر إلحاحاً وهي الهدر الكبير في قطاع الكهرباء والتهريب وإلغاء عقود 5300 موظف جرى إدخالهم إلى الدولة رغم قرار عدم التوظيف، وحتى الآن لا توحي المعطيات بتخلّي الطبقة الحاكمة عن كيديتها بدليل فتح الجبهات واحدة تلو الأخرى والتماهي مع مشروع فريق سياسي يصرّ على إغراق لبنان في سياسة المحاور والمسار الانحداري للاقتصاد اللبناني».

هل يكون إفشال تشكيل وزارة جديدة في العراق غطاء لانقلاب ميليشياوي؟

في مؤشر على عمق الخلافات الشيعية، أعلنت أربعة فصائل في الحشد انشقاقها ودعت أخرى للانضمام إليها، ضمن الرؤى الوطنية العراقية ابتعادا عن نهج الفصائل الخاضعة لإيران.

احتجاجات رافضة لحكومة الكاظمي

بغداد – «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

سيناريو عرقلة أحزاب السلطة مهمة المرشحين لرئاسة حكومة جديدة في العراق يتكرر للمرة الثالثة خلال أشهر قليلة، محصوبا بتحركات فصائل شيعية مسلحة، توحي بوجود مخطط ونوايا لفرض ترتيبات أمنية وسياسية لإحكام السيطرة على البلاد الغارقة في بحر من التحديات والأزمات المزمنة.

وبعد أيام من تفاؤل المكلف تشكيل الحكومة الجديدة مصطفى الكاظمي، باتفاق القوى السياسية على تمرير تشكيلة حكومته، فإن ذلك التفاؤل ذهب أدراج الرياح، أمام ضغوط وشروط أحزاب السلطة مقابل تمرير حكومته في البرلمان والتي تعكس الصراع على المناصب والامتيازات.

وقدم رئيس الوزراء المكلف، برنامجه الحكومي، للبرلمان قبل التصويت على تشكيلته الحكومية، وهو حافل بوعود كررها رؤساء الحكومات الذين سبقوه ولم تجد طريقا للتطبيق، مثل إجراء انتخابات برلمانية نزيهة، وتسخير إمكانات الدولة من أجل مواجهة جائحة كورونا، وفرض هيبة الدولة من خلال حصر السلاح بيد المؤسسات الحكومية والعسكرية، مع تعهد بمكافحة الفساد والإصغاء إلى مطالب حركة الاحتجاج، والتحقيق بشأن أحداث العنف التي رافقتها.

وبعد ساعات على إعلان منهاج حكومة الكاظمي انطلقت تظاهرة في ساحة التحرير وسط بغداد وصدرت بيانات من تظاهرات المحافظات، ترفض المنهاج المقترح، وتهدد بمواصلة التظاهرات رغم مخاطر كورونا.

وتشير المصادر المطلعة، إلى أن الكاظمي اضطر تحت ضغوط الكتل السياسية إلى تغيير تشكيلته الوزارية مرارا لإرضائها وضمان تمريرها في البرلمان، كما أن خلو التشكيلة من وزراء الدفاع والداخلية والمالية، سببه عدم توافق الأحزاب بشأنها.

ولوحظ ان أبرز الاعتراضات على التشكيلة الحكومية كانت من الكتلة الشيعية، التي تتهم الكاظمي بأنه خضع لرغبات القوى الكردية والسنية بترشيح وزراء في حكومته، وهي الحجة التي تهدد الكاظمي، بالانضمام إلى المرشحين السابقين محمد علاوي وعدنان الزرفي، وتؤدي إلى تحقيق هدف الأحزاب بالإبقاء على حكومة عادل عبد المهدي، التي تعتبر الخيار الأفضل لها، ليس لأنها تحقق أهداف الأحزاب والجار الشرقي فحسب، بل ولكسر إرادة الشعب الذي خرج إلى الشوارع للمطالبة بالتغيير ضمن حزمة إصلاحات لإنقاذ البلاد.

وقد كشفت تصريحات العديد من السياسيين، جوانب من هذا التوجه. فالقيادي السابق في حزب الدعوة غالب الشابندر، اتهم رئيس حزب الدعوة نوري المالكي بـ «العمل على إعادة رئيس الوزراء المستقيل عادل عبد المهدي» فيما أكد القيادي الكردي عرفات كرم، مسؤول ملف العراق في إقليم كردستان، «أن القوى الشيعية تسعى لإجبار الكاظمي على الاعتذار ليبقى عادل عبد المهدي في منصبه».

وأشارت مصادر مطلعة بأن رئيس الوزراء الأسبق نوري المالكي، الذي يلقبه البعض بـ«قائد الدولة العميقة في العراق» يعمل على إفشال كافة المكلفين بتشكيل حكومة جديدة بهدف الإبقاء على عبد المهدي.

ومن الطبيعي أن تشكيل حكومة جديدة، هي مناسبة لبروز الخلافات داخل الكتل السياسية، وتبادل الاتهامات بالمسؤولية عن إفشال جهود الكاظمي، كما وقعت انشقاقات داخلية بين الكتل الشيعية والكردية والسنية، وكلها بسبب صراعها على الوزارات.

وفيما أرسلت حكومة الإقليم وفدا إلى بغداد، لعرض شروطها أمام الزعماء الشيعة إضافة إلى اللقاءات مع السفير الأمريكي وممثلة الأمم المتحدة للضغط على حكومة بغداد، بعد قرارها قطع رواتب الإقليم، فإن بعض النواب الشيعة رفعوا دعوى قضائية ضد وزير المالية الكردي فؤاد حسين، رافضين إجراء مفاوضات مع الوفد الكردي، ما لم يسلم الإقليم مبلغ 128 مليار دولار بذمته لحكومة المركز، من دون أن توضح حكومة بغداد لماذا سكتت عن هذا التجاوز الواضح سابقا ولماذا أثارته الآن؟

ولأن بعض جوانب لعبة تشكيل الحكومة، ليست بعيدة عن إطار الصراع الإيراني الأمريكي في العراق، فقد دعا وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو، القادة العراقيين إلى التخلي عن «نظام المحاصصة» وتشكيل حكومة تحرر الشعب من «التوهيب الخارجي» مشددا على ضرورة أن «تستمع الحكومة إلى نداءات الكثيرين كي تكون كل القوات المسلحة تحت إمرة الحكومة العراقية» في إشارة إلى الميليشيات.

وبموازاة اللعبة السياسية للقوى الشيعية، تتوالى العديد من المؤشرات على طبخة سياسية وأمنية يتم الإعداد لها، لترتيب أوضاع البلاد وفق رؤى لقوى وفصائل مسلحة مدعوم بعضها بتوجيهات خارجية.

ففي مؤشر لافت على عمق الخلافات بين القوى الشيعية، أعلنت أربعة فصائل في الحشد الشعبي، مقربة من خط السيد علي السيستاني، انشقاقها عن الحشد وارتباطها بالقائد العام للقوات المسلحة مع دعوتها فصائل أخرى للانضمام إليها، ضمن «الرؤى الوطنية العراقية» مما عده المراقبون بأنه ابتعاد عن نهج بعض الفصائل الولائية (الخاضعة كليا لإيران) نتيجة خشية المرجعية من أن تجر العراق إلى أتون الصراع الإيراني الأمريكي وتحمل البلاد تبعات وعقوبات لا مصلحة لها فيها.

ومعروف أن الخلافات بين الفصائل الشيعية المسلحة، تصاعدت بسبب الغراغ الكبير في قيادة الحشد الشعبي في أعقاب عملية اغتيال أبو مهدي المهندس وقاسم سليماني في بغداد مؤخرا، اللذان كانا يتحكمان بفصائل الحشد، إلى درجة أن رئيس الوزراء السابق حيدر العبادي، عبر عن خشيته «من تدمير مؤسسة الحشد الشعبي بسبب الصراع السياسي» وسط أنباء عن تشكيل فصائل جديدة منفصلة عن الحشد ومرتبطة بالحرس الثوري، وتسريب أخبار عن استيلاء فصائل ولائية مؤخرا، على مقرات ومباني وسط المنطقة الخضراء ومناطق حساسة أخرى في بغداد، استعدادا للتحرك عند الحاجة.

وإذا أضفنا مشاكل معقدة تواجه العراق وأبرزها انهيار أسعار النفط التي سيترتب عليها خفض كبير في نفقات الحكومة ورواتب الموظفين، مع تفشي وباء كورونا، وعودة هجمات تنظيم «داعش» بشكل خطير، عدا تداعيات الصراع الدولي في العراق، فالمؤكد أن حكومة مصطفى الكاظمي، إذا نجحت في عبور البرلمان، فإنها لن تكون أفضل من سابقتها، بل أسوأ كثيرا نظرا للعجز عن تلبية حاجات ومطالب الشعب والدولة، وبالتالي توقع عودة تظاهرات الاحتجاجات الغاضبة على العملية السياسية وصناعها مجددا.

«إغلاق المساجد» ملف نقاش حار في الأردن: الأوقاف حذرت من «فحش الكلام» والإخوان «في الحياد»

الساحة لا تخلو الآن من آراء واجتهادات تشاغب على السلطات ووزارة الأوقاف عبر التشكيك بخلفية إغلاق المساجد وعدم وجود مبررات صحية.

المسجد الحسيني وسط البلد

عمان – «القدس العربي»: بسام البدارين

لا يريد وزير الأوقاف الأردني الشيخ الدكتور محمود الخلايله تحويل مسألة إغلاق أو فتح المساجد إلى «مادة حيوية» تلوكها السن الصحافة والمنصات الاجتماعية.

لذلك يهاجم الوزير الشيخ بضراوة كل من يحاولون إنتاج مساحة رأي عام تضغط لإعادة فتح المساجد بمعزل عن المسار الصحي في الأمر.

هاجم الوزير ثلاث مرات في أقل من أربعة أيام كل من يحاولون تشويه موقف الحكومة وتحريض الناس عليها بمسألة المساجد.

استعمل الخلايله تعبيرا دقيقا منتقدا «فحش الكلام» ولاحقا في خطبة صلاة الجمعة الموحدة تحدث عن تعريض صحة المواطنين للخطر في حالة فتح المساجد مستعرضا الأدلة الشرعية التي تساند الإجراءات الحكومية.

مسألة المساجد حساسة جدا في بلد مثل الأردن. زادت حساسيتها مؤخرا بسبب شهر رمضان المبارك.

لكن وزارة الأوقاف أغلقت المساجد بناء على توصية مباشرة من لجنة الأبوئة الوطنية وخلف الستارة قال الوزير الخلايله في أحد الاجتماعات إن الخبرة الطبية هي التي ستقود وزارته في هذا الأمر والقرار محسوم.

عمليا مسألة المساجد شائكة قليلا، فالعاهل الملك عبدالله الثاني في خطاب شهير أول الأزمة تحدث عن وعد الأردنيين بالعودة إلى مساجدهم وكنائسهم قريبا. وبعض المواطنين يعتبرون إغلاق المساجد تماما من أنماط «التزيد» حيث أن المسجد مثل العديد من المرافق يمكن فتحه وإقامة الصلاة جماعة فيه مع تلبية شروط الصحة العامة.

وهو خيار لا يوافق عليه طاقم الوزير الخلايلة لسبب «سياسي» وليس إداريا هذه المرة فالسيطرة على التوجيه والصلاة والدروس والوعظ والإرشاد ليست للوزارة في عدد كبير جدا من مساجد المملكة والمايكروفون الديني داخل المسجد ينبغي أن لا يجازف بتركه لأي أجندة سواء أكانت سياسية أو شخصانية وفردية أو متشددة.

التجمع بهدف الصلاة عبارة عن بيئة خصبة لنشر الوباء والفيروس، هذا ما يقوله وزير الأوقاف وسط تفهم كبير بطبيعة الحال من الشارع والجمهور باستثناء أقلية تسببت بتوتر أمني عندما أصرت في أوقات سابقة على إقامة صلاة جامعة أمام المساجد المغلقة ما اضطر الأمن العام للتدخل.

على منابر المنصات الاجتماعية وأحيانا في بعض الأوساط الإسلامية السيسة ثمة دعوات ضاغطة على السلطات لإعادة فتح المساجد ما دامت قد سمحت بالعمل في العديد من القطاعات والمنشآت والمرافق.

بعض التعبيرات مالت للمزاودة على الحكومة من ناحية شرعية مما دفع الوزير الخلايله للرد وبخشونة متسائلا عن «العاقل» الذي يفترض يوما بأن الحكومة تريد إغلاق المساجد أو تهتم بالأمر.

في كل حال أوضحت الحكومة بدون شكوك بأن المسألة لا علاقة لها بأي توجه سياسي. والفكرة أن الخوف الصحي والوبائي من ما يمكن أن يحصل لم يدفع فقط باتجاه إغلاق المساجد بل أيضا باتجاه الحظر الشامل ليوم الجمعة الأخير وعلى أساس بروز إشارات لتحدي إغلاق المساجد بدعوات متشددة لإقامة صلوات الجماعة في ميادين وساحات عامة أو مقابل المساجد مما دفع باتجاه حظر شامل تجنبا لمثل هذا الخيار.

وقدمت اقتراحات لوزارة الأوقاف بخصوص فتح المساجد بدون إقامة صلاة التراويح في شهر رمضان المبارك مع إجراءات تباعد اجتماعي لكن السلطة قدرت بأن المسألة صحية ووبائية قبل أي اعتبار آخر وينبغي لوزارة الأوقاف ان لا تغرق في الجدل الشرعي حول ما سيجري داخل المساجد ولا بجدل الفتاوى بين الشايخ والعلماء.

في كل حال اتخذ قرار إغلاق المساجد في وقت مبكر من المواجهة مع كورونا وتقبله الناس.

لكن الساحة لا تخلو الآن من آراء واجتهادات تشاغب على السلطات ووزارة الأوقاف عبر التشكيك بخلفية إغلاق المساجد وعدم وجود مبررات صحية وهي تشكيكات عمليا لا تحظى باحترام الشارع ولا تهضم بمستوى الجماهير خصوصا في ظل الإقرار العام بجدوى وإنتاجية الإجراءات المتخذة والتي أعجبت العالم واتخذت لحماية الأردنيين.

وعلى أساس مرصود يمكن ملاحظة ان مسألة المساجد من حيث إغلاقها أو المطالبة بإعادة فتحها لم تتصدر لا سلبا ولا إيجابيا ولم تخضع للتسييس حتى عند جماعة الإخوان المسلمين التي تعتبر الجسم الأضخم والأكثر تنظيما محليا بين القوى الإسلامية في الساحة.

يلاحظ بكثافة أن الإخوان المسلمين بجزبهم وبلجنة العلماء التابعة لهم وقفوا بالمعنى الشرعي والوطني مع «إجراءات الدولة العميقة» وسط تقصد الاكتفاء بوجهات نظر محدودة تدعم خيار حريات الأفراد وتستبعد الحاجة لأحكام عرفية وبدون مزاحمة أو تعارض.

بمعنى آخر وفي تزامن مع توقيت فيروس كورونا بات واضحا أن الحركة الإسلامية الأردنية تفهمت لا بل أقرت ولم تلعب بورقة فتح أو غلق المساجد.

يزعم أن عمان تفضل الحدود مع إسرائيل وليس السلطة الفلسطينية

تقدير إسرائيلي: العلاقات مع الأردن تتراجع بسبب استعادة الغمر والباقورة وخطط ضم أراض من الضفة

تحقيق السلام لا يكون بفرض الإملاءات والضم، وإنما من خلال المفاوضات وعلى أساس مبدأ حل الدولتين.

الناصرة – «القدس العربي»: وديع عواودة

قال رئيس شعبة التخطيط في جيش الاحتلال الإسرائيلي، الجنرال أمير أبو العافية، إن هناك شعورا في الأوساط العسكرية والأمن بتراجع العلاقات بين إسرائيل والأردن على خلفية قرار العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني استعادة أراضي الغمر والباقورة من جهة، وما تحدثه التطورات والتصريحات الإسرائيلية بشأن مخططات الضم الإسرائيلية لغور الأردن. وتواجه العلاقة بين الأردن وإسرائيل تحديات متواصلة يتمثل آخرها في إعلان اسرائيل نيتها ضمّ أراض في الضفة الغربية المحتلة سبقته توترات حول الأراضي الأردنية المستعادة في الباقورة جنوب بحيرة طبرية وفي منطقة الغمر في وادي عربة. ويعتبر رئيس التخطيط في الجيش الإسرائيلي العقيد أمير أبو العافية، أكثر الأشخاص انشغالا بالتخطيط من أجل نفض الجيش الإسرائيلي يديه من مساعداته للقطاع الصحي في فترة جائحة كورونا من أجل التحضير للمرحلة التي ترغب فيها الحكومة الإسرائيلية ضم أجزاء من الضفة الغربية إلى سيادتها. وجاء في تصريحات لصحيفة «يديعوت احرونوت» أمس على المرحلة التي يعمل فيها الجيش الاسرائيلي من وراء الكواليس من أجل تنفيذ القرارات الحكومية فيما يتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية، إضافة إلى العمل على تعزيز الاتفاقيات المبرمة مع مصر والأردن، وباقي الدول التي لا تربطها علاقات دبلوماسية رسمية وتوطدت هذه العلاقات بصورة أكبر مع تفشي فيروس كورونا المستجد. وقال بن يشاي إنه فيما يتعلق الأمر بالأردن فالعقيد أبو العافية لا يتحدث إلا ببخل شديد، وليس فقط بسبب التوقيت الحساس، حيث يمهد محلل الشؤون العسكرية رون بن يشاي اتفاق التحالف بين نتنياهو وغانتس الطريق لـ «إعلان تاريخي» بضم إسرائيل أجزاء من الضفة الغربية، قد يكون أيضا في غور الأردن، في شهرين القادمين. كما هو الحال مع مراقبين إسرائيليين آخرين يقول بن يشاي إنه لن يستغرب أحدا ولن يسقط من الكرسي إذا كان رأي أجهزة الأمن والاستخبارات الإسرائيلية تتضمن المعارضة، أو على الأقل تحفظات، على التحرك الأحادي ضد السلطة الفلسطينية والأردن. وفيما يتعلق بالجيش، يعترف أبو العافية أن السلام مع الأردن تعرض لصدمة هذا العام ويضيف «ما ساد في العام الماضي هو الشعور بأن شيئا ما تغير بعد قصة الجيوب في الغمر والباقورة أعطى شعورا بالتراجع للخلف». وأضاف «علمنا مسبقا أن هذه المناطق ستستخدم لمدة 25 عاما في الزراعة الإسرائيلية» وتابع «ولكن كانت هناك جهود، خاصة في الوساطة المدنية الدولية للاستمرار. حاولوا التوسط، لكن ذلك لم يحدث». يشار أنه بعد انتهاء عقد إيجار بين المملكة وإسرائيل، غادر الخميس الماضي آخر المزارعين الإسرائيليين جيبا زراعيا أعادوه للأردن وأتاح عقد الإيجار لإسرائيل استخدام أراض حدودية زراعية على مدى 25 عاما، في إطار اتفاق السلام بين الجانبين. وقال العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني في تشرين الأول/أكتوبر 2018 إن بلاده تريد استعادة أراضي الباقورة والغمر التي كان لإسرائيل حق التصرف بها. ووفق ملاحق اتفاقية وادي عربة للسلام الموقعة في 26 تشرين الأول/ اكتوبر 1994 أعطيت إسرائيل حق التصرف بهذه الأراضي لمدة 25 عاما، على أن يتجدد ذلك تلقائيا في حال لم تبلغ الحكومة الأردنية برغبتها استعادتها قبل عام من انتهاء المدة. ويذكر أن عقد إيجار المزارعين الإسرائيليين انتهى في تشرين الأول/ اكتوبر الماضي، لكن الأردن أعطى المزارعين الإسرائيليين في الغمر نصف عام لحصاد محاصيلهم.

وبالنسبة لأبو العافية «فإن الجيش الإسرائيلي لن يتخلى عن زملائه في الأردن، الذين أقاموا معهم علاقات قوية في السنوات الأخيرة، وسوف يطلعهوم على أي تطور. قد يتم تذكيرهم أيضا: نفس القادة الذين يهاجمون بعضهم البعض وإطلاق التهديدات، هم الذين يوافقون أحيانا بعد عدة ساعات على الإجراءات الأمنية التي تتداخل مع الدفاع المشترك عن الحدود». وحسب بن يشاي تفيد إحدى التقديرات الإسرائيلية بأن الأردنيين أيضا يفضلون في كل سيناريو، حدودا مع إسرائيل وليس مع السلطة الفلسطينية.

وقال أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية صائب عريقات، إن بريطانيا واليابان والنرويج، أكدت رفضها المطلق لضم الأراضي الفلسطينية. وذكرت وكالة الأنباء الفلسطينية الرسمية «وفا» بهذا المضمار أن ذلك جاء عقب اتصالات هاتفية أجراها عريقات مع كل من وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية جيمس كليفرلي، والمبعوث النرويجي لعملية السلام تور وينسلاند، والمبعوث الياباني لعملية السلام مساهورو كانو. وأضاف عريقات أن محدثيه أكدوا على مواقف بلدانهم بالرفض المطلق لأي ضم للأراضي الفلسطينية، وأن تحقيق السلام العادل والشامل لا يكون بفرض الإملاءات والضم، وإنما من خلال المفاوضات والإقرار بالحقوق المعترف بها للشعب الفلسطيني، وفقا للقرارات الدولية والأممية ذات الصلة والقانون الدولي، وعلى أساس مبدأ حل الدولتين.

يذكر أن مستشرقة إسرائيلية سبق وحذرت قبل أسبوعين من التداعيات السلبية لخطة الضم الإسرائيلية للضفة الغربية المحتلة على العلاقات مع العالم العربي.

واعتبرت كاسبينا سيفاتلوفا الخبيرة الإسرائيلية بالشؤون العربية في تصريح للإذاعة العامة بأن «الضم» يعزز «العناصر الراديكالية، ويقوض المعتدلين، ويهدد التطلعات الإسرائيلية للعلاقات الدبلوماسية والعلاقات التجارية مع الدول العربية خاصة الأردن». وأوضحت أن حزب «يمينا» المتطرف برئاسة وزير الأمن نفتالي بينيت اتهم حزب الليكود بزعامة بنيامين نتنياهو بعدم رغبته بالمضي بعملية الضم، واكتفائه بالوعود فقط، فيما أعلن حزب أزرق–أبيض بقيادة بيني غانتس أنه على استعداد لمناقشة هذه الخطوة «في ظروف معينة رغم أن الجنرال غابي أشكنازي يرفض هذا الخيار» في إشارة إلى الجدل القائم واللامتناهي في إسرائيل حول القضية. وأكدت أنه «قبل عامين وثلاثة أعوام، كان الحديث عن الضم منحصرا بأعضاء الكنيست من حزب يمينا والجناح اليميني في الليكود، وفي الوقت الحاضر فإن زعيم أزرق–أبيض بيني غانتس على خلاف مع رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو حول طريقة تنفيذ الضم ومداه، وليس حول مسألة ما إذا كان ينبغي النظر في القضية مبدئيا».

السنة الثانية والثلاثون العدد 9893 الأحد 3 آيار (مايو) 2020 – 10 رمضان 1441 هـ

ليبيا: ازدواجية الموقف الغربي تُؤخر الحل السياسي

قصف قوات حفتر طرابلس

تُطل معزوفة اتفاق الهدنة كلما تعثرت الحلول العسكرية وانسدت الآفاق أمام المراوغين والمناورين كما هو الشأن حاليا.

رشيد خشانة

منذ اعتلاء حكومة «الوفاق الوطني» سدة السلطة في طرابلس، أواخر آذار/مارس 2016 واللواء المتقاعد خليفة حفتر، يعمل مع القوى الإقليمية الداعمة له، على الإطاحة بها بجميع الوسائل، تارة بواسطة بعض رؤساء القبائل وطورا بالاستعانة بمرتزقة روس وسودانيين وتشاديين، وطورا ثالثا بالزحف على طرابلس. ومن أجل ذلك، مارس جميع الضغوط والتهديدات على أعضاء البرلمان لتعطيل إجراءات منح الثقة لحكومة فائز السراج. ولما لم تثمر محاولاته إقناع دول العالم بمقاطعة الحكومة المعترف بها دوليا، زحف على الهلال النفطي في خريف 2016 ليتخذ منه ورقة ضغط ورهينة بين يديه. واستطاع أن يُحدث اختراقات نحو الجنوب بعد سيطرة ميليشياته على الجُفرة وسبها، أكبر مدينتين في إقليم فزان.

شطب المكاسب الديمقراطية

وبدأ يكشف شيئا فشيئا عن خطته لعسكرة الدولة والمجتمع بعزل عمداء البلديات المنتخبين في اقتراع حر وشفاف، لإحلال ضباط موالين له في مكانهم. وبرهن بذلك على سعيه لإلغاء المكاسب الديمقراطية، التي أتت بها انتفاضة 17 شباط/فبراير 2011 وإعادة إحياء منظومة القذافي هياكل ورجالا. وبعدما استكمل السيطرة على إقليم برقة (شرق) وخاصة مدينتي بنغازي ودرنة، انطلق زبانيته في لجم الأفواه وملاحقة النشطاء واغتيال المثقفين وخطف رموز المجتمع المدني، وآخرهم عضو مجلس النواب سهام سرغيوة، التي لم يُعرف شيء عن مصيرها إلى اليوم. وما زاد من مخاوف الليبيين من خطط حفتر أنه استعان بفرقة «المدخليين» وهم أتباع رجل الدين السعودي ربيعة بن هادي المدخلي، أحد المنظرين الكبار للولاء المطلق للحاكم، حتى لو كان هذا الحاكم غير عادل، بدعوى درء الفتن.

مع ذلك يقوم الخطاب الدعائي الذي يُروجه أنصار اللواء المتقاعد لدى عواصم الغرب والشرق، من باريس إلى موسكو، على الإيهام بأنه أكبر حصن ضد انتشار الجماعات الإرهابية، وحركات الإسلام السياسي عموما في ليبيا. ومن المؤكد أن العواصم المعنية بالملف الليبي تعرف حقيقة الأوضاع في البلد، ولديها الوسائل اللازمة لمعرفة ما يُظهر وما يُخفي كل طرف. واستطرادا هي تدرك أن «شطحة» حفتر، التي استدعى في إطارها الدعم من كل العواصم، لمبادرته الانقلابية، ليست سوى طبل أجوف. لكنها لا تبذل أي جهد لممارسة ضغوط حقيقية عليه، من أجل لجم تهوُّره، مُكتفية ببيانات مقتضبة لرفع العتب.

ازدواجية غربية

ظهر هذا السلوك المُماثل لدى استيلاء قوات حفتر على الهلال النفطي، وهو المنصة الرئيسية التي يُشحن منها نصف صادرات البلد من النفط. كما ظهرت الازدواجية الغربية أيضا بعد الدعوة الأخيرة التي أطلقها حفتر للإطاحة بحكومة الوفاق، بتعلة أنها فقدت مشروعيتها. فقد أصدرت ست عواصم غربية (واشنطن وبرلين وباريس ولندن ومدريد وروما) بيانا موحدا انتقدت فيه سيطرة قوات حفتر على الهلال النفطي، وطالبت بسحبها. وأصدرت بعد ذلك بيانات مماثلة لدى هجوم القوات نفسها على جنوب طرابلس، وبيانات أخرى عدة، لكن مواقفها ظلت كلاما في كلام. أكثر من ذلك، ظلت حكومات الدول النافذة لممارسات حفتر في العلن، تمُدّه بالسلاح تحت الطاولة، وترسل له الخبراء والمدربين العسكريين، وهذا حال فرنسا مثلا، التي كشف مقتل ثلاثة من ضباط مخابراتها الخارجية، في حادثة سقوط مروحيتهم، بالقرب من بنغازي، أنهم يدعمون اللواء المتمرد بالخبراء والمدربين العسكريين. وتأكد ذلك مجددا في تموز/يوليو الماضي، بعد استرجاع قوات الوفاق مدينة غريان من قوات حفتر، حيث عثروا على صواريخ فرنسية من طراز «جافلان» حسب ما قالت صحيفة «نيويورك تايمز» في عددها الصادر يوم 9 من ذلك الشهر. ومن المؤكد أن العواصم الغربية المعنية، تعتبر في الجلسات المقفلة، أن حفتر يشكل حجر عثرة أمام إقرار حل سياسي للصراع في ليبيا، لكنها لا تتعاطى معه على هذا الأساس في المواقف الرسمية.

ثلاثة مُتغيرات

لم يتغير هذا الموقف الغربي السلبي من استمرار القتال في التخوم الجنوبية لطرابلس، حتى بعد بدء شهر رمضان، إلا أن ثلاثة مُتغيرات مهمة تضافرت لتحمل عواصم القرار على ممارسة ضغوط جدية على حفتر وحاشيته، أولها ضراوة الحرب والعنف المتبادل في المعارك التي دارت في سلسلة المدن الساحلية الواقعة غرب طرابلس، وثانيها تزايد أعداد المدنيين بين قتلى المعارك، وخصوصا من سكان التخوم الجنوبية للعاصمة، إذ يُقدر حجم الخسائر البشرية جراء الحرب على طرابلس، بألفي قتيل من المسلحين و300 من المدنيين، إضافة إلى أكثر من 355 ألف نازح، غير قادرين على العودة إلى منازلهم، من بينهم 170 ألف شخص نزحوا بعد انطلاق الهجوم على طرابلس، حسب تقديرات وزارة الداخلية في حكومة الوفاق.

السلاح لا يكفي

أما العنصر الثالث فهو عدم قدرة حفتر على حسم معركة طرابلس، بالرغم من مضي أكثر من سنة على المراهنات الخاسرة عليه، وخاصة بعد انسحاب قواته من المدن الساحلية الغربية، بشكل أثبت أن التمويل والتسليح والتدريب، غير كاف لإنهاء الحرب وتتويج حفتر في موقع الرجل الأقوى. كما أن حكومة الوفاق تحتاج، من جانبها، لإنقاذ عاجل من الاختناق المالي، في أعقاب توقف إنتاج النفط وتصديره، ما تسبب لها بعجز غير مسبوق عن صرف الرواتب ومجابهة نفقات مستحقة بشكل مستعجل. وبناء عليه أدركت العواصم الغربية، على ما يبدو، أن انهيار حكومة الوفاق ليس هو مفتاح الحل في ليبيا، وأن فك الحصار العسكري عن الموانئ النفطية، يساعد في الحد من الخسائر المتزايدة، المترتبة على إقفال الحقول، بما يُجنب حكومة الوفاق الافلاس المالي. من هنا، لا معنى لوقف إطلاق النار، ما لم يتمّ فتح الموانئ والحقول النفطية، وإن جزئيا، بوصفها ضرورة استراتيجية، وخاصة موانئ الزويتينة والسدرة وراس الأنوف والبريقة، التي تؤمن شحن حوالي 50 في المئة من صادرات ليبيا من النفط.

مؤتمر برلين

تتزامن هذه المتغيرات مع موقف أوروبي عالي الصوت، بدأته بريطانيا، ويدعو إلى تعزيز الهدنة الرمضانية بالانطلاق نحو حل سياسي شامل، وفق مخرجات مؤتمر برلين. وفي نطاق أوروبي أوسع، تحاور أعضاء في «المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية» مع وزير الداخلية في حكومة الوفاق، فتحي باشاغا، عبر دوائر الاتصال المغلقة وتطرقوا، حسب مصادر ليبية، إلى إحكام التعاون مع الدول الأوروبية في مراقبة الحدود الليبية جوا وبرا وبحرا، للحؤول دون إدخال أسلحة إلى الأطراف المتحاربة.

وحمل باشاغا، حسب ما أورد في تغريدة له عبر حسابه على «تويتر» على «الدور المدمر الذي ما زال يلعبه المتدخلون الأجانب في ليبيا» ذاكرا بالاسم شركة «فاغنر» الأمنية الروسية. وجدد رفض حكومة الوفاق عملية «إيريني» الأوروبية لتنفيذ القرار الأممي بحظر توريد الأسلحة إلى ليبيا بطريق البحر. غير أن موسكو سارعت إلى إيضاح موقفها من خلال تصريحات أدلى بها وزير الخارجية سيرغي لافروف، وأكد فيها أن موسكو «لا ترحب بتصريحات قائد الجيش الليبي خليفة حفتر بشأن الحكم الفردي». وزعم لافروف أن روسيا «ليست بيدها أدوات للتأثير على حفتر» بالرغم من الحلف المتين القائم بينهما، منذ أكثر من ثلاث سنوات. أما واشنطن فأعربت عن «أسفها» لاقتراح حفتر «تغييرات في الهيكل السياسي الليبي من خلال إعلان أحادي الجانب» فقط لا غير.

أقاليم ليبيا الثلاثة

من بين ردود الفعل الأخرى على «شطحة» حفتر، نلحظ موقف رئيس البرلمان (مقرُه في طُبرق–شرق) عقيلة صالح، الذي قدم عرضا مختلفا عن تخريجات حفتر التي فاجأت كثيرا من العواصم. وتتلخص «خريطة الطريق» التي طرحها عقيلة صالح في «تشكيل مجلس رئاسي، بالتوافق أو بالتصويت، بين ممثلي أقاليم ليبيا الثلاثة (طرابلس وبرقة وفزان) تحت إشراف الأمم المتحدة. ويقوم المجلس، بعد اعتماده، بتسمية رئيس للوزراء ونواب له يمثلون الأقاليم الثلاثة، بتشكيل حكومة يتم عرضها على البرلمان لنيل الثقة، ويكون رئيس الوزراء ونائباه شركاء في اعتماد قرارات مجلس الوزراء. ويقود هذا التأكيدُ على «التساوي بين الأقاليم الثلاثة» إلى معاودة طرح خيار التقسيم، بالقفز على الحقائق الجغرافية والسكانية والاقتصادية. فهل تجوز منطقيا المساواة بين عاصمة إقليم وعاصمة بلد يتجاوز عدد سكانها ستة أضعاف سكان الإقليم؟

يقتضي الاحتراس من هذه الذهنية التقسيمية تأمين غطاء دولي لوقف إطلاق النار، يشمل ضمانات من المجتمع الدولي، لأن أنصار الجنرال حفتر لن يلتزموا بأي اتفاق هدنة، مثلما برهنوا على ذلك كلما تم التوصل لاتفاق في هذا الشأن، وآخرها هدنة برلين. وهذه المعزوفة ليست جديدة، بل هي تُطل برأسها، كلما تعثرت الحلول العسكرية وانسدت الآفاق أمام المراوغين والمناورين، كما هو الشأن حاليا، بعد إخفاق الهجوم على طرابلس. ولن يكون القبول الشكلي بوقف إطلاق النار من جانب حفتر، سوى مناورة لكسب الوقت وإعادة تنظيم الصفوف.

معاودة هيكلة السلطة

أما صالح فطرح مشروعه التقسيمي، ملفوفا في «مبادرته» الأخيرة، أولا من خلال إشادته بوفد من ممثلي القبائل «الشرقية» زاره أخيرا لتقديم الدعم، وثانيا باقتراحه معاودة هيكلة السلطة، المنبثقة من الاتفاق السياسي، الموقع في الصخيرات، من أجل تسمية أعضائها بالتساوي بين ممثلي «الأقاليم التاريخية الثلاثة».

ومن المؤكد أنه لو استُؤنفت محادثات سلام جديدة، في القريب، فسيكون حفتر أول من يستثمرها لـ«قضم» مساحات جديدة من الأرض، فمنذ إطلاق ما دعاها بـ«عملية الكرامة» في صيف 2014 ظل يتغطى بالمفاوضات، ليس لتيسير الوصول إلى حلول، وإنما لكي يستتر على الهجمات التي تقوم بها قواته لتوسيع رقعة سيطرتها. من هنا فإن أي انتصار لقواته على قوات «الوفاق» في طرابلس، سيُقوض حكومة السراج، وسيصل شرار الحريق إلى دول الجوار، وساعتها لن تجد الأمم المتحدة، ولا القوى المتداخلة في الصراع الليبي، مُحاورا تجلس إليه وتثق بنواياه وقدرته على التنفيذ.

Volume 32 - Issue 9893 Sunday 3 May 2020

بيل غيتس الذي لم يستمع العالم لتحذيراته من الوباء فوقع ما وقع

بيل غيتس

سيحتفظ تاريخ هذا الوباء بشخصيات تركت بصمات ملموسة في المشهد العام في هذه المرحلة الشائكة والصعبة من تاريخ الإنسانية في القرن الواحد والعشرين.

د. حسين مجدوبي

في خضم التطورات الهائلة سياسيا واجتماعيا وسياسيا الناتجة عن وباء فيروس كورونا الذي يعصف بالعالم حاليا، ظهر عدد من الشخصيات على المسرح الدولي من سياسيين وعلماء بأطروحات وتصريحات مختلفة. ومن أبرز هذه الأسماء بيل غيتس أحد أغنى أغنياء العالم الذي منذ سنوات وهو ينبه المسؤولين والرأي العام العالمي إلى المخاطر التي تشكلها الأوبئة على الإنسانية. وبقيت تحذيراته بدون صدى حقيقي حتى انفجر الوباء، وها هو يحذر من وباء آخر قد يكون فتاكا في ظرف أقل من عشرين سنة المقبلة.

بهلوانيات ترامب وجرأة رؤلت

وعمليا، سيحتفظ تاريخ هذا الوباء بشخصيات تركت بصمات ملموسة في المشهد العام في هذه المرحلة الشائكة والصعبة من تاريخ الإنسانية في القرن الواحد والعشرين، وهي ليست بالضرورة كلها إيجابية ومنطقية. وعلى رأس هذه الشخصيات، الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الذي استهزأ بالفيروس في البدء، واضطر لاحقا الخضوع مرغما لنصائح العلماء. لقد كان ترامب يعقد ندوة صحافية يوميا وتحولت إلى ما يشبه المسلسلات التلفزيونية الطويلة، لكن التاريخ سيحتفظ أساسا بتصريحه الذي يصل إلى مستوى البهلوانيات التي تجري فقط في أفلام الرسوم المتحركة مثل تساؤله لماذا لا يتم حقن الناس بمواد التعقيم الخاصة بالنظافة؟ مقترح جعل الرأي العام الدولي يرد بتساؤل آخر وهو: هل يمكن لرئيس أقوى دولة، وهي التي تضم أعلى نسبة من الفائزين بجوائز نوبل في الطب والكيمياء وتخصصات عملية أخرى، أن يصدر تصريحا غبيا مثل هذا؟

والشخصية الثانية التي برزت هي العالم الفرنسي «ديديه رؤلت مدير المعهد الاستشفائي «ميديتيراني» في مارسيليا الذي حمل أفكارا ومقترحات واضحة لمعالجة فيروس كورونا من خلال دواء الكلوروكين. وشكل ظاهرة حقيقية بحكم النزاع الذي انفجر بينه وبين الهيئة الطبية الرسمية الفرنسية التي تعمل وفق منهاج كلاسيكي أورثوذكسي تجاوزه نسبيا الزمن علاوة على ارتباط الكثير من أعضاء الهيئة بشركات صنع الأدوية. هذا الباحث الذي رفض الانضمام إلى المجلس العلمي الذي يقدم نصائح للرئيس ايمانويل ماكرون، فما كان من الرئيس سوى زيارته في معقله في مارسيليا للاستماع إلى آرائه. رؤلت يمثل الباحث المتمرد على شركات الأدوية الدولية التي تتاجر بصحة الناس.

بيل غيتس النذير

ووسط بانوراما التصريحات والتصريحات المضادة والاتهامات بين الصين والولايات المتحدة بشأن مسؤولية التسبب في هذا الفيروس، وما يخلفه هذا من اصطفاف ينبئ بحرب باردة جديدة سببها كورونا فيروس أكثر من صراع التموقع في الخريطة الجيوسياسية العالمية، يبرز بيل غيتس مؤسس مايكروسوفت بأطروحات منطقية.

ويعد غيتس من الشخصيات التي تركت بصماتها واضحة في مسار الإنسانية، فهو مخترع نظام الويندوز الذي يتم استعماله في قرابة 90 في المئة من حواسيب العالم، وأعطى قفزة لكل المجالات في العالم ولاسيما المرتبطة بالإنترنت. وبهذا يحتل مرتبة في التاريخ شبيهة بمرتبة مخترع آلة الطباعة غوتنبرغ في القرن الخامس عشر الذي أعطى دفعة للنهضة الأوروبية. ويعد غيتس ضمن أغنى ثلاثة في العالم، لكنه يبقى حالة فريدة في تاريخ الأغنياء، فقد بنى ثروته من المعرفة المحضة من خلال بيع أنظمة ميكروسوفت التي عادة لا تلمس، عكس باقي الأغنياء الذين يبيعون مواد ملموسة مثل صاحب أمازون جيف بيزوس أو صاحب شركة إنديتكس أمانسيو أورتيغا. ويسير الآن في دربه أغنياء المعرفة الرقمية أصحاب شركات فيسبوك وتويتر ضمن آخرى. ووسط كل هؤلاء، يبرز بيل غيتس بطابعه الإنساني رفقة زوجته ميليندا بتأسيسهما للمؤسسة التي تعمل اسميهما وتخصيص عشرات المليارات من الدولارات لشتى الأهداف الإنسانية من محاربة السيدا في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين إلى تطوير الأعمال الخيرية مثل تطوير عمل المزارعين في القارة الافريقية.

لكن اسمه برز بقوة خلال كورونا فيروس، فمباشرة بعد اندلاع الوباء العالمي، بدأ العالم يستعيد التحذيرات التي كان يطلقها منذ سنة 2015 عندما قال خلال انتشار فيروس إيبولا في افريقيا «ربما هناك فيروس لا يحس المرء المصاب بتأثيراته وهو يأخذ طائرة أو يتوجه إلى متجر كبير، وهذا سيجعل هذا الفيروس ينتشر في العالم بطريقة سريعة». وأضاف «لمواجهة وباء عالمي نحتاج إلى ملايين الناس تعمل في البحث، ودور منظمة الصحة العالمية هو تنسيق الجهود لمواجهة الأوبئة. ضعف الاستعداد قد يجعل الوباء المقبل فتاكا أكثر من إيبولا».

لم يأخذ الكثيرون تصريحات صاحب مايكروسوفت على محمل الجد لأن الدول الغربية اعتقدت أن فيروس إيبولا يقتصر فقط على منطقة معينة من القارة الافريقية دون سواها. وها هو كورونا يقتل منذ ظهوره أواسط كانون الأول/ديسمبر الماضي إلى بداية أيار/مايو الجاري 240 ألفا، وهو الرقم المعلن عنه رسميا، بينما يسود الاعتقاد في رقم أكبر يتجاوز 400 ألف، بينما إيبولا قتل فقط الافارقة. ومن باب المقارنة، قتل فيروس كورونا أكثر من 25 ألفا في اسبانيا حتى السبت 2 أيار/مايو الجاري، بينما أصيبت مواطنة واحدة بإيبولا في هذا البلد الأوروبي سنة 2013.

عندما حذّر بيل غيتس من خطورة الوباء المقبل، كان يستحضر تجربة وباء إيبولا ويفكر مثل باحث افريقي يصرخ منبها العالم لخطورة الوباء أكثر من باحث ينتمي إلى الغرب أو دول كبرى أخرى مثل الصين وروسيا ذات أجندة مختلفة في مواجهة الأوبئة.

كانت تحذيرات غيتس من وباء قاتل لا تلقى الاستجابة. لم تهتم بها وسائل الإعلام لأنها غير مثيرة للقارئ أو المتلقي عموما، ولم تلفت نظر حكومات العالم وخاصة الغربي. وأصبح العالم الآن على ضوء فيروس كورونا يدرك قيمة تصريحاته السابقة بأن بذل مجهود بسيط للتكهن بالأوبئة والاستعداد المسبق لها سيجنب العالم خسائر بشرية واقتصادية ضخمة.

ولا تشكل هذه الرؤية جديدا بل هي منتشرة وسط العلماء الذين يدرسون الفيروسات والبكتريا ولهم إلمام بتاريخ الأوبئة وما تسببت من فتك بالإنسانية. وإذا كان العالم لم ينتبه إلى تصريحاته وهو الوجه البارز في العالم، فكيف سيتم الانتباه لتصريحات عالم ولو كان حائزا على نوبل في الطب؟ ويردد أكثر من باحث «المرة المقبلة يجب أن نتعاقد مع نجم كروي مثل ميسي أو رونالدو ليكون ناطقا باسم المواضيع التي تشغل بال العلماء، فقد تنتبه نصف الكرة الأرضية لتصريحاته وتأخذها على محمل الجد».

وفي مقال له في مجلة «ذي إيكونوميست» الأسبوع الماضي كتب بيل غيتس «ينتظر الكثيرون أن في ظرف أسابيع ستعود الحياة إلى ما كانت عليه خلال ديسمبر، مع الأسف لا، البشرية ستنتصر فقط عندما يتم توفير الحقن للجميع بدون استثناء».

في غضون ذلك، لا يكف عن التحذير، ويقول «الآن بدأت الناس تدرك خطورة الوضع، لا ننسى أن هناك احتمالا قويا بأنه كل عشرين سنة أو أقل، وبسبب الأسفار الكثيرة، يظهر نوع من هذا الفيروس، ولهذا الناس تنتظر من حكوماتها جعل الصحة أولوية».

بدون شك، بعد تجربة كورونا فيروس سيكون العالم أكثر استعدادا لمواجهة الفيروس المقبل. ما حذّر منه غيتس سنة 2015 تحول إلى معتقد لن ينساه الجيل الحالي، لأن العالم لم يعش وباء منذ 1918 «الأنفلونزا الإسبانية»، والمثير أن معظم البشرية حاليا لم تكن تعرف وجود هذا الوباء حتى انفجر كورونا فيروس رغم أنه خلف ما بين خمسين مليون وستة مليون من الوفيات. لتستعد الإنسانية للوباء المقبل، وهذه المرة لن يقع ما كان سيقع.

حدث الأسبوع

اليمن: الحكم الذاتي للانتقالي الجنوبي مشروع يواجه الفشل لانعدام عوامل نجاحه محليا وخارجيا

تعز – «القدس العربي»: خالد الحمادي

حجم ردود الفعل السلبية التي رافقت الإعلان المفاجئ من قبل المجلس الانتقالي الجنوبي في اليمن لقراره بالحكم الذاتي للجنوب في 25 الشهر المنصرم، كشفت الأزمة التي يعيشها الانتقالي الجنوبي والتي عبّر عنها الكثير من المحللين بالورطة التي أوقع نفسه فيها، بعد أن ظل يراوغ ويلعب بأوراق عديدة خلال الفترة الماضية منذ سيطرة ميليشياته على محافظات عدن ولحج والضالع الجنوبية في آب (أغسطس) الماضي بدعم عسكري من دولة الإمارات.

والورطة التي وقع فيها الانتقالي الجنوبي بهذا الإعلان هي الكشف الصريح عن عزمه نحو انفصال الجنوب عن الشمال اليمني، وهو التوجه المرفوض محليا وإقليميا ودوليا للعديد من الأسباب والتي كانت قد حسمت في مؤتمر الحوار الوطني الشامل قبل انتهاء الحرب الراهنة، والذي استغرق قرابة عام كامل ناقش القضايا العالقة كافة وفي مقدمتها القضية الجنوبية، وتوصل الجميع إلى قرار بتطبيق النظام الفدرالي ذو الأقاليم الستة لإنهاء حالة المركزية المفرطة التي كانت السبب الرئيسي في سيطرة المركز على كل مقاليد الأمور وضمان التوزيع العادل للسلطة والثروة في البلاد.

والمشكلة الأخرى التي وضع الانتقالي نفسه فيها هي نسفه لاتفاق الرياض بينه والحكومة الشرعية برعاية السعودية، وهو ما يعني أنه أدخل نفسه في مواجهة مباشرة مع السعودية بعد أن ظلت الرياض تحاول لعب دور الوسيط لامتصاص ردود الفعل ضد الانتقالي الجنوبي جراء سيطرته عل محافظة عدن وما جاورها من المحافظات الجنوبية بدعم عسكري إماراتي، والذي أفضى إلى التوصل إلى التوقيع على اتفاق الرياض نهاية العام الماضي. غير أن إعلان الانتقالي الجنوبي لإدارته الذاتية للجنوب يعني نسف اتفاق الرياض وخوض مغامرة جديدة ضد الكل داخليا وخارجيا، ما عدا دولة الإمارات العربية المتحدة، التي وقفت بكل ثقلها إلى جانب المجلس الانتقالي الجنوبي، الذي يعد الوليد الشرعي لأبو ظبي في الجنوب اليمني، صنعته وميليشياته على مهل خلال سنوات الحرب الخمس الماضية ليكون أهم أدواتها ويدها الطولى هناك. الكاتب السياسي والقيادي في حزب الإصلاح اليمني عبده سالم أوضح أن إعلان المجلس الانتقالي لخيار الإدارة الذاتية «لا يعني سوى نقل المشكلة الجنوبية إلى أطوار جديدة بحيث يصبح من المتعذر حلها بمبادئ ونصوص اتفاق الرياض، باعتبارها قد تجاوزت الاتفاق واقعياً. وهذا لا يعني سوى الإعلان عن وفاة اتفاق الرياض وتحنيطه من قبل الانتقالي الجنوبي».

وأرجع سالم أسباب ذلك إلى أن المجلس الانتقالي بدأ يفرض معطيات جديدة على الأرض خارج مسارات اتفاق الرياض، وربما ترسخت هذه المعطيات بفعل الزمن، لأن «اتفاق الرياض لم يقدم معطيات جديدة حتى الآن لفرض خياراته كحل سوى دعوة الانتقالي ومناشدته للعودة إلى ما كان عليه قبل إعلان خيار الإدارة الذاتية».

المجلس الانتقالي الجنوبي في عدن

موضحا أن استمرار التحشيد الوطني والإقليمي والدولي ضد انقلاب المجلس الانتقالي على اتفاق الرياض «قد يعني محاولة لمحاصرة إجراءات الانتقالي، لكنه يعني أيضاً نقل المشكلة إلى طور جديد وبمشروعية جديدة ربما تجاوزت مفهوم اتفاق الرياض وخيار الإدارة الذاتية معاً، لاسيما إذا أصبحت المعطيات التي فرضها الانتقالي متجاوزة لاتفاق الرياض عملياً وغير متناغمة مع نصوصه ومقاصده».

إعلان الانتقالي الجنوبي للإدارة الذاتية على الجنوب قوبل برفض واستهجان كبير على كل الأصعدة، المحلية والخارجية، فمحليا قوبل بالرفض في أغلب المحافظات الجنوبية التي يدعي المجلس الانتقالي التحدث باسمها وأنه سيحكمها، وخارجيا قوبل بالاستهجان الواسع من قبل المجتمع الدولي وفي مقدمة ذلك الأمم المتحدة ومجلس الأمن والاتحاد الأوروبي، بالإضافة إلى مجلس التعاون الخليجي، وهو ما يعطي مؤشرا قويا بأنه لا مجال للاعتراف بإعلانه للحكم الذاتي للجنوب، الذي يسير على خطى الانقلابيين الحوثيين في الشمال، والذين لم يتمكنوا خلال الخمس السنوات الماضية من الحصول على الاعتراف بسلطتهم في صنعاء رغم أنهم أكبر قوة عسكرية وأكثر خبرة سياسية ولديهم موارد مالية أفضل من الانتقالي الجنوبي في عدن.

عَلَم خاص وميليشيا

العديد من المراقبين يرون أن قرار الانتقالي الجنوبي كان متعجلا ولم يكن ناضجا حيث لم يدرس الأجواء المحيطة به والعوامل التي قد تؤدي إلى فشله في حال استمر على هذا المنوال، على الرغم من أنه أوضح أن هذا القرار هو مجرد إدارة ذاتية للجنوب للتخفيف من الأعباء والالتزامات، لكنه في حقيقته يكشف عن توجه لحكم ذاتي للجنوب لاجتماع مقومات ذلك على الأرض من عَلَم خاص وميليشيا خاصة وإقليم خاص والسعي للحصول على موارد خاصة. وفي ظل هذا الاستعجال حشر الانتقالي الجنوبي نفسه في زاوية ضيقة هي مثلث (عدن، لحج والضالع) التي هي أصلا تحت سيطرته منذ انقلابه هناك على الشرعية في آب (أغسطس) من العام الماضي بدعم عسكري كبير مباشر من القوات الإماراتية التي كانت متواجدة في محافظة عدن، بينما رفضت المحافظات الأخرى كافة انضمامها أو اصطفافها إلى جانب المجلس الانتقالي، ليجد نفسه معزولا عن محيطه المحلي والخارجي، في حين أن قيادته السياسية محاصرة في العاصمة الإمارتية أبو ظبي، التي أعلنت منها هذا القرار المفاجئ، وممنوعة من العودة إلى الجنوب بقرار من التحالف العربي في اليمن الذي تقوده السعودية والذي يتحكم بالأجواء وحركة الملاحة الجوية اليمنية.

قد يرى البعض أن القبضة الحديدية التي فرضها المجلس الانتقالي الجنوبي على محافظات عدن ولحج والضالع بواسطة ميليشياته المدعومة من الإمارات جعلت منه سلطة أمر واقع مثل الحوثيين في صنعاء، لكن الواقع في الجنوب يختلف كثيرا عن الشمال، حيث أن الانتقالي لا يحظى بدعم شعبي كبير في الجنوب، وهو ما يفقده الحاضنة الشعبية التي استغلها الحوثيون عند اجتياحهم للمحافظات الشمالية، والتي كانت في حقيقة الحال شعبية حزب المؤتمر الذي كان يرأسه الرئيس الراحل علي عبدالله صالح، الذي كان حليفا للحوثيين عند القيام بانقلابهم على سلطات الدولة واجتياح العاصمة صنعاء والسيطرة على مؤسسات الدولة كافة في أيلول (سبتمبر) 2014.

طور جديد من الصراع

قيادة المجلس الانتقالي وميليشياته تنحدر أغلبها من محافظتي الضالع ولحج والتي لا تحظى تاريخيا بالقبول لدى سكان المحافظات الجنوبية الأخرى كمحافظة عدن وأبين وحضرموت وشبوه وغيرها، وحتى في حال استمر الانتقالي في تطلعاته نحو فرض الإدارة الذاتية، فإن ذلك يعني الدخول في طور جديد من الصراع الجنوبي الجنوبي، خاصة وأن المبررات التي كانت وراء نشوء الحراك وتصاعد القضية الجنوبية قبل نحو 13 سنة والمطالبة بالانفصال قد زالت بزوال نظام الرئيس السابق علي عبدالله صالح، الذي شهدت فترة حكمه تهميشا للجنوب لصالح الشمال منذ حسمت قواته المعركة في صيف 1994 لصالحه ضد خصومه من قيادات السلطة الجنوبية حينذاك، حيث أصبح الحكم حاليا بيد جنوبيين من أعلى هرم السلطة الشرعية التي يمثلها الرئيس عبدربه منصور هادي، مرورا بأهم القيادات السياسية والعسكرية والأمنية وانتهاء بالقيادات الدبلوماسية للبلاد.

وكان الانتقالي الجنوبي حاول التوسع خارج إطار المثلث الذي يسيطر عليه في الجنوب، وذلك بتحريك الميليشيا الموالية له، أمس الأول، للسيطرة على مقاليد الأمور في محافظة أرخبيل سقطرى، غير أن التحرك القوي لمحافظ سقطرى رمزي محروس، حسم الأمر لصالح الشرعية الحكومية وقال إن «القوات الحكومية تمكنت من إيقاف الهجوم الذي شنه موالون للمجلس الانتقالي الجنوبي المدعوم إماراتيا».

ونشرت وسائل إعلامية محلية صور فيديو لمحافظ سقطرى وهو محاط بقوات حكومية في أحد شوارع مدينة حديبو، عاصمة سقطرى، بعد ساعات عدة من الهجوم الذي شنته ميليشيا المجلس الانتقالي الجنوبي المدعومة من الإمارات هناك، التي تحاول منذ الشهر الماضي السيطرة على مدينة حديبو ومؤسسات الدولة فيها، حيث تسعى أبو ظبي إلى تحويل جزيرة سقطرى لمستعمرة إماراتية لخدمة مصالحها هناك أو لتأجيرها كقاعدة عسكرية لصالح الدول الكبرى التي تتسابق منذ زمن طويل للحصول على موطئ قدم في هذه الجزيرة التي تقع في المحيط الهندي.

وقال محروس للقوات العسكرية الحكومية «ما نفعله اليوم هو حماية لأهلنا وأعراضنا ونواسنا وأطفالنا في هذه المحافظة» وحظي خطابه باستجابة وقبول لدى أبناء وسكان جزيرة سقطرى وأفشل مخطط الانتقالي الجنوبي في السيطرة عليها، الذي أعقب إعلانه لفرض الإدارة الذاتية على المحافظات الجنوبية ومنها سقطرى.

ووفقا للكثير من المحللين اليمنيين وغيرهم يحمل قرار الانتقالي الجنوبي بالحكم الذاتي كل بذور الفشل ويعد «مشروعا غير مشروع» ولا يمكنه الحصول على أي مشروعية على الأقل في المدى المنظور، وعليه ولد هذا المشروع ميتا ولم يشكل أي إضافة للمجلس الانتقالي، سواء إعلانه رسميا طرد الحكومة الشرعية من عدن والانقلاب على اتفاق الرياض معها والتوجه نحو تفرده بإدارة شؤون عدن وضواحيها.

«المجلس الانتقالي الجنوبي» ومسرح السمن على عسل

صبحي حديدي

لعلّ المعادلات في جنوب اليمن، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، أو حتى تلك القبائلية والمذهبية، أكثر وضوحاً وتبلوراً من أن تشهد عرضاً جديداً في الكوميديا الباهتة، الخرقاء والجوفاء، التي يديرها ما يُسمى بـ«المجلس الانتقالي الجنوبي» منذ أيار (مايو) 2017 حين أعلن عيدروس الزبيدي تشكيل المجلس وأطلق أولى العروض المسرحية.

فإذا كان الزبيدي قد تفاخر، يومذاك، بمساندة محافظي خمس مدن جنوبية، واثنين من الوزراء في الحكومة اليمنية، وتكتم في المقابل على الدعم الحقيقي الأكبر والأهمّ الذي تلقاه من الإمارات العربية المتحدة؛ فإنّ المجلس اليوم يبدو منعزلاً تماماً في مدينة عدن، لا تمدّه أبو ظبي (بعد انسحابها العسكري من الميدان الصيف الماضي، وبعد أن قطعت عن المجلس معظم السيولة المالية وأوقفت صرف رواتب العديد من عناصره) إلا بالتعاطف، المضمر المبهم.

المسمّى الآخر، «تحالف دعم الشرعية»، وقع في حرج بادئ ذي بدء، ساعة إقدام المجلس على إعلان الحكم الذاتي وفرض قانون الطوارئ؛ قبل أن يضطرّ إلى كسر الصمت وإصدار بيان يشدد، بوضوح لا مناص منه، على ضرورة عودة الأوضاع إلى سابق عهدها، وضرورة إلغاء أي خطوة تخالف اتفاق الرياض. وهكذا كان المشهد التالي، في أحدث العروض المسرحية، أنّ الانتقالي رحّب بالبيان، وزاد عليه ضرورة ثالثة، قصوى هذه المرّة: تكثيف الجهود لمعالجة أضرار السيول في العاصمة عدن.

على صعيد المعادلة السياسية الأوسع نطاقاً في جنوب اليمن، تواصل مكوّنات «الحراك الجنوبي» رفض «استخدام القضية الجنوبية في صراعات باطنها حبّ السلطة وظاهرها شعارات الحراك الجنوبي»، كما جاء حرفياً في بيان أصدره عدد من أبرز قيادات الحراك التاريخية. وهذه، للتذكير المفيد، تضمّ المجلس الأعلى للحراك الثوري لتحرير واستقلال الجنوب، ومجلس الحراك المشارك في مؤتمر الحوار الوطني، والجبهة الوطنية لتحرير واستقلال الجنوب، وجمعية المتقاعدين العسكريين، والحركة الشبابية والطلابية، والهيئة الشرعية الجنوبية للإفتاء والإرشاد، وحزب جبهة التحرير، وقطاع المرأة، والمجلس الوطني، وثورة 16 فبراير، وسواها.

السعودية، من جانبها، جرّبت مجاراة شريكتها الإمارات في المقامرة بنفخ أمثال الزبيدي وهاني بن بريك إلى مستوى اللاعبين الكبار في نطاق الجنوب، ثمّ تمكينهم من بعض اللعب بالنار عن طريق محاولة السيطرة على عدن مطلع العام 2018 ثمّ في الصيف الماضي عند اقتحام القصر الرئاسي في المعاشيق. لكن المملكة، مع نكساتها العسكرية المتعاقبة في اليمن، واستقرارها على رعاية اتفاقية الرياض، وضعت خاتمة أولى لتلك المقامرة؛ الأمر الذي كانت أبو ظبي قد ابتدأته بنفسها، حين انسحبت عسكرياً وقلّصت السيولة المالية التي كانت تقيم أود «الانتقالي».

وهكذا فإنّ العرض المسرحي الأخير، الذي اقتصر على عدن وتجلى في استعراضات عسكرية بلهاء، وعربات تجوب الشوارع على غير هدى، وسيطرة على المصرف المركزي؛ كان نذيراً جديداً بأنّ «الانتقالي» رُدّ إلى مبتدأ أوّل انطلق منه، وإلى الحجم الفعلي الميداني، والصيغة الوحيدة اللائقة به: أنه ميليشيا يقودها لواء/ محافظ سابق، ذراعه اليمنى (بن بريك) ليس سوى ذلك الجهادي الذي قاتل في أفغانستان ذات يوم، وانضم إلى «أنصار الشريعة» فأفتى بجواز ذبح المجندين في الجيش اليمني، وأيضاً: قاتل أبناء الجنوب أنفسهم خلال حرب 1994، وكان يومها ضابطاً برتبة نقيب في صفوف علي عبد الله صالح!

وتبقى معادلة أخيرة تخصّ رئاسة هادي، الذي لم يتوقف يوماً عن المشاركة في لعبة كراسٍ موسيقية، فُرضت عليه تارة أو ارتضى الانخراط فيها تارة أخرى؛ ليس في كلّ ما يتصل بشؤون الحرب الأهلية اليمنية وشجونها بصفة عامة، بل كذلك وعلى نحو خاصّ في العلاقة مع الزبيدي، ربيبه السابق. وليس عجيباً أنّ «الانتقالي»، الذي تعوّد على تبديل الولاءات وإجناء الهامة هنا وهناك، يذكّر هادي بذلك الماضي القريب حين كانت العلاقة بينهما أشبه بالسمن على عسل.

غير مؤكد اليوم، في المقابل، أنّ «الانتقالي» ما يزال يحظى ببعض سمن أبو ظبي؛ فما بالك بالعسل!

السنة الثانية والثلاثون العدد 9893 الأحد 3 آيار (مايو) 2020 – 10 رمضان 1441 هـ

الأيدي الإماراتية وأدوارها الخفية جنوب اليمن لتنفيذ أجندات انفصالية تقلب الطاولة على حليفتها السعودية

الدوحة ـ «القدس العربي»:
سليمان حاج إبراهيم

بن زايد وبن سلمان وهادي

كان من الواضح أن خطوة «المجلس الانتقالي المؤقت» إقامة دولة جنوب اليمن، برئاسة عيدروس الزبيدي، المقيم في أبو ظبي، تأتي بمباركة دولة إقليمية، تدّعي أنها حليف في دعم الشرعية في اليمن. وتتوجه أصابع الاتهام في تقويض سلطة الحكومة اليمنية والرئيس عبد ربه منصور هادي، ومن خلفه السعودية التي ظهرت بدون سيطرة حقيقية على التطورات في اليمن، نحو الإمارات العربية المتحدة.

وكان واضحاً أن أبو ظبي كانت تستهدف بمشاركتها قبل ست سنوات في التحالف الذي تقوده السعودية في اليمن، تحقيق عدد من الأهداف الاستراتيجية والحيوية، بما يضمن مصالحها، والتي لم يكن ضمنها دعم الشرعية والوحدة، في البلد الذي تمزقه الصراعات المحلية والدولية.

وفضح عدد من مراكز الأبحاث والدراسات المهتمة بالشرق الأوسط، الأطماع الإماراتية، وكشف خفايا سياساتها في المنطقة، وخططها للهيمنة والنفوذ.

واعتبر مركز «كارنيغي الشرق الأوسط» في مقال تحليلي أن الإمارات راهنت منذ البداية على حماية مصالحها جنوب اليمن، عن طريق دعم فصائل محلية، والاستناد عليها في تمرير الخطط.

وكشفت الورقة البحثية، أن أبو ظبي «كانت تغير حساباتها في البلد المتنازع عليه، على حساب حليفتها السعودية، لتمضي نحو دعم كيانات سياسية وعسكرية مستقلة عن الحكومة الشرعية».

وأضاف باحثو المركز أنه «بعد دعمها تشكيل المجلس الانتقالي الجنوبي الذي يطالب بالانفصال، استقطبت الإمارات أيضاً العميد طارق صالح، وهو الذي بدّل موقعه من مواجهة التحالف العربي، إلى التعاون معه بعد مقتل عمه، الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح، على يد الحوثيين في 4 كانون الأول/ديسمبر 2017». وتلمح الورقة بالتطرق إلى هذه النقطة، إلى التشكيلات التي تفرخت في الجنوب، حيث شكّل حليف أبو ظبي لاحقاً ما عُرف بـ«المقاومة الوطنية» وهي قوة على قدر عالٍ من التدريب تتكون إلى حد كبير من قوّات سابقة في الحرس الجمهوري اليمني، بدون الانضواء تحت قيادة حكومة الشرعية برئاسة عبد ربه منصور هادي.

ورقة الإمارات الرابحة

وجهت الإمارات دفة ساريتها المتحركة في اليمن نحو خيار دعم التشكيلات المحلية في عدن والمحافظات الأخرى، لهدف خفي غير معلن، وهو دعم انفصال جنوب اليمن عن شماله.

ويطرح المتابعون للملف تساؤلات عن حقيقة التواجد الإماراتي في اليمن، منذ أعلنت خلال شباط/فبراير الماضي انسحاب قواتها من البلد، وهو الثاني بعد أن أعلنت نهاية تموز/يوليو الماضي سحب جنودها بشكل جزئي.

وتحدث مسؤولون يمنيون محليون، بصريح العبارة عن أن دور القوات الإماراتية في اليمن طوال خمس سنوات، اقتصر على تنفيذ مهام غير قتالية، مقابل تمويل تشكيلات عسكرية «موازية» حاولت أن تجعل منها بديلا عن مؤسسات الحكومة الشرعية، الأمنية والعسكرية، وصفت أحياناً أنها أدوار قذرة.

وسلط وزير النقل اليمني السابق صالح الجبواني، الضوء على ما وصفها الأدوار الإماراتية الخفية في اليمن، تزامناً مع تحرك المجلس الانتقالي الذي تدعمه نحو تعزيز خيار الانفصال.

وكشف المسؤول في تصريحات صحافية، إنه تصدى للإمارات، لإدراكه مبكراً ما سماه مشروعها التقسيمي التدميري في اليمن. واستطرد أن السعودية تغض الطرف عما تفعله الإمارات هناك، ولا يدري إن كان ذلك تجاهلاً أو تواطئاً.

فتش عن الإمارات

الاتهامات الموجهة نحو الإمارات العربية بشأن زعزعة الاستقرار في اليمن، ودعم الحركات الانفصالية، واللعب من وراء ظهر حليفها، تستند على عدد من الشواهد والإثباتات، التي تدفع جميعاً نحو ترسيخ هذه الفكرة.

فبعيد ساعات من إعلان رئيس المجلس الانتقالي الجنوبي عيدروس الزبيدي، بيان الإدارة الذاتية لمدن الجنوب، وفرض حال الطوارئ، اتهم مصدر في الحكومة اليمنية الإمارات بمحاولة زعزعة استقرار سقطرى والدفع لصدام دموي، تزامناً مع تمرد الانتقالي.

وفسر مستشار وزير الإعلام اليمني، مختار الرحبي في تغريدة على حسابه في «فيسبوك» تحركات الإمارات، إلى أنها، بعد طردها من عدن، بدأت في استخدام أدواتها من ميليشيات الانتقالي، وبعض الزعامات المحسوبة عليها والتي للمفارقة تقيم هي وعائلاتها في أبو ظبي، خدمة لأجنداتها.

واستطرد أن الإمارات لا تستهدف بالدفع نحو انفصال الجنوب، السيطرة على جزيرة سقطرى فحسب، وإنما عينها على ميناء عدن، والممرات المائية، ومضيق باب المندب، والمناطق الاستراتيجية.

ومقابل هذه الأطماع، يستطرد المسؤول اليمني، تقف الحكومة اليمنية الشرعية عاجزة إلا من إطلاق التصريحات الاستنكارية والاستنجادية، التي لا تغير معادلة الوضع.

ووفقا لمراقبين، ستستغل الإمارات إعلان الانتقالي حال الطوارئ والإدارة الذاتية للمحافظات اليمنية الجنوبية، لتستكمل مشروعها التوسعي، وتنتزع سقطرى من الحكومة اليمنية التي لا تبدو في وضع يجعلها قادرة على كبح جماح أبو ظبي وبياداقها.

ليست المرة الأولى

التفاعلات الحاصلة في المشهد اليمني في الفترة الأخيرة مع وقف السعودية إطلاق النار، وانقلاب حلفاء الإمارات على قائدة قوات التحالف، ليست وليدة اللحظة، وفهمها يتطلب ربطها بأحداث جرت سابقاً.

فقبل سنة، أثارت ضربات جوية نفذتها مقاتلات إماراتية جنوب اليمن، العديد من التساؤلات عن دوافعها، والسبب وراء استهداف قيادات يفترض أنها عملياً من الشرعية. ومعها كان الجميع عاجزا عن فهم ما تريده أبو ظبي، وهي الشريك الأساسي للمملكة العربية السعودية، في التحالف الذي تشكل، بهدف تحرير اليمن من سيطرة الحوثيين كما أعلن.

وفي الوقت الذي اتهمت فيه، حكومة الرئيس عبد ربه منصور هادي، والتي تعرف بالحكومة الشرعية لليمن، الإمارات العربية المتحدة، بشن غارات جوية على قواتها في جنوب اليمن، حيث تدور معارك مع الانفصاليين، قالت الإمارات إنها نفذت ضربات جوية في عدن ضد «تنظيمات إرهابية» هاجمت قوات التحالف بقيادة السعودية والمطار.

وأكدت وزارة الخارجية الإماراتية في بيان لها، على حقها في الدفاع عن النفس، داعية المجتمع الدولي، للتحرك ضد «الجماعات الإرهابية» في جنوب اليمن.

وتتمثل حساسية الضربات الإماراتية، في كونها استهدفت وفق الحكومة الشرعية لليمن، قوات تابعة لهذه الحكومة، يفترض أن تتلقى دعم التحالف، الذي تمثل فيه الإمارات ثاني أكبر طرف، وليس ضربات من هذا القبيل.

وكان الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي، قد دعا من جانبه المملكة العربية السعودية، للتدخل لإيقاف «تدخل الإمارات ودعمها للانفصاليين وإيقاف الغارات الجوية ضد قوات الحكومة اليمنية». وقال هادي في بيان له إن «المجلس الانتقالي هاجم مؤسسات الدولة في عدن بدعم من دولة الإمارات».

هذه الحادثة استرجعها المراقبون وهم يفسرون سر توقيت إعلان المجلس الانتقالي الجنوبي خطواته التصعيدية ضد الحكومة الشرعية.

جنوب اليمن

لكن الشواهد على انحراف الإمارات عن أهداف التحالف العربي كثيرة، وهي بدأت مبكرًا، تجسدت عبر الفرز المناطقي، ودعمها وإبرازها لعناصر محددة على الساحة، واتضح أكثر بإصرارها على إقالة وإبعاد قادة المقاومة الوطنية الحقيقيين من السلطة المحلية في عدن ومحاولة تصفيتهم.

وليس أقلها إن الإمارات منعت الرئيس هادي والبرلمان والحكومة من العودة إلى عدن (العاصمة المؤقتة) وممارسة صلاحيتهم، وتوجت ذلك باحتلال المطارات والموانئ ومنع تصدير النفط والغاز والزج بالعشرات من شباب المقاومة في سجون سرية وتعذيبهم. وكان في وقت من الأوقات في كل مركز أمني، أو إدارة خدمية أحد الضباط الإماراتيين، أو الموالين لها، يعملون لحساب أبو ظبي في عدن وأغلب المحافظات الجنوبية.

تمكين الإمارات لرجالاتها وتأسيس خلايا جنوب اليمن تنفذ أجندتها، مسار لم يكن وليد اللحظة، ويمتد من لحظة استعادة المحافظة من قبضة الحوثيين تموز/يوليو 2015 حين قامت ببناء أذرع أمنية وعسكرية خارج إطار الحكومة، وقوضت مؤسسات الدولة.

وتركزت استراتيجية الإمارات حسب عبد السلام محمد، رئيس مركز «أبعاد» للدراسات والبحوث، في «السيطرة على الموانئ والتواجد في الساحل الغربي على الضفة الأخرى من منطقة القرن الافريقي، التي تمتلك فيها قواعد عسكرية».

كما حولوا بلدة «ذو باب» القريبة من باب المندب إلى قاعدة عسكرية يتحكمون فيها بالكامل، وهجّروا جميع سكان البلدة البالغ عددهم نحو عشرة آلاف مواطن، ونقلهم إلى خيام في منطقة صحراوية، وفي ظروف قاسية، من أجل تحويل مساكنهم إلى ثكنات عسكرية.

كلمة السر

الخطط الإماراتية للسيطرة وتعزيز نفوذها جنوب اليمن، ثم بسط يدها على المواقع الاستراتيجية، تعود إلى عام 2011 ومن يومها وعينها أساساً على الموانئ التي تعتبر مجالاً حيوياً يسيل له لعاب سياستها.

واستشاطت أبو ظبي غضباً لإلغاء مجلس إدارة مؤسسة موانئ خليج عدن اتفاقية تأجير ميناء عدن لشركة موانئ دبي العالمية، التي وقّعها نظام الرئيس السابق علي عبد الله في العام 2008.

القرار الذي أغضب الإمارات تقف خلفه حكومة الوفاق الوطني التي تشكلت بعد الإطاحة بعلي عبد الله صالح الذي لم يهتم كثيراً لتعطيل الميناء الحيوي جنوب بلاده من قبل شركة وقعت عقدا لتطويره وتشغيله لا تعطيله، كونه –أي ميناء عدن– يقع على الخط الملاحي الدولي الرابط بين الشرق والغرب.

الإمارات التي تطمح لتكون مركزاً دولياً في الملاحة البحرية، (موانئ دبي العالمية تدير ما يقارب 70 ميناء في الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية مروراً بإريتريا وجيبوتي) ترى في أي محاولة لتطوير ميناء عدن الاستراتيجي أكثر الموانئ ازدحاماً في العالم، مهدداً لأمنها القومي والاقتصادي.

مواقف دولية خجولة

وبينما تمضي الإمارات في تنفيذ أجنداتها خلف أذرعها الممتدة في كل مكان جنوب اليمن، جاءت ردود الفعل على قرار المجلس الانتقالي الجنوبي خجولة وغير فعالة.

السعودية التي تستضيف الحكومة الشرعية ومقر التحالف الذي أعلن تشكيله لدعم وحدة الدولة الجارية التي تعتبرها خاصرتها الحيوية، لم تبد أي تحرك جاد لوقف خطوات استقلال الجنوب.

وتوالت ردود الفعل الأخرى على المنوال نفسه حيث أعرب وزير الخارجية الأمريكي بومبيو، عن قلق الولايات المتحدة إزاء الإجراءات الأخيرة التي اتخذها المجلس الانتقالي الجنوبي، بما في ذلك الإعلان عن الحكم الذاتي. لكن خلف تلك الدعوات والتصريحات تمضي الإمارات في تنفيذ أجندتها الخاصة وسياساتها، وتبذل المساعي لبسط نفوذها جنوب اليمن، ضمن استراتيجيتها التوسعية في المنطقة.

> السعودية لم تبد أي تحرك جاد لوقف استقلال الجنوب

Volume 32 - Issue 9893 Sunday 3 May 2020

اليمن: المجلس الانتقالي الجنوبي نقطة خلاف بين السعودية والإمارات هل يظفر بحكم ذاتي؟

من القصف السعودي لليمن

إحسان الفقيه

ينظر للصراع الداخلي، أو الحرب الأهلية في اليمن، على أنها حرب بالوكالة بين السعودية وإيران منذ سيطرة جماعة أنصار الله «الحوثي» على العاصمة صنعاء في أيلول/سبتمبر 2014 والإطاحة بحكومة عبد ربه منصور هادي وطردها من صنعاء.

وخلافا للموقف السعودي، تنظر دولة الإمارات للصراع في اليمن على أنه صراع ثلاثي بين جماعة الحوثي وقوى علمانية يمثلها المجلس الانتقالي الجنوبي وقوى إسلامية مسلحة ممثلة لحركات الإسلام السياسي «التجمع اليمني للإصلاح» التي تقود الإمارات الحرب عليها في اليمن وليبيا ومصر ودول أخرى.

لكن التحالف العربي بقيادة السعودية وشراكة دولة الإمارات وعشر دول أخرى، لم يتشكل إلا بعد مرور نصف عام على سيطرة جماعة الحوثي على صنعاء مع حزمة من الآمال بثها ولي العهد السعودي بإنهاء الحرب وحسمها عسكريا في غضون أسابيع، ثم في غضون أشهر لكنها لم تحسم حتى بعد دخولها عامها السادس.

ولا تزال الحرب في حالة جمود «عسكري» منذ أكثر من عامين على الرغم من تسببها بأسوأ أزمة إنسانية ومقتل نحو مئة ألف يمني، بينما تتسع مساحة سيطرة جماعة الحوثي باستعادته الكثير من المناطق التي سبق أن خسرها بين عامي 2015 و2018 مع سيطرته على معظم المدن الكبرى ذات الكثافة السكانية العالية.

الدور الأهم في التحالف العربي لدعم شرعية حكومة عبد ربه منصور هادي، هو للقوات الإماراتية والقوات المحلية الحليفة لها بعد الدور السعودي الداعم للحكومة الشرعية.

لكن الإمارات والقوات الحليفة لها ومنذ منتصف عام 2019 دخلت في حروب داخلية عبثية بعيدا عن أهداف التحالف العربي في طرد جماعة الحوثي من العاصمة وهزيمتهم عسكريا مكتفية بدعم قوات المجلس الانتقالي الجنوبي «الانفصالية» التي فرضت سيطرتها بالكامل على العاصمة «المؤقتة» عدن في تشرين الثاني/نوفمبر 2019 ما دعا السعودية للضغط على طرفي الصراع المحلي، الحكومة الشرعية والمجلس الانتقالي، لتوقيع اتفاقية الرياض في كانون الثاني/يناير الماضي، والتي لم تصمد طويلا بعد خرقها من قبل قوات المجلس الانتقالي الجنوبي في اذار/مارس الماضي، وأخيرا إعلان سلطة الإدارة الذاتية في 25 نيسان/أبريل، في مدينة عدن ومحافظات جنوبية أخرى بعد «كارثة» سيول عدن الأخيرة واتهام حكومة هادي بالعجز والفشل في مواجهتها.

تركز الإمارات في سياساتها العسكرية في اليمن على ثنائية دعم المجلس الانتقالي الجنوبي لمواجهة التجمع اليمني للإصلاح «إخوان مسلمين» الذي يشكل العمود الفقري للحكومة الشرعية من ناحية، ومن ناحية أخرى تعزيز نفوذها في الحفاظ على مصالحها الاقتصادية في الموانئ الرئيسية والمحافظات الجنوبية، الساحلية منها ومحافظة سقطرى، أو جزيرة سقطرى، ذات الأهمية الاستراتيجية في جوانب شتى تتعلق بموقعها الجغرافي وطموح الإمارات في التمدد في البحر الأحمر والقرن الافريقي ومضيق باب المندب. ويعتقد على نطاق واسع، أن دولة الإمارات تتبنى سياسة معلنة تقف فيها إلى جانب السعودية واستراتيجياتها في اليمن، وسياسة أخرى داعمة بشكل «خفي» للقوات الحليفة لها في المجلس الانتقالي الجنوبي وتوجهاته في انفصال المحافظات الجنوبية والعودة إلى ما قبل الوحدة بين شطري اليمن.

كما أن للإمارات مصالح في جنوب اليمن متعلقة بأمن مضيق باب المندب الحيوي لتجارتها مع الولايات المتحدة وأوروبا، وحماية مرور الطاقة عبر البحر الأحمر.

انقلاب جديد

تزامن إعلان الإدارة الذاتية، مع خطوات عسكرية اتخذها المجلس الانتقالي الجنوبي المدعوم إماراتيا بمحاولة السيطرة على البنك المركزي في عدن ومؤسسات الحكومة الشرعية والوزارات، لكن السعودية بادرت على الفور برفض إعلان الإدارة الذاتية وتحريك قوات سعودية وأخرى تابعة للحكومة الشرعية لحماية البنك المركزي والمؤسسات الأخرى حالت دون سيطرة قوات المجلس عليها. وجُوبه إعلان الإدارة الذاتية برفض إدارات المحافظات الجنوبية، حضرموت وأبين وشبوة والمهرة وسقطرى، مع إعلان واضح وصريح بدعم سياسات الحكومة الشرعية وقيادة التحالف العربي.

ومن دون أن تعلن ذلك صراحة، رأت الحكومة السعودية التي بادرت فورا لإدانة إعلان الإدارة الذاتية بأن هذه الخطوة هي «انقلاب» جديد على الحكومة الشرعية ضمن سلسلة من الانقلابات التي نفذها المجلس الانتقالي الجنوبي طيلة سنوات بدعم إماراتي «خفي» للسيطرة على المحافظات الجنوبية وتقويض شرعية حكومة عبد ربه منصور هادي التي تنظر إليها دولة الإمارات على أنها حكومة خاضعة في قراراتها لهيمنة حركات الإسلام السياسي، أي التجمع اليمني للإصلاح.

وطالبت الحكومتان السعودية والإماراتية في تصريحات مشتركة، قيادة المجلس الانتقالي بسحب إعلان الإدارة الذاتية والعودة إلى اتفاق الرياض الذي كان يقضي باقتسام السلطة بين المجلس والحكومة الشرعية، بمشاركة قوى يمنية أخرى مؤثرة في الواقع السياسي والعسكري.

تتحدث تقارير إعلامية عن أن إعلان الإدارة الذاتية من قبل رئيس المجلس الانتقالي الجنوبي عيدروس الزبيدي، كان من محل إقامته في دولة الإمارات التي انسحبت «جزئيا» من اليمن في منتصف عام 2019 مع استمرار دعم المجلس الانتقالي الذي يخضع بالكامل لنفوذ دولة الإمارات.

ومن غير المرجح أن تتكلل مساعي دولة الإمارات بالنجاح في فرض الإدارة الذاتية كأمر واقع من دون أن تتلقى دعماً خارجيا من الولايات المتحدة، وفي الوقت ذاته فإن الإمارات «قد» لا تمارس أي ضغط على قيادة المجلس للتراجع عن قراره بإعلان الإدارة الذاتية والعودة إلى اتفاق الرياض.

تنذر الأحداث الأخيرة بمستقبل غامض لليمن بعد خمس سنوات من الحرب الأهلية قد تؤدي إلى تقسيمه خلافا للاستراتيجيات السعودية التي تنطلق من مصالحها في وحدة اليمن وهزيمة جماعة الحوثي عسكريا، لمنع التهديدات المحتملة على مدنها الحدودية مع اليمن، والتهديدات الأخرى المتعلقة بقدرات جماعة الحوثي على استهداف البنية التحتية للطاقة في العمق السعودي مع أي زيادة في حدة التوترات السعودية أو الأمريكية مع إيران في المنطقة.

ومن غير المتوقع أن تدخل القوات السعودية في مواجهات مباشرة مع قوات المجلس الانتقالي الجنوبي، أو إلى جانب أي طرف من طرفي الصراع داخل الجبهة المناهضة لجماعة الحوثي.

السنة الثانية والثلاثون العدد 9893 الأحد 3 آيار (مايو) 2020 – 10 رمضان 1441 هـ

«دعسة الانتقالي» ترتد على الإمارات

رلى موفّق

ثمّة قناعة راسخة، سواء في الداخل اليمني أو خارجه، بأن المجلس الانتقالي الجنوبي لا يُحرّك ساكناً من دون التشاور والتوافق مع دولة الإمارات، لا بل هي صاحبة اليد الطولى والتأثير النهائي على «الانتقالي». من هنا، لم يكن ممكناً عدم تحميل أبو ظبي تداعيات قرار المجلس الانتقالي بإعلان حالة الطوارئ والإدارة الذاتية للجنوب الذي دام أسبوعاً قبل أن يجد نفسه مضطراً إلى العودة عن قراره الذي قال إنه «جاء من أجل تحريك المياه الراكدة في عملية اتفاق الرياض».

قراءة مجريات الأحداث، منذ تمرّد المجلس على شرعية عبد ربه منصور هادي في عدن في آب/أغسطس 2019، وما سبقها من صراع علني ومكتوم بين الجانبين منذ تحريرها من أيدي الحوثيين قبل سنوات خمس، تنطلق من المسار السياسي لـ«الانتقالي» لإعادة انفصال الجنوب عن الشمال إيذاناً بانتهاء حقبة من الوحدة اليمنية التي تحققت عام 1990. وهو مسارٌ يُناقض مخرجات الحوار الوطني الشامل التي نصّت على دولة اتحادية من ستة أقاليم، لكنه يُعبّر عن حلم جزء من الجنوبيين.

ومنذ إنشاء «التحالف العربي» الذي تقوده السعودية وتُشكّل الإمارات شريكاً رئيسياً فيه، وجد «الانتقالي» لدى قيادات أبو ظبي دعماً لهذا المسار، عكس الرياض التي تتمسّك بوحدة اليمن ولا تستسيغ مشاريع انفصالية، ولا سيما أن الأولوية راهناً هي لتوحيد الصف لاستعادة صنعاء من الحوثيين وتمكين سيطرة الشرعية على الأراضي اليمنية.

تباين جوهري في الموقف الإماراتي–السعودي حول الجنوب، فيما الرياض منشغلة في الشمال اليمني باستهداف الحوثي لحدودها في حرب استنزاف قاسية وإطلاق مسيَّرات فوق أراضيها وصواريخ بالستية إلى عمق مناطقها. وهو تباين فتح الباب أمام «المجلس» لتحيّن الفرص لمراكمة مكاسب على طريق تحقيق حلم الانفصال، في حسابات مدروسة للتوقيت والظروف، تحت سقف عدم انتكاس العلاقة بين الحليفين السعودي–الإماراتي.

هذا ما حصل في معركة عدن بين الشرعية و«الانتقالي». تدخلت الرياض لحصر الأضرار، فكانت التسوية التي أفضى إليها «اتفاق الرياض» في تشرين الأول/أكتوبر الماضي، الذي أعاد رسم نفوذ الجانبين عبر سلسلة من الترتيبات السياسية والاقتصادية والعسكرية وفق جدول زمني. ارتكزت التسوية على حرف «الانتقالي» عن هاجس الانفصال، من خلال تكريس شراكة المناصفة في الحكومة بين المحافظات الشمالية والجنوبية ضمن الترتيبات السياسية. تحوَّل الخلاف بين الشرعية و«الانتقالي» إلى أسبقية الترتيبات السياسية والعسكرية، بحيث شكّل أداة عرقلة يتهم كل طرف الآخر به، لكنه خلاف أبقى الجمر تحت الرماد.

يقول أحد السياسيين الجنوبيين المؤيدين لهادي، إن الحكومة الشرعية عملت على تحريك قواتها في المعسكرات المحيطة بعدما تخلّف «المجلس» عن تسليم السلاح وفق ما تنص الإجراءات العسكرية، لكن الرياض أثنتها عن تلك الخطوة، تفادياً لتطوُّر الصراعات اليمنية–اليمنية من جهة، ورغبة منها في عدم حدوث أي توتر في العلاقة بينها وبين أبو ظبي حول الملف اليمني. تسلّل المجلس الانتقالي من خلال الموقف السعودي، فحوّله إلى فرصة مع أزمة السيول، وأعلن حال الطوارئ والإدارة الذاتية لمحافظات الجنوب بذريعة تدهور الأوضاع الاقتصادية والخدمية وسوء أحوال المواطنين وفشل الدولة في القيام بمسؤولياتها الأخلاقية والوطنية والفساد القائم، وخفوت أي بارقة أمل في تنفيذ اتفاق الرياض.

استفاد من انشغال الدول بجائحة كورونا والأزمات الاقتصادية الناشئة عنها، فالظروف الخارجية قد تكون مؤاتية لسياسة القضم وتكريس وقائع جديدة. وقد تكون كذلك إذا لم يشعر المجلس أن منسوب الرفض الأممي جدي وكبير، وكذلك الغضب السعودي. على الدوام، كان السعوديون يقولون إن أي تباينات في وجهات النظر بين أعضاء تحالف دعم الشرعية في اليمن تُحل ضمنه، وكان يُقصد بذلك التباين السعودي–الإماراتي.

يرى السياسي اليمني المؤيد لشرعية هادي أن الحكومة أخطأت في عدم تحركها سريعاً ضد «انقلاب المجلس الانتقالي» فلو فعلت، لكانت سجلت نقاطاً لصالحها، واستطاعت أن تستعيد ما خسرته في عدن، ولا سيما أن كثيراً من الجنوبيين معها. كما أنها ما كانت لتواجه أي ضغوط لوقف عملياتها العسكرية في ظل التنديد الدولي والسعودي والعربي بخطوة الانتقالي. إلا أنه يُعرب عن خشيته من أن تكون قد خسرت هذه الفرصة الثمينة.

حين سأل أحد المتابعين مسؤولاً إماراتياً عن خطوة «الانتقالي» جاءه الرد بأن الخطوة اتخذها «الانتقالي» بشكل تفردي، وأن القيادة الإماراتية لم تكن في هذه الأجواء، وهي أصلاً ليست في وارد تغطية هكذا عملية، إذ ستضعها في واجهة المسؤولية، ليس السياسية والعسكرية والأمنية فحسب، بل المالية والاقتصادية والاجتماعية خصوصاً في هذا الظرف، حيث لا تزال أحياء عدن المتضررة من السيول على حالها، وحيث جرس إنذار كورونا يدق بسرعة، مع تفشي الأوبئة في العاصمة الاقتصادية، وحيث ثمّة محافظات أقفلت أبوابها أمام العدنيين مخافة نقل الأمراض.

لكن المتابع العربي يرى أن ما فعله «المجلس الانتقالي» صبّ الأنظار على أبو ظبي، انطلاقاً من القناعة بتأثير الإمارات على شريكها على الأرض، والذي يُدرج في خانة الميليشيا المدعومة منها، خارج الأطر الشرعية. وقد أتت خطوة «الانتقالي» بعد «خطوة جنونية» للواء خليفة حفتر في ليبيا الذي أعلن إلغاء «اتفاق الصخيرات» وقبوله «تفويض الشعب الليبي» لحكم البلاد، وهي خطوة رفضها مجلس الأمن وغمزت مناقشاته من قناة مسؤولية القيادة الإماراتية عنها. فكان لا بد من تفلت «الانتقالي» من «دعسته الناقصة» وإعلان تراجعه عن الحكم الذاتي، بحيث تُزيح الإمارات عن ظهرها السهام الدولية ولو إلى حين!

Volume 32 - Issue 9893 Sunday 3 May 2020

بعد «مغامرة حفتر» وعود على بدء!

اليمن بين إعلان الانتقالي واتفاق الرياض والتقسيم

صنعاء ـ «القدس العربي»: أحمد الأغبري

قبل السؤال عن مصير اتفاق الرياض في ضوء ما أعلنه المجلس الانتقالي الجنوبي عن فرض إجراءات معينة على المحافظات اليمنيّة الواقعة تحت سيطرته، ينبغي أن نسأل: ما الذي تحقق من الاتفاق؟ وهل السعودية حريصة على تنفيذه؟ وهل هذا الاتفاق يخدم اليمن؟

مما لا شك فيه أن الهدف من اتفاق الرياض كان واضحاً وجلياً؛ فالتحالف السعودي أراد منه قطع خطوة للأمام باتجاه تقسيم اليمن من خلال تكريس سيطرة الانتقالي على المناطق التي استحوذ عليها في انقلاب آب/أغسطس 2019 فجاء الاتفاق من أجل انتزاع اعتراف حكومة هادي بالمجلس كطرف، وهذا ما تم؛ ونتج عنه استمرار حضور الانتقالي كقوة فاعلة على الأرض التي سيطر عليها، واستمر التحالف يتفاعل معه؛ فعزز بذلك من قدراته المتحكمة على الأرض هناك، وقبل ذلك لا ننسى أن التحالف كان وراء انشاء المجلس الانتقالي وتمكينه من قوة عسكرية خاصة به ممثلة في قوات الحزام الأمني، وهكذا كان دور التحالف في كل المحافظات التي يفترض أنها محكومة بشرعية حكومة الرئيس هادي؛ ففي كل منها نشأ كيان عسكري موازٍ لقوة الدولة تحت إدارة التحالف كـاداة هيمنة مناطقية جهوية؛ وكقوة يتحكم، من خلالها التحالف، باليمن، وخاصة فيما بعد الحرب.

المشاريع الصغيرة

ولو أمعنا النظر فيما تم تنفيذه من اتفاق الرياض لن نجد شيئا يذكر مقارنة باستمرار المجلس الانتقالي كقوة مسيطرة ومتحكمة في محافظات (عدن ولحج وجزء من أبين) باعتبارها مناطق نزاع بين الحكومة والمجلس الانتقالي، وبالتالي فإن إعلان المجلس الانتقالي الحكم الذاتي هو بمثابة إعلان سيطرة على المسيطر عليه.

أما محافظات حضرموت والمهرة وشبوة وسقطرى في الجنوب بالإضافة إلى تعز ومأرب في الشمال، فيتم إدارة كل منها بشكل شبه مستقل مع حضور واضح للمشاريع الصغيرة في كل منها من خلال قوات وقوى مدعومة بشكل مباشر من التحالف.

وبالتالي فإن الانتقالي ليس القوة الوحيدة في الجنوب اليمني المدعومة من التحالف؛ فهناك قوات وقوى أخرى يدعمها التحالف وتخدم مصالحه في كل منطقة. بمعنى أنه لا يمكن للانتقالي أو أي من القوى الأخرى بأي حال من الأحوال القيام بأي تحرك من دون ضوء أخضر من السعودية، وعبثاً يحاول البعض الفصل بين دولتي التحالف في تعاملهما الاستراتيجي مع تدخلهما في اليمن منذ اليوم الأول؛ فهدف التقسيم واضح ويمضي فيه التحالف بخطى جادة تتصدرها السعودية، بدليل ما يصدر عن التحالف من مواقف تجاه ما يصدر عن الانتقالي من تحركات؛ فمثلاً لم يصدر عن التحالف موقف حقيقي جراء رفض الانتقالي عودة حكومة هادي إلى عدن بتاريخ 23 نيسان/ابريل (فيما يتحرك السفير السعودي في تلك المناطق بكل حرية كسلطة أولى) ومقابل رفض الانتقالي عودة الحكومة بدت السعودية (ظاهرياً) وكأنها خضعت لقرار الانتقالي، فحجزت رئيس الحكومة والوزراء في المطار ومنعتهم من العودة إلى عدن وإعادتهم لمقرات إقامتهم في الرياض، وهي السلبية نفسها التي تعامل بها التحالف إزاء بيان الانتقالي بشأن الحكم الذاتي؛ أو يستنكر ما تم؛ بل طالب (الطرفين) بالعودة بالأوضاع إلى ما كانت عليه قبلا، في دلالة على أن تنفيذ الاتفاق ليس ذا أهمية للتحالف، بل، كما سبقت الإشارة، كان وما زال وسيلة للاستمرار في جر البلاد للبقاء تحت الهيمنة السياسية والعسكرية للتحالف في سياق صراع إقليمي دولي.

ورفضاً لما يجري، دعا اتحاد هيئة تنسيق التحالف المدني للسلم والمصالحة الوطنية باسم مكونات التحالف المدني اليمنيّ في بيان بشأن الأحداث الأخيرة «المحيط العربي والإقليمي بدءاً من الرياض مروراً بأبو ظبي وحتى طهران، بالا تجعلوا اليمن ساحة لتصفية حساباتكم الإقليمية، ونقول لكم أيها الأشقاء والأصدقاء (الأعداء) أنكم بمحاولاتكم تغليب طرف على آخر بالقوة وصولاً إلى (ما تتوهمون) من حلولكم محل المنتصر والمهزوم، إنكم بهذا قد أسأتم كثيراً في فهم الشعب اليمني الذي لم يعرف في تاريخ خلافاته الداخلية غالبا أو مغلوبا، فما بالكم بوجود غالب أو مغلوب من أجلكم».

سحب البساط

الصحافي اليمنيّ عصام البحري اعتبر، من وجهة نظره «أن تبني السعودية لاتفاق الرياض كان لسحب البساط من تحت حكومة هادي حتى لا تتقدّم بشكوى لمجلس الأمن ومن ثم يصدر قرار دولي يُدين انقلاب متمردي عدن باعتبار ذلك سيكون إدانة للتحالف السعودي الذي أوجد ودعم المنقلبين وحينئذ سيُرفع الغطاء الدولي لعدوان التحالف على اليمن» وقال لـ«القدس العربي»: «لقد ضغطت القيادة السعودية على الشرعية للقبول ببنود الاتفاق الذي لم يشرعن للانقلاب فحسب بل فرض مشاركة الانتقالي كممثل للجنوب في مفاوضات التسوية النهائية؛ وهو ما يتناقض مع قرار مجلس الأمن الدولي 2216 الذي حدد طرفي الحوار بوفد صنعاء وحكومة هادي، الأمر الذي سيكون عائقاً جديدًا لإنجاح أي تسوية سياسية للملف اليمني إذا ما أصرّ ممثلو الانتقالي على تحويل مسار الحوار إلى حوار بين الجنوب والشمال، بينما الموضوع الأساسي هو أسباب الحرب الحالية».

إجراء شكلي

فيما أكد الكاتب اليمنيّ عبد الرحمن مُراد لـ «القدس العربي» أن ما حدث «من انقلاب جديد للانتقالي وإعلان الحكم الذاتي هو مجرد إجراء شكلي بهدف فرض أجندة في المفاوضات المقبلة ليكون التشاور بين الشمال والجنوب، ومن خلاله تتمكن قوى الاستعمار ممثلة في أمريكا وبريطانيا من خلال أدواتهما في المنطقة من السيطرة على الموانئ والشواطئ اليمنية بشكل كبير».

واعتبر ما يجري في اليمن وما حصل مؤخراً يتم «في سياق الصراع الأمريكي البريطاني مع الصين، حيث تحرص أمريكا وبريطانيا من خلال أدواتهما في المنطقة على التواجد في هذه المنطقة بالذات نظراً لقربها من ميناء جيبوتي الذي اتخذته الصين منفذاً لها في طريق التجارة العالمية».

وقال «إن إعلان الانتقالي الأخير لن يؤثر على مصير اتفاق الرياض؛ فهو مجرد لعبة مارسها الانتقالي بإيحاء من التحالف في سياق خطة محددة للسيطرة والهيمنة».

ومن وجهة نظره اعتبر الكاتب اليمنيّ محمد ناجي أحمد في تدوينة له على «فيسبوك» أن «لا جديد في بيان المجلس الانتقالي بعدن، فالمجلس كله صار كانتونات محترية، تُحكم بسلطات الأمر الواقع، البيان لم يعلن الانفصال وإنما التسيير الذاتي أسوة بما هو في تعز ومأرب وصنعاء وحضرموت وشبوة والمهرة وسقطرى».

هيمنة جديدة

مما سبق نفهم أنه لن يكون هناك أي تأثير لإعلان الانتقالي الأخير على اتفاق الرياض؛ لأن الاتفاق هو مَن هيأ الانتقالي لاتخاذ هذه الخطوة، فلولاه لما بقي الانتقالي مسيطراً على الأرض، ولما اعترف به ممثلاً للجنوب وطرفاً موازياً للحكومة؛ وهنا فاتفاق الرياض كان أداة من أدوات المضي بالمجلس إلى الخضوع لهيمنة جديدة من خلال تفخيخه بمشاريع صغيرة؛ وهو ما يمضي فيه التحالف منذ بدء عملياته العسكرية، والتي أحدثت دماراً كبيراً في مقدرات وإمكانات هذا البلد الفقير.

أسباب الدعم الإماراتي لانفصال جنوب اليمن

عبدالناصر المودع

تتولى الإمارات العربية المتحدة دعم ورعاية المشروع الانفصالي في جنوب اليمن، والذي يمثله ما يسمى بالمجلس الانتقالي الجنوبي، وهو الكيان الذي تم تأسيسه في أيار/مايو 2017 بدعم وإشراف مباشر من قبل الإمارات، والتي كانت حينها تتولى الإدارة السياسية والعسكرية لمدينة عدن ومعظم مناطق المحافظات الجنوبية والساحل الغربي من اليمن. وقد شمل الدعم الإماراتي: إنشاء وتسليح قوات عسكرية وأمنية في مناطق سيطرة المجلس الانتقالي، وتوفير الدعم السياسي للمجلس في داخل اليمن، وتسويقه ومشروع الانفصال في الخارج.

وقبل عدة ايام أعلن المجلس الانتقالي الإدارة الذاتية للمحافظات الجنوبية، من قبل قادته الذي يقيم معظمهم في العاصمة الإماراتية أبو ظبي، وهو الإعلان الذي يُعتقد بأنه تم بإيعاز إماراتي، أو عدم ممانعة من قبلها. وعلى الرغم من أن هذا الإعلان لم يصل إلى حد إعلان الانفصال، إلا أنه يعد خطوة في هذا الطريق، ومؤشرا قويا على رغبة الإمارات في تنفيذ عملية انفصال جنوب اليمن في المستقبل.

وعلى الرغم من رعاية دولة الإمارات للمشروع الانفصالي؛ إلا أنها لم تعلن بشكل رسمي دعمها لتقسيم اليمن وإنهاء الجمهورية اليمنية التي تأسست في أيار/مايو 1990. والسؤال الذي يصعب الإجابة عليه يتمثل في الأسباب التي تقف خلف الرغبة الإماراتية في دعم الانفصال؟ ومكمن الصعوبة هنا يرجع إلى غياب المصلحة الحقيقية والواضحة التي يمكن للإمارات أن تجنيها من عملية الانفصال. ناهيك عن المخاطر والأضرار التي ستلحق بها نتيجة الاستمرار في دعم مشروع الانفصال، والتي تشمل أعباء مالية وسياسية ومعنوية، وربما أمنية. وهي أعباء ستتزايد في المستقبل بالنظر إلى صعوبة عملية الانفصال في الوقت الحالي وفي المستقبل المنظور على الأقل.

كما أن مشروع الانفصال سيخلق تعارضا في المصالح بين الإمارات والسعودية، والتي ليس من مصلحتها، في الوقت الحالي على الأقل، انفصال الجنوب، لأنه يمنعها من هزيمة أو إضعاف الحوثيين، وهو الهدف الرئيسي الذي دخلت الحرب من أجله. وتدهور العلاقة بين الدولتين سيضعف الإمارات ويعزلها بعد أن تخسر أهم حليف لها في المنطقة.

يشير خصوم الإمارات إلى عدد من الأسباب التي يعتقدون بأنها تقف خلف رغبتها في تقسيم اليمن، ومن ذلك: الاستفادة من موارد الجنوب وموقعه الجغرافي. وفي هذا الصدد؛ يشير هؤلاء تحديدا إلى رغبة الإمارات في الاستحواذ على الموارد النفطية والغازية الجنوبية، ومنع ميناء عدن من العمل كي لا ينافس ميناء دبي. غير أن الواقع يؤكد على ضعف هذه الأسباب، فموارد الجنوب النفطية لا تساوي شيئا يذكر قياسا بموارد الإمارات، فإنتاج النفط في المحافظات الجنوبية قبل الحرب لم يكن يتجاوز 100 ألف برميل في اليوم. وحجم الاحتياطي النفطي القابل للاستخراج في المحافظات الجنوبية يقل عن مليار برميل، وهذه الكمية هي أقل من ألفي المئة من احتياطي الإمارات من النفط. كما أن الغاز الطبيعي غير متوفر في المحافظات الجنوبية إلا بكميات قليلة جداً، والاحتياطي الغازي لليمن يوجد في محافظة مأرب التي تقع في المحافظات الشمالية.

وأما موضوع تعطيل ميناء عدن خشية منافسة ميناء دبي؛ فيبدو سببا غير مُقنع لدعم الإمارات للانفصال، لأكثر من سبب أهمها: ضعف القدرة التنافسية للميناء في الوقت الحالي وفي المستقبل المنظور لأسباب موضوعية، مثل غياب الأمن وضعف البنية التحتية. إلى جانب ذلك؛ إمارة أبو ظبي التي تتولى فعليا إدارة السياسة الخارجية للإمارات، ومن ضمنها دعم المشروع الانفصالي، غير معنية بشكل رئيسي بقضية الموانئ، فهذه القضية هي من ضمن اهتمامات إمارة دبي. وهي الإمارة التي لا يبدو بأنها متحمسة للتدخلات الخارجية لدولة الإمارات في اليمن، كون هذه السياسة الحقت أضرارا كبيرة باقتصاد إمارة دبي في السنوات الأخيرة، ومن المتوقع أن يزداد تضررا في حال استمرت حالة عدم الاستقرار والفوضى في اليمن.

ووفقا لذلك؛ ليست هناك من مصلحة اقتصادية للإمارات في دعم المشروع الانفصالي والعكس هو الصحيح تماما، فالتدخل الإماراتي في اليمن هو عبء اقتصادي، أكان ذلك ضمن التركيبة الحالية لليمن أو ضمن الصيغة الانفصالية.

واستثمار الموقع الاستراتيجي للجنوب، وإن كان يبدو ظاهريا سببا مقنعا لدعم الانفصال، إلا أنه غير ممكن عمليا؛ لصعوبة تنفيذ الانفصال الفعلي أو القانوني. فالانفصال الفعلي يتطلب من الإمارات بذل موارد عسكرية واقتصادية ضخمة، لوكيلها المجلس الانتقالي، كي يسيطر على جميع محافظات الجنوب أو المناطق الاستراتيجية منه، كما عملت تركيا في شمال قبرص أو روسيا في ابخازيا واوسيتيا الجنوبية. وهذه الموارد غير متوفرة لدى الإمارات بالقياس إلى كبر حجم اليمن وكثرة عدد سكانه، وللنفوذ السعودي الكثيف في اليمن، الذي لن تقبل بأن تؤسس الإمارات دولة تابعة لها ضمن مجالها الحيوي.

بمعنى آخر لو أرادت الإمارات تحقيق الانفصال الفعلي في جنوب اليمن؛ فيتوجب عليها بشكل مباشر أو عبر وكلائها المحليين هزيمة القوى اليمنية المعارضة لتقسيم اليمن، أو سيطرة المجلس الانتقالي على محافظات الجنوب، وكذلك إزاحة السعودية من هذه المناطق، وهذه أمور يستحيل على الإمارات تحقيقها، فسكان اليمن يزيدون بأكثر من 30 ضعفا عن مواطني دولة الإمارات. كما أن السعودية بكل المقاييس تبقى أقوى بكثير من الإمارات في المنطقة وفي اليمن تحديدا، ومن ثم فإن الانفصال الفعلي لجنوب اليمن تحت رعاية الإمارات هو مشروع خيالي لا يمت للواقع بصلة.

محاربة الإخوان المسلمين

بالإضافة إلى موضوع الأطماع الاقتصادية واستثمار الموقع الجغرافي، يشير خصوم الإمارات إلى أن دعمها لانفصال جنوب اليمن يأتي في سياق حربها ضد جماعة الإخوان المسلمين، والتحليل السياسي البسيط لا يدعم هذه الفكرة؛ فليست هناك من علاقة مباشرة بين دعم الانفصال ومحاربة الإخوان المسلمين؛ حيث يمكن للإمارات محاربة نفوذهم ضمن يمن واحد. وقد يصدق هذا الطرح في حال كانت الإمارات تخطط لأن ينتصر الحوثيون في الشمال، ومن ثم يصبح من نصيبهم في مقابل انفصال الجنوب، على افتراض أن هذا الأمر سيضعف حركة الإخوان المسلمين كون مركز ثقلها السياسي والعسكري يقع في المناطق الشمالية.

ومع ذلك: هذه الخطة تتعارض بشكل واضح مع المصالح السعودية التي لن تقبل بأن يحكم الحوثي شمال اليمن، الذي هو مصدر الخطر الرئيسي للسعودية، ومن ثم؛ فإن السعودية ستفشل هكذا خطة.

نستنتج مما ذُكر بأن ليس للإمارات مصلحة واضحة في دعم المشروع الانفصالي.

وبما أن الأمر على ذلك النحو، فليس أمامنا إلا التخمين والاجتهاد في البحث عن أسباب غير مرئية تقف خلف سياسة الإمارات الداعمة للمشروع الانفصالي. وفي هذا الشأن يمكن الإشارة إلى تأثر النخبة الحاكمة لإمارة أبو ظبي منذ فترة طويلة وتعزز حضورهم باستقبال أبو ظبي لمعظم قادة الجنوب بعد حرب 94.

ووفقا لهذا التحليل؛ تمكنت هذه الفئة من رسم سياسة أبو ظبي تجاه اليمن وفقا لتصوراتها، والتي تقوم على فكرة أن الوحدة اليمنية كانت ضد مصلحة الجنوبيين، وأن استمرارها يعني هيمنة الأكثرية الشمالية واستبعاد الجنوبيين من السلطة والثروة، وجعلهم تابعين للنخب الحاكمة الشمالية. وفي حال كان الأمر على ذلك النحو؛ فإن دعم الجنوبيين على الانفصال، من وجهة نظر حكام الإمارات، يحمل الكثير من المعاني الأخلاقية السامية، كونه يسعى لرفع الظلم عن الجنوبيين.

وما يعزز هذا التحليل، مساندة الإمارات القوي للمحاولة الانفصالية في عام 1994، فخلال تلك الفترة كانت الحكومة الإماراتية أكثر الأطراف حماسا في دعم الانفصاليين، وتجاوزت من حيث الشكل الموقف السعودي حينها، وبعد الحرب احتضنت الإمارات قادة الانفصال، وقامت بشكل سري بدعم الحركات الاحتجاجية المطالبة بالانفصال فيما سمي بالحراك الجنوبي، أثناء حكم الرئيس علي عبد الله صالح وتوسع هذا الدعم بعد سقوطه.

ومع ذلك قد لا يبدو هذا السبب مقنعا لدى البعض؛ إذ سيجادل هؤلاء بأن من غير المعقول أن يوجه اليمنيون الجنوبيون، أكانوا مواطنين أو مغتربين، دفة السياسة الإماراتية تجاه اليمن، خاصة وأن هذه السياسة مكلفة على كل الصعد بما فيها الخسائر البشرية التي خسرتها الإمارات في حرب اليمن.

وبما أننا لم نتوصل إلى أسباب معقولة ومقنعة لدعم الحكومة الإماراتية لانفصال جنوب اليمن، فإننا سنصنف هذه السياسة ضمن خانة ما يسمى بالسياسات اللاعقلانية، وهي السياسات التي يتخذها بعض الحكام بالضد من المصالح الحقيقية للدول التي يحكمونها. وفي الغالب تبرز هذه الأنواع من السياسات، في الدول التي تتخذ القرارات الاستراتيجية بعيدا عن المؤسسات، وتتم من قبل حاكم فرد أو مجموعة حاكمة صغيرة، لا تخضع لأي شكل من أشكال الرقابة أو المساءلة.

ففي هذه الدول تتخذ القرارات الاستراتيجية وفقا لتقييمات ذاتية ناتجة عن خلطة من الجهل والأوهام والمخاوف، كقرار غزو الكويت من قبل صدام حسين، والذي يعد أحد النماذج الصارخة للسياسات اللاعقلانية.

وما يعزز هذا الاستنتاج سلوك الإمارات غير الواضح في مناطق غير اليمن ومن ذلك دعمها للجنرال خليفة حفتر في ليبيا. ففي هذا البلد ليس هناك من مصالح حقيقية للإمارات تدافع عنها، أو مخاطر أمنية يمكن حدوثها، يستدعي تدخل بهذا الشكل الكثيف والمكلف في بلد يبعد عنها آلاف الكيلومترات.

السنة الثانية والثلاثون العدد 9893 الأحد 3 آيار (مايو) 2020 – 10 رمضان 1441 هـ

حروب اليمن وحدود صبر المجتمع الدولي

نيويورك – «القدس العربي»:
عبد الحميد صيام

نحن الآن أمام مشهد تراجيدي في اليمن على طريقة الأساطير الإغريقية. اليمن أصبح حقل تجارب لكل ما يمكن أن يؤدي الشعوب. حروب وانفصالات ومجاعة وكوليرا وإرهاب قاعدي ومناطق نفوذ متعددة وحصار وميليشيات وطائرات مقاتلة تسقط قذائفها فوق رؤوس الفقراء وطائرات مسيرة تصل حتى مدينة الرياض ونزاع على الجزر والحدود والموانئ. وصول جائحة كورونا التي تسللت إلى اليمن من الثقوب الكثيرة أضافت بعدا دراميا جديدا إلى الانقلاب الجديد القديم الذي أعلنه المجلس الانتقالي الجنوبي من أبو ظبي بفرض الحكم الذاتي في عاصمة الجنوب عدن والمحافظات الجنوبية.

تفسير هذه الخطوة لا تخرج عن أحد أمرين: إما أن المصالح السعودية الإماراتية تباعدت تماما وسار كل منها في طريق، أو أنها خطوة منسقة سلفا مع السعودية وبمباركة منها، كنوع من توزيع الأدوار لفكفكة اليمن وإعادة دولة الجنوب تحت العباءتين السعودية والإماراتية وتقاسم خيراته وموانئه وحقول نفطه. إلا إذا انتصر العقل والوطنية اليمنية وعاد اليمنيون إلى رشدهم ووحدوا كلمتهم وتقاسموا السلطة في دولة الوحدة وركلوا كل من جاء ليفكك بلدهم ويدمر ثرواتهم بالضبط كما فعل الحوثيون في صنعاء. لكن غرق الإمارات في المستنقع اليمني يبدو أنه بدأ يؤثر استراتيجيا على اقتصاد البلاد وسلامتها، فقد قررت من جهة أن تسحب بعض قواتها ومن جهة أخرى تدعم الميليشيات المحلية التي أنشأتها للاستمرار في مخطط التفكيك والانفصال.

الأمن المتحدة والمسألة اليمنية

لقد واكبت الأمم المتحدة المسألة اليمنية منذ البداية، وأصدر مجلس الأمن العديد من القرارات، بعضها تحت الفصل السابع مثل القرار 2140 (2014) لحظر توريد السلاح والانتقال إلى العملية السياسية و2216 (2015) الذي رفض الانقلاب الحوثي ورسم خريطة طريق للحل للحوثيين فيها، وتم الاستيلاء على جزر ومحافظات بعيدة عن ساحة الاشتباك، وكأن هناك اتفاقا غير مكتوب لتفكيك اليمن وتقطيع أوصاله حتى لا يعود بلدا موحدا سيدا بسكانه المتجانسين المنتمين إلى مرجعية دينية وثقافية وحضارية متشابهة.

أما مسؤولية دولة الإمارات في ما يجرى لليمن من خراب ودمار وتفكيك فهي واضحة تماما. فهدف الإمارات من دخول الحرب لا علاقة له بهزيمة الانقلاب الحوثي، بل بالدفع بمصالح الإمارات التي أصبحت تتصرف كدولة عظمى وعملت منذ البداية على تعزيز وجودها في جنوب اليمن والسيطرة على الموانئ. أنشأت الميليشيات وصرفت عليها الملايين وأقامت لها المعسكرات والسجون ومراكز التحقيق والتعذيب حتى إن هذه القوات منعت طائرة الرئيس هادي من الهبوط في مطار عدن وهزمت قواته عسكريا وطردتها من محيط المطار في شباط/فبراير 2017 وعادت في آب/أغسطس 2018 واحتلت القصر الجمهوري والمقرات الحكومية وتدخل الغرباء. كل ذلك انهار بعد قيام الرئيس المخلوع بالتحالف مع جماعة الحوثي الذين استولوا على العاصمة في أيلول/سبتمبر 2014 وتابعوا زحفهم إلى الجنوب وعندما تمكنوا عادوا وقضوا عليه.

اتهمت السعودية بنعمر بأنه منحاز للحوثيين وطلبت استبداله فجاء في مكانه إسماعيل ولد الشيخ أحمد، في ظل موازين قوى مختلفة. لقد أصبح الحوثيون قوة منظمة قادرة على القتال لسنين طويلة بدعم إيراني واضح وبدأت ضرباتها توجع دول التحالف التي كانت تصب غضبها على المدنيين فتدق الأسواق والأعراس والجنازات والمستشفيات والمدارس وضربت حصارا مطبقا على المطار والموانئ الواقعة تحت سيطرة الحوثيين.

استطاع ولد الشيخ أحمد أن يجمع الفرقاء أولا في جنيف وثانيا في الكويت. كان يؤمن بأن الحوار وجها لوجه هو أفضل طريقة لمحاولة كسر الجمود مصحوبا بخطوات صغيرة لبناء الثقة. استمرت حوارات الفرقاء في الكويت عام 2016 نحو 3 أشهر، لكنهم لم يتوصلوا إلى أي اتفاق لحل الأزمة.

اتهم الحوثيون ولد الشيخ أحمد بأنه منحاز للسعودية ودول التحالف. وفي أيار/مايو 2017 تعرض موكبه لإطلاق النار وهو يغادر مطار صنعاء للقاء الحوثيين. حاولت مجموعة مسلحة تابعة للحوثيين أن تمنعه من الخروج من إحدى البوابات وعندما خرج من بوابة أخرى أطلقوا عليه النار لكنه نجا من الهجوم وهو ما دعا مجلس الأمن لإدانة الحادث بشدة. قدم ولد الشيخ أحمد استقالته بعدها ولخص معاناة اليمنيين من جهة وعناد السياسيين من جهة أخرى في خطابه الأخير أمام مجلس الأمن قائلا:

«وأنا أعلن اليوم ولأول مرة، أنه تم وضع مقترح كامل وشامل بالتشاور مع جميع الفرقاء، إلا أنهم رفضوا في الساعات لا بل في الدقائق الأخيرة التوقيع عليه، وقد تبين في نهاية المشاورات أن الحوثيين ليسوا مستعدين في هذه المرحلة لتقديم التنازلات في الشق الأمني، أو حتى ما شكل معضلة أساسية للتوصل إلى حل توافقي، ونحن نرى يوميا تقارير تفيد عن مدنيين يموتون من الفقر والجوع والأمراض، ولكن يجب ألا ننسى أن هناك سياسيين من جميع الأطراف يعتاشون من الحروب، وتجارة السلاح، واستغلال الأملاك العامة، لأغراض شخصية، نراهم في خطاباتهم تارة يحركون النعرات لتعميق الشرخ في المجتمع اليمني، وأخرى يعلنون عن مواقف مؤيدة للسلام، بينما نسمعهم في المجالس الخاصة غير آبهين بمعاناة شعبهم. إن من يريد السلام يخلق الحلول وليس الأعذار».

مارتن غريفيث جاء إلى اليمن في آذار/مارس 2018 من خارج المنطقة العربية ولا يستطيع أحد أن يتهمه بأنه منحاز لأحد. وانطلق من حيث انتهى ولد الشيخ أحمد. لكنه أراد أن يجرئ العمل للوصول إلى اتفاقية شاملة علما أن لا حل في اليمن كما قال إلا «الحل السياسي». آثر أن يعمل على الوصول إلى اتفاقية جزئية حول ميناء الحديدة والتي لو طبقت ستتلوها اتفاقيات مماثلة حول تعز وغيرها إلى الشاملة. وكانت اتفاقية ستوكهولم في 13 كانون الأول/ديسمبر 2018 حول الحديدة والموانئ والانتقال من المدينة إلى المحافظة هي الرهان الذي بنى عليه تفاؤله.

لكن التصعيد العسكري هو الذي ميز عام 2019 بكامله. فقد امتدت الحرب لتشمل مدنا رئيسية في السعودية بما فيها منشآت أرامكو التي تعرضت في أيلول/سبتمبر الماضي لقصف بالصواريخ والطائرات المسيرة. كما أن اشتباكات ثانية بدأت في منطقة عدن عندما قامت قوات المجلس الانتقالي الجنوبي باحتلال المدينة بما فيها القصر الجمهوري وطرد قوات الشرعية بدعم من الإمارات. حاولت السعودية لملمة الأمور في اتفاقية الرياض إلا أن الأمور على الأرض لم تتغير.

عاد غريفيث للعمل على إنجاز خطوات صغيرة لعلها تعيد ترميم بعض جسور الثقة فنجح في إجلاء عدد من المرضى من مطار صنعاء في شباط/فبراير الماضي. وكان يأمل أن يبنى على تلك الخطوة. وفي 23 آذار/مارس الماضي قدم غريفيث مبادرة للطرفين مكونة من ثلاث نقاط: وقف إطلاق النار، إجراءات بناء الثقة وتسهيل المساعدات الإنسانية ثم العودة إلى طاولة المفاوضات. وفي تقريره أمام مجلس الأمن يوم الخميس 16 أعرب عن تفاؤله قائلا: «أعلم أن كلا من الحكومة اليمنية وأنصار الله يريدان إنهاء هذا الصراع على أساس سلام عادل ومنصف. أنا ممتن لهم للغاية من أجل هذا».

لكن الانقلاب الإماراتي الذي أعلنه رئيس المجلس الانتقالي الجنوبي من أبو ظبي عاد ولخبط الأوراق وجرف اليمن مرة أخرى إلى تقسيم جديد ومعاناة أعمق في ظل المجاعة والحروب وجائحة كورونا.

لقد أصيب كل مبعوث دولي بحالة من الإحباط. فكلما اقترب اليمنيون من بعضهم البعض تتدخل الأيدي المشبوهة لتعكر الأجواء وتعيد اليمن إلى ساحات المنازلة مرة وراء مرة. فلا تستغرب إذا سمعنا عن قريب انسحاب مارتن غريفيث من المشهد كما انسحب أخيرا غسان سلامة من المشهد الليبي، فأجندات دول التحالف والميليشيات العاملة معها لا تلتقي بالضرورة مع مصلحة الشعب اليمني في استعادة وحدة بلاده وسيادتها وكرامتها.

Volume 32 - Issue 9893 Sunday 3 May 2020

في اليمن حروب متعددة واللاعبون الخارجيون فتحوا المجال لبلد مقسم حسب جهات الريح

إبراهيم درويش

غالبا ما توصف الحرب الأهلية في اليمن بأنها حروب متعددة داخل حرب واحدة، وهذا وصف ينسحب بالضرورة على كل الحروب الأهلية التي اندلعت في سوريا وليبيا بعد الربيع العربي عام 2011. ويقصد في هذا الوصف الحديث عن كثرة اللاعبين وولاءاتهم المتعددة للقوى الخارجية، إقليمية أو دولية.

ففي اليمن كما في ليبيا وسوريا، لم يعد اليمنيون هم من يقررون مصيرهم بل الدول ذات المصالح والراغبة بالسيطرة على قرار البلاد ومصادرها النفطية والطبيعية. ومن مصلحة دول الخارج أن تستمر الحرب وتأكل الأخضر واليابس وتقضي بالضرورة على أي حس من الاستقرار والاستقلال. وبات حال اليمن مشابها لحال ليبيا، حيث تتسابق الدول على دعم أطراف النزاع فيهما. وفي كل منهما حكومة ضعيفة تملك الشرعية الدولية إلا أن اللاعبين الخارجيين الذي يعترفون بالحكومتين الشرعيتين يلعبون لعبة خطيرة من خلال دعم منافسها أو منافسيها المتعددين، ففي ليبيا حكومة في الشرق وأخرى في الغرب، أما في اليمن فقد صرنا أمام سيناريو فيه ثلاث حكومات: انفصالية في عدن ومنفية في الرياض ومتمردة في صنعاء. بالإضافة لحكومات محلية في مأرب وتعز والمهرة وغيرها من المحافظات التي تلعب فيها ميليشيات تتلقى رواتبها وأسلحتها وتدريبها من الخارج بل وتدار سجونها على يد عسكريين من دول الجوار.

كيانات متعددة

واليمن الذي ظل منقسما بين شمال وجنوب بات مقسما على شكل الجهات الأربع. وكل هذا نتاج للمبادرة الأولى التي أخرجت الرئيس علي عبد الله صالح من السلطة ولكنها تركته يلعب من وراء الستار وإضعاف حكومة نائبه الذي أصبح رئيسا، وهو عبد ربه منصور هادي. وقادت تدخلات صالح في بنية الدولة الهشة إلى ما صار معروفا وهو فتحه مع الموالين له أبواب العاصمة صنعاء لتمردين خاض ضدهم خمس حروب وانتهى الأمر به في نفس الفراش معهم قبل أن يرتد عليهم، ولم يكن لدى الراقص فوق جحر الثعابين فرصة للنجاة فقتل.

ولم ينه مقتل صالح المسألة اليمنية لأن خطوط الصدع رسمت بشكل كبير، وتلا سيطرة الحوثيين على العاصمة حربا كارثية شنتها السعودية مع حليفتها الإمارات العربية المتحدة مما أكد على صورة اليمن المنقسم على نفسه. وهي ضرورة تقتضيها المصالح السعودية لأن يمنا ضعيفا في الحديقة الخلفية أفضل من يمن قوي مالك لقراره، بخلاف أن العدو المنافس لها وهي إيران باتت حقيقة تدعم المتمردين الحوثيين.

انفصال

وضمن هذا السياق نفهم ما أقدم عليه المجلس الانتقالي الجنوبي في 26 نيسان/إبريل عندما أعلن عن نهاية اتفاق الرياض الذي وقعه قادته مع هادي في تشرين الثاني/نوفمبر 2019 بعد الأحداث الدموية أو المحاولة الانقلابية في آب/أغسطس على الحكومة اليمنية الشرعية التي تدير البلاد من عدن. وقرر قادة المجلس الانتقالي الجنوبي السيطرة على المقرات الحكومية متهمين حكومة هادي بالتقصير في تقديم الخدمات للمواطنين، مع أن السبب الحقيقي هو رفض الإمارات التي تبنت القوى الانفصالية منذ بداية التدخل العسكري ومولت المجلس الانتقالي عند ظهوره ضمن استراتيجية تهدف للسيطرة على الموانئ اليمنية الاستراتيجية خاصة عدن والمخا وجزيرة سقطرى.

وذكرت صحيفة «نيويورك تايمز»(2020/4/28) أن الإمارات توقفت عن دفع 400–530 دولارا كراتب لكل مقاتل انفصالي في عدن. وعندما رفض السعوديون تعويض النقص غضبوا. واستند التقرير لمسؤول طلب عدم ذكر اسمه حيث أشار إلى أن الإمارات واصلت دفع رواتب المقاتلين في مناطق أخرى من البلاد مثل حضرموت وشبوة حيث تم نشر الوحدات الخاصة للاحقة الإسلاميين. ويعكس إعلان الانفصاليين نتائج التدخل الخارجي في بلد متعدد الولاءات وبعد من أفقر بلدان المنطقة، فلم يحل التدخل السعودي الذي قصد منه أن يكون نزهة أسبوعين يتم من خلالها قصف المتمردين الحوثيين وإعادة حكومة هادي التي هربت إلى عدن، البلد لأكبر كارثة إنسانية في العالم أورث الشعب اليمني دمارا لبناه التحتية ونشر الجوع والأمراض مثل الكوليرا وجعل غالبية اليمنيين معتمدين على المساعدات الدولية، بل وأدخل السعودية في مستنقع.

تعبوا من الحرب

إلا أن الإمارات تعبت من نشر جنودها هناك وبدأت بسحبهم من الجنوب العام الماضي لاعتبارات تتعلق بالمواجهة مع إيران بعد صيف ساخن تم فيه استهداف ناقلات النفط وضرب المنشآت النفطية السعودية. وبالمقابل بات ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، الرجل الذي أعلن الحرب عام 2015 بصفته وزيرا للدفاع، مقتنعا بما يقوله النقاد أن الحرب لا يمكن الانتصار بها، وتحولت لعبء مالي على الخزينة السعودية، في وقت تعاني فيه أسواق النفط من انهيارات متعددة، بسبب آخر قراراته المتهورة وهي حرب الأسعار مع روسيا لتأمين حصة المملكة من السوق العالمي. وانتهى به الأمر خاسرا رهان الحرب بعد تهديد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب له حسبما كشف تقرير خاص لوكالة أنباء «رويترز». وتواجه السعودية تخفيضا حادا في الإنتاج حتى عام 2022 وذلك لإنقاذ صناعة النفط الأمريكية التي حاولت الرياض تدميرها مرتين. وليس غريبا أن تأتي الحرب النفطية وسط وباء عالمي أدخل الاقتصاديات الدولية في حال من الركود ولم تعد سلعة النفط مهمة جدا حيث صار سعر البرميل في مجال السالب. وكانت السعودية قد أعلنت عن وقف إطلاق النار من طرف واحد في اليمن لمدة شهر ثم عادت ومددته ليشمل شهر رمضان إلا أن الحوثيين رفضوه. وتحاول السعودية إجراء حوارات سرية معهم لكنها لم تحقق أي تقدم. وللسعودية مبررات أخرى لإنهاء ملف اليمن، منها قمة العشرين التي تستضيفها نهاية هذا العام. خاصة أن الحرب في اليمن وجريمة مقتل جمال خاشقجي في اسطنبول عام 2018 كانا محل غضب داخل الكونغرس الأمريكي الغاضب الآن من السعودية. من هنا فإعلان الانفصاليين وإن كان نتاجا لتعب طرفي التحالف من الحرب، إلا أنه يعرقل جهود الرياض للابتعاد عن ملف شائك صار يسبب لها الصداع ويستنزف قدراتها المالية.

تناحر

وفي غياب المتصارعين الإقليميين بات اللاعبون المحليون يتصارعون على ما تبقى من اليمن. ولم يكن القتال ليحصل في وقت أسوأ من الحالي، فقد تراجع الدعم الدولي للبلد الذي يعاني من كارثة إنسانية، خاصة أن اللاعبين الإقليميين باتوا يواجهون معركة جديدة لمواجهة فيروس كورونا. ويحاول عمال الإغاثة تقوية النظام الصحي اليمني الذي حطمته الحرب وتحضيره لإمكانية وصول كوفيد–19 الذي لو وصل فسيترك آثارا كارثية على البلاد. وهناك رمزية ساخرة فيما يجري اليوم في عدن وهي أن زعيم المجلس الانتقالي عيدروس الزبيدي يقيم في أبو ظبي أما هادي ففي الرياض. وسيكون الصراع المتجدد بينهما فرصة للحوثيين الذين اندفعوا خلال الأسابيع الماضية باتجاه محافظة مأرب الغنية بالنفط. وحاول محمد بن سلمان إبطاء التقدم من خلال وقف للنار إلا أن القتال استمر حيث اتهم أطراف التحالف بعضهم البعض بارتكاب مخالفات. ويبقى السؤال مفتوحا حول سيطرة الحليفين في الحرب على وكلائهم في اليمن. ويقول بيتر سالزبري من مجموعة الأزمات الدولية إن الإمارات عندما قررت الخروج من اليمن أظهرت أنها لم تعد مستعدة للتغطية على الأمور هناك. ويرى أن المواجهات الأخيرة «هي عن التنافس اليمني–اليمني بدلالات إقليمية غير واضحة».

لا تستطيع السيطرة

فالسعودية كما تقول مجلة «إيكونوميست» (2020/5/2) لم تفشل في طرد الحوثيين من صنعاء فقط بل ولم تعد قادرة على التحكم بحلفائها داخل اليمن، مما يفتح المجال أمام حروب جديدة بين المتنافسين. وتقول المجلة إن الجنوب ظل مكانا للاضطرابات، حيث أجبرت بريطانيا على الخروج من عدن عام 1967 بعد حكمها أكثر من قرن عندما جعلت الميناء مركزا لتزويد الوقود إلى سفنها العابرة المحيط الهندي إلى الهند. وأصبح اليمن الجنوبي بعد الاستقلال أول دولة عربية شيوعية حتى الوحدة عام 1990 والتي أثارت حفيظة الجنوبيين الذي انتقدوا فساد الشمال وإهمال عدن الذي كان واضحا من الفيضان الأخير الذي قتل فيه 14 شخصا. وربما كانت مظاهر الحنق الشعبي من هادي والتحالف جزءا من قرار المجلس الانتقالي إعلان الحكم الذاتي وحيلة منه للضغط على السعودية التي تواجه مهمة معقدة بعد خروج الإمارات، ففي الوقت الذي لا يحظى فيه الحوثيون من الشمال بدعم في الجنوب الذي يعتبرهم دخلاء ومن طائفة مختلفة، إلا أن المجلس يعاني من مشكلة حقيقية في الجنوب، فلا شعبية له خارج عدن، وقد رفضته المحافظات الكبرى مثل حضرموت. ومن الناحية الرسمية تريد السعودية الحفاظ على وحدة اليمن، لكن بعض المسؤولين السعوديين باتوا يتساءلون وإن بطريقة خاصة عن إمكانية قبول انفصال الجنوب وفي ضوء العداء المحلي للحوثيين. وحتى لو استطاع الانفصاليون تعزيز قوتهم فسيصبح الشمال أكثر فقرا، ففي الجنوب معظم الأراضي الصالحة للزراعة واحتياطي متواضع من النفط، أما الشماليون فلن يحصلوا إلا على مناطق جبلية وحدود طويلة مع السعودية، وهو سبب آخر لكراهية المملكة.

انقلاب؟

ويمكن لنا أن نسأل، هل تحرك الانفصاليون كنتيجة للفراغ الذي خلفه السعوديون والإماراتيون أم أنه جاء بضوء أخضر من أبو ظبي؟ من الصعب الرد بشكل قاطع، مع أنه لا يمكن فصل القرار عن التحركات التي قامت بها الإمارات في السنوات الخمس الماضية. وكما جاء في تقرير لموقع «ميدل إيست آي» (2020/5/1) قارب فيه كاتبه بين انقلاب حفتر الأخير بزعم «التفويض الشعبي» وانقلاب الجنوبيين. ففي ليبيا كما في اليمن حاولت أبو ظبي دعم الطرفين كجزء من تعزيز تأثيرها. وكان حليفيها المجلس الانتقالي يتعرض لضغوط من أجل تطبيق اتفاق الرياض في وقت تكبد فيه حفتر هزائم متكررة في الفترة الماضية، وعليه أصبح الفصيلان بحاجة لتأكيد حضورهما. وهذا مهم لمشروع التسيد الإقليمي الإماراتي، فمنذ عام 2014 رأت الإمارات في حفتر قوة مفيدة لها لكي تكرر جهودها في مصر التي نصبت فيها نظاما مستبدا، ولهذا وضعت أمير الحرب الليبي تحت جناحيها. ودعمت كذلك المجلس الانتقالي الجنوبي منذ إنشائه. وفي الوقت الذي يزعم فيه المجلس تمثيله لمصالح الجنوبيين اليمنيين إلا أنه يعتمد بشكل كامل على دعم الإمارات. وظلت هذه تعمل على تقويض اتفاق الرياض ودعم الميليشيات الانفصالية في معظم الجنوب بما في ذلك جزيرة سقطرى. وتريد الإمارات السيطرة على موانئ الجنوب خاصة عدن وسقطرى لكي تقيم محور تأثير في البحر الأحمر وتعزز من تجارتها البحرية. ولا بد من الإشارة إلى أن الحديث عن خلافات سعودية–إماراتية مبالغ فيه، فالرياض وإن كتمت حنقها من الدور الإماراتي المتزايد في اليمن وليبيا إلا أن التحالف قوي بينهما ويقوم على أجندة الثورة المضادة والاستثمار القوي في العلاقات العسكرية. وفي الملف اليمني تحاول الإمارات تحقيق أهدافها من خلال التحرك بحذر وبراغماتية حتى لا تغضب السعودية أو تؤثر على التحالف. وتعرف أنها بحاجة لدعم الرياض لحشد الدعم الدولي لوكيليها في ليبيا واليمن. ورغم معارضة محافظات في الجنوب لإعلان المجلس الانتقالي وفي عدن أيضا إلا أن المجلس يقوم بحملة علاقات عامة من خلال متحدثين باسمه في محاولة لتقديم نفسه كممثل حقيقي لسكان الجنوب. وبالمقام نفسه قام حفتر بحملة دبلوماسية قدم فيها نفسه كرجل قادر على حل مشاكل ليبيا وبالتالي الحصول على دعم دولي. واستخدم المجلس الانتقالي الجنوبي جماعات الضغط الأمريكية إضافة إلى حملات التضليل الإماراتية وجهود الضغط في الدوائر الأمريكية والأوروبية والترويج لرؤيتها من خلال مراكز البحث ووسائل الإعلام والحصول على دعم للحركات التي تدعمها. وربما نجحت أبو ظبي مع حليفها حفتر من خلال فرضه جزءا من أي عملية تسوية مقبلة لكن تحقيق هدفها في اليمن سيكون صعبا في ضوء معارضة الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والمبعوث الدولي مارتن غريفيث. وفي النهاية يظل مشروع الانفصال مرتبطا بقدرة المجلس الانتقالي على توسيع سلطته أبعد من عدن.

حوار

الأكاديمي اللبناني والخبير في السياسات العامة أنطوان حداد:

«الطبعة الثانية» من الثورة ستكون أكثر عنفاً من دون السقوط في الفوضى الشاملة

حاورته: رلى موفق

يرى الأكاديمي اللبناني والخبير في السياسات العامة الدكتور أنطوان حداد أنه من الطبيعي أن تكون الطبعة المتجددة من ثورة 17 تشرين الأول/أكتوبر ذات مكوّن عنفي أكبر من الطبعة الأولى نظراً لتفاقم الأزمة المعيشية خلال الأشهر الستة الماضية، لكنه لا يُبدي تخوفاً كبيراً من أن تتحوّل إلى فوضى شاملة، مراهناً على ما أظهره الجيش سابقاً من وعي وحكمة في إدارة حركة الشارع، بما أمن حق المتظاهرين الشرعي بالتعبير وبالتظاهر السلمي، وبالمقابل الحفاظ على النظام العام، عازيا غليان حركة الاعتراض في المناطق السنية، ولا سيما طرابلس في شمال لبنان، إلى عنصري ارتفاع منسوب الحرمان وتمتعها بحرية حركة سياسية.

ينظر حداد، الذي كان من مؤسسي «حركة التجدد الديمقراطي» مع السياسي الرفيع الراحل نسيب لحود، إلى الخطة الاقتصادية للحكومة على أنها الخطوة الأولى في رحلة الألف ميل، فمن إيجابياتها أنها تضمنت تشخيصاً مقبولاً وموضوعياً للوضع الكارثي وطلبت مساعدة صندوق النقد الدولي كأحد الأدوات التنفيذية، لكنه يشتمُّ وجود نوايا للترويج السياسي، أكثر من نوايا وضع لبنان على سكة الإنقاذ.

بقراءة أولية للخطة، يُفنّد ملاحظاته على الخطة، مُسجلاً غياب توزيع عادل للأعباء ومقاربة سطحية للبعد الاجتماعي في عزمها المعلن لمكافحة الفقر، فضلاً عن إغفالها تحديد الهوية الاقتصادية للبنان التي على أساسها تترتب طبيعة الاقتصاد والمالية العامة والسياسات العامة المتصلة بها.

وإذ يتوقع مواصلة سياسة محاصرة «حزب الله» أقله حتى موعد الانتخابات الأميركية، والتي تُرجحت أخيراً بادراجه من قبل ألمانيا على لائحة الإرهاب، فإنه لا يستبعد أن يضع ذلك «الحزب» والسلطة عموماً أمام خيارات أكثر صعوبة قد تدفعهم لإظهار رغبة أكبر بالانتقال إلى موقع تهدئة وتحييد للبنان.

وهنا نص الحوار:

○ **السقوط المدوّي لليرة وقيمتها الشرائية والارتفاع الهستيري للأسعار يؤشر إلى انفجار اجتماعي بدأت ملامحه في الشارع. هل نحن أمام طبعة جديدة من ثورة 17 تشرين الأول/أكتوبر أم أن البلاد تتّجه نحو الفوضى؟**

● نحن أمام الاثنين معاً. من المؤكد أن هناك طبعة متجددة من ثورة 17 تشرين الأول/أكتوبر التي هي ثورة مدنية وسياسية بالدرجة الأولى تطالب بمحاربة الفساد وبالتغيير السياسي الشامل، إنما مع مكوّن عنفي أكبر، بفعل التفاقم الكبير في الوضع الاجتماعي وانتشار الفقر والغلاء والحرمان منذ 6 أشهر إلى الآن. ولكن من المؤكد أن الاثنين سيتعايشان لفترة طويلة. أما الفوضى، فمن المبكر الحديث عنها بالمعنى الشامل، أي لناحية تفلّت الأمور من أي ضوابط. ما زال هناك متّسع من الوقت لاستلحاق عدم السقوط في الفوضى الشاملة.

○ **استهداف القوى الأمنية من قبل الثوار مسار جديد يحمل مخاوف من الوقوع في الفوضى؟**

● هذا الأمر لم يحدث باتجاه واحد. دعينا نستعيد تفاصيل ما حصل، فسقوط قتيل من الثوار برصاص الجيش، وإن كان بشكل عرضي، من الطبيعي أن يؤدي إلى احتجاجات صاخبة واشتباكات في الشوارع، هذه المسألة يجب ألا تفاجئنا لأن مَن يُراق دمه لا يمكن له أن يبقى متفرجاً. إن شاء الله تكون غيمة عنف عابرة وأن يعود الاحتجاج إلى شكله الطبيعي، ولا سيما بعدما شاهدنا مجموعة من الثوار تقدّم الورود إلى عناصر الجيش بحركة نبيلة جداً.

○ **ما سرّ اقتصار تعبيرات الحركة الغاضبة غير السلمية في الشارع على المناطق ذات الغالبية السنية؟**

● يجب التمعن في هذا الأمر، فالمناطق التي حصل فيها غليان، وتحديداً طرابلس، يجتمع فيها عنصران، الأول هو الفقر المدقع الذي تعاني منه أكثر من أي منطقة لبنانية أخرى، وهي توصف بأنها المدينة الأفقر على ساحل المتوسط. أما الثاني فهو قدرة التحرك التي تتمتع بها المجموعات المدنية في هذه المدينة وتفتقدها أماكن أخرى. هناك مجموعات في مناطق أخرى لديها مستوى مرتفع من الحرمان لكنها لا تتمتع بنفس الحرية السياسية أو حرية الحركة الموجودة في طرابلس حيث الزعامات التقليدية التي كانت تمثل نوعاً من القيادة السياسية فقدت قسماً كبيراً من نفوذها. شهدنا بالتزامن تحركات في النبطية وصور ومزرعة يشوع والزوق وبيورت، وإن كانت غير عنفية.

○ **ثمّة مخاوف من إغراق الشارع المنتفض بأجندات سياسية تقوده من الخلف ويتحكم فيها الأقوى والأكثر تنظيماً كحزب الله مثلاً؟**

● ربما لدى البعض تخوّف من هذا النوع، لكني لا أتبنى عموما نظريات المؤامرة، وأحكم على الواقع. ما نلمسه من خلال متابعة تحركات القوى المنتفضة لا يشي بهذا الأمر. ربما في أماكن أخرى هناك تحركات مدفوعة سياسياً من قبل قوى منظمة، لكن إحدى مشاكل هذه الثورة أنها غير منظمة ما يجعلها عرضة للاختراق. لكن ما شاهدناه حتى الآن، وخاصة في الفصل الأخير في طرابلس، لم يُظهر لنا هذا الأمر. هذه حركة عفوية فيها شوائب كثيرة بسبب عفويتها إنما لا ترقى إلى حد الاختراق.

○ **هناك خشية من الدفع في اتجاه فوضى تستدرج الجيش والشعب إلى المواجهة، فإما تؤول إلى المجازفة بالمؤسسة العسكرية كضامنة للوحدة والسلم الأهلي أو تُفضي إلى قيام حكومة عسكرية؟**

● أنا أستبعد أن تحصل مواجهة مفتوحة أو مستديمة بين الجيش والمنتفضين، فبالرغم من أن «الطبعة الثانية» من الثورة ستكون أكثر عنفاً، لكن المرحلة الأولى منها أظهرت أن الجيش تعامل مع الشارع وحركته بطريقة ناجحة، ويبدو أن هناك وعياً سياسياً لدى قيادة الجيش والقوى الأمنية حول هذا الأمر، مع توقع بعض الاستثناءات العنفيّة، فأحياناً كثيرة يحصل سوء تقدير للموقف من قبل أحد العناصر الأمنية أو سوء إدارة محلية من قبل الضابط المسؤول، لكن يبدو إن قيادة الجيش تُدير الأمر حتى الآن بحكمة، ضمن معادلة حماية الحق الشرعي بالتظاهر والتعبير السلمي مقابل الحفاظ على النظام العام. وهذا ما أقصده بإمكانية تفادي الفوضى، ولكن إلى متى؟ لا أعرف.

أما قيام حكومة عسكرية، فهو أمر غير واقعي في لبنان. فدرجة تعقيد الاجتماع السياسي اللبناني وتوزّع مراكز القوى فيه يجعلان هذه الاحتمالية غير قابلة للتنفيذ.

○ **المراقب للحركة الاحتجاجية في طبعتها الأولى، رأى ارتفاعاً في منسوبها ونشاطها وفعاليتها، لكن فجأة شاهدناها تخبو، وركنت إلى حكومة تكنوقراط في الشكل، هل كنت تتوقع هذه النهاية؟**

● دعينا نميّز بين مستويين، الأول تأثير أي تحرّك شعبي على آلية تشكيل السلطة، والثاني تأثيره على السياسات العامة وخيارات السلطة. طبعاً هناك تفاوت كبير في المستويين. في المستوى الأول، وتحديداً الحكومة – لأنها الوحيدة التي طالها التغيير– كان تأثير التحرك الشعبي ضعيفاً. أُعيد تشكيل الحكومة وفق موازين القوى بين الأطراف السياسيين الذين يشكلون عصب السلطة، أي «حزب الله» ورئاسة الجمهورية. ولم تلعب الانتفاضة أي دور، لأنه من غير الممكن أن يكون لها دور بدرجة تنظيمها الحالي.

وفي المستوى الثاني، أي تأثيرها بالسياسات العامة، لعبت دوراً أساسياً. اليوم هناك معادلة جديدة، لا أحد يأخذ قراراً في الحكومة أو على أي مستوى، سواء في السلطة أو المعارضة إلا ويحسب حساباً لرأي الشارع. هذا المسار قائم منذ 17 تشرين الأول/أكتوبر، ولا يقتصر الأمر على اللاعبين السياسيين، فالمجتمع الدولي وحتى المجتمع الاقتصادي بات يتطلع إلى ردّ فعل الشارع. صحيح أنه لم يكن للانتفاضة في المرحلة الأولى دور في تشكيل السلطة لكن هذا لا يعني أنه سيكون كذلك في المستقبل، خاصة إذا حصل تنظيم أكبر وإفراز قيادات لها برنامج موحد. عموماً يمكن القول إن الثورة الشعبية باتت تشكل حتى الآن قوّة معنوية وسلطة رقابة لا يُستهان بها.

○ **لكن هذه القوّة المعنوية لا تُصرف في السياسة، ولا تؤثر في عملية تكوين السلطة؟**

● صحيح، لكن لا يعني أنها من دون تأثير. السياسة ليست فقط مواقع ومناصب، إنما أيضاً قرارات ومصالح، ويجب أن نتعوّد على هذا الشيء. حتى الآن هي سلطة رقابة معنوية، وهذا ما فشل به مجلس النواب نتيجة للانتخابات المشؤمة عام 2018، والتي جاءت بأناس يشبهون بعضهم من حيث بنيتهم الطائفية المتخلفة وتمثيلهم لمصالح لها علاقة بالقرون الوسطى، ما جعلهم يفقدون الشرعية. وبالتالي انتقلت آلية المحاسبة إلى الشارع. هذا وضع انتقالي سيستمر إلى حين إجراء انتخابات طبيعية غير مشوهة وغير مُعلّبة.

○ **قبل سابقاً أن وظيفة حكومة حسان دياب هي توفير «هبوط سلس أو هادئ» للانهيار المحتّم. هل هي قادرة على لعب هذا الدور؟**

● لا أعرف إذا كان الهبوط الهادئ المتصل بالأزمة الاقتصادية ما زال ممكناً. هو يزداد صعوبة مع عملية إضاعة الوقت ويحتاج إلى حكومة تملك قاعدة اجتماعية وسياسية واسعة. مشكلة هذه الحكومة، قياساً بالحكومة السابقة، أنها قلصت قاعدة تمثيلها السياسي بالمعنى التقليدي، وبالمقابل لم تستطع أخذ ثقة الشارع والثورة، فدعمها السياسي يقتصر فقط على قسم من الطبقة السياسية التي كانت متكتلة في الحكومة السابقة المتهمة أصلا بالفساد. هذا يعني أنها تقف على أرضية رخوة، فيما الهبوط السلس يحتاج إلى أرضية صلبة.

○ **كيف قرأت هجوم رئيس الحكومة على حاكم مصرف لبنان رياض سلامة وردّ الأخير عليه؟ وهل أعيد ضبط الأمور بعد هذه «المبارزة»؟**

● يمكن قول الكثير في انتقاد السياسات النقدية لمصرف لبنان على مدى سنوات، وتحميله جزءاً كبيراً من المسؤولية. باعتقادي أن هناك مثلثاً يتحمّل مسؤولية تفاقم هذه الأزمة: السلطة السياسية، والسلطة النقدية، والمصارف.

أما «المبارزة» الأخيرة بين رئيس الحكومة وحاكم مصرف لبنان فهي تقع على تقاطع رغبتين: سعي رئيس الحكومة للحصول على شعبية ومصداقية ونفوذ أكبر، وسعي فريق رئيس الجمهورية، بدعم من حزب الله، لوضع يده على السلطة النقدية، وتصفية أحد المرشحين الدائمين لرئاسة الجمهورية.

من المؤكد أن السياسة النقدية بحاجة إلى إصلاح، لكن هذا لا يمكن أن يتم من خلال «المبارزة». النتيجة واضحة، حاكم مصرف لبنان أظهر أنه ما زال يملك الكثير من الأوراق، ربما أكثر من حزب الله في هذا الظرف، وقد أحسن استخدامها وخرج من المواجهة بما يضمن له البقاء حتى الآن في منصبه.

○ **هل تشكّل خطة الحكومة للإنقاذ الاقتصادي خريطة طريق قابله للتحقيق للخروج من الانهيار المالي وإطلاق مسار النهوض؟**

● هي خطوة أولى في رحلة الألف ميل. من القضايا الإيجابية أنها تتضمن تشخيصاً مقبولاً وموضوعياً للوضع الكارثي الذي وصلنا إليه، والذي لم نكن نحصل دائماً على تشخيص دقيق له، بل حسب أهواء القوى السياسية. النقطة الإيجابية الثانية أنها تستعرض احتمالات المعالجة، وتقول ما هي أدواتها، وخصوصاً أنها تريد تحكيم صندوق النقد الدولي وتطلب مساعدته تمهيداً للحصول على دعمه المالي. لكن المقلق هو مظاهر تقديم الخطة ومن ضمنها وصفها بـ«الإنجاز التاريخي» والتي تُظهر نوايا للترويج السياسي أكثر من نوايا وضع لبنان على سكة الإنقاذ. لبنان شهد خططا على مدى الثلاثين الماضية، بدءاً من باريس 1 و2 و3 ومروراً بمؤتمر سيدر وصولاً إلى خطة ماكينزي. ولكي أكون موضوعياً، فإن أكثر الخطط جدية وشمولية وأفضل حتى من الخطة الحالية، مع فارق الزمن، هي الخطة التي قُدّمت في مؤتمر باريس 3 في العام 2007. فالخطة التي قُدمت بالأمس لم تستطع اعتماد سياسة واضحة حيال سعر صرف الليرة، وهذه نقطة جوهرية لأن ازدواجية سعر الصرف القائمة حالياً لها آثار خانقة على الاقتصاد، وتفقدنا القدرة على تمويل استيراد المواد الأولية الضرورية لاستمرار أي مرفق صناعي أو زراعي، مما يترتب عليه إقفال المصانع والشركات الكبرى.

○ **الحكومة تقول إن تثبيت سعر الصرف من مهمة مصرف لبنان؟**

● في هذه المرحلة لا أحد يستطيع أن يرمي المسؤولية على الآخر، يجب أن يحصل تكامل وتفاهم بين السياسة النقدية والسياسة المالية للحكومة. الكلام الذي سمعته أن هذه المشكلة ليست من مسؤولياتي هو مجرّد ذريعة. لو كنا في ظرف طبيعي لأمكننا القول إن السياسة النقدية مستقلة، ورغم ذلك فإن التنسيق مطلوب.

○ **أي مخاوف لديك من الخطة؟**

● من ملاحظاتي أنها تدّعي توزيع الأعباء بشكل عادل، لكنها رمت بثقل الأعباء بشكل مبالغ فيه باتجاهين: الأول أملاك الدولة، ما يعني توجهها لحل جزء من المشكلة عن طريق التخلي عن الأملاك العامة التي هي ملك للأجيال المقبلة، والثاني هو العبء الثقيل الذي تمّ تحميله للمصارف التي –بمعزل عن أخطائها – لا يجوز الضغط عليها بطريقة تؤدي إلى تصفيتها. المطلوب إعادة هيكلة القطاع المصرفي لا تصفيته.

كان من الأفضل لو ركزت الخطة على المسائل التي تعطي نتائج مباشرة من المعيب ألا نتطرق بالعمق إلى قطاع الكهرباء رغم انتقادات المجتمعين اللبناني والدولي المزمنة لكيفية التعامل معه. ومن المعيب كذلك ألا تتطرق الخطة لقضية التهريب عبر المعابر الشرعية وغير الشرعية والتهريب عموماً لأنهما يشكلان نزيفاً كبيراً للاقتصاد ولمالية الدولة. وقف التهريب يؤمن للخزينة مليار دولار سنوياً وحل مشكلة الكهرباء ملياراً آخر.

ومن ملاحظاتي، أن الخطة تدّعي مكافحة الفقر لكن مقاربتها للبعد الاجتماعي سطحية. لم تشرح لنا كيفية دعم نصف الشعب اللبناني الذي أصبح بحاجة إلى المساعدة. ورغم أنها تُشدّد على تنقية حسابات المالية العامة ومكافحة الفساد وإصلاح النظام المصرفي، لكنها لم تتحدث عن هوية لبنان الاقتصادية؟ هذه القضايا لها مترتبات كبيرة في العلاقات الدولية والسياسات الخارجية، فإذا أرادوا تعزيز السياحة واقتصاد المعرفة والخدمات المالية والتكنولوجيا المالية، فهل يستطيعون القيام بهذا الدور ولبنان يعاني من عزلة دولية بسبب تموضعه الإقليمي؟ هذه أمور ليست ثانوية أو سياسية بالمعنى السطحي للكلمة، هذه أمور جوهرية لأنه على أساسها يترتب نوع الاقتصاد ونوع المالية ونوع السياسات العامة المتصلة بها.

○ **في غياب رؤية مشتركة حول وظيفة لبنان الاقتصادية، وفي ظل اختلال التوازنات السياسية، هناك مخاوف من محاولات لتغيير طبيعة النظام الحر؟**

● لا أريد أن أبالغ أو أن أظلم الخطة، فهي في النهاية لا تُثير مثل هذه المخاوف. وجهة نظري أن النظام الاقتصادي اللبناني مأزوم ومعطّل ليس في جوهره بل في أدائه وطريقة تشغيله. لكن لا يوجد طرح جدي وعملي لاستبداله، ولا أحد قدّم بديلاً لغاية الآن، وتحديداً «حزب الله» القوة النافذة في السلطة. هو الأكثر راديكالية، ماذا يقول؟ هل قال مثلاً إنه يريد أن يُقيم نظاماً مشابهاً للنظام الإيراني أو السوري؟

○ **«استدارة نحو الشرق» هذا ما قاله السيد حسن نصر الله؟**

● أعتقد أنه قصد تعزيز العلاقة مع الصين، وهذا لا يعني تغيير طبيعة النظام الحر. أولا الصين أصبحت اليوم ثاني أكبر اقتصاد رأسمالي في العالم، ثانيا هي الشريك التجاري الأول للبنان، وبالتالي هي غير معنية للحلول مكان أحد في لبنان وتحديداً الولايات المتحدة. الكل يتمنى أن تزدهر العلاقات اللبنانية-الصينية ولكن على قاعدة التجارة الحرّة والتصنيع والتصدير وليس على قاعدة تغيير النظام الحر. أنا أتكلم عن الأنظمة الاقتصادية الحليفة لحزب الله في المنطقة، مثل إيران والنظام السوري. هي دول مأزومة، ولا حلول لديها لاقتصاداتها، فكيف للبنان؟

○ **دياب وقّع طلب مساعدة صندوق النقد الدولي؟ هل نحن أمام إقرار أو طلب ضمني من هذه القوى بأنها ستتخلى عن مصالحها أم هي لعبة «كسب وقت» كون التفاوض سيأخذ وقته؟**

● الاثنان معاً، فلا تناقض بينهما. في الأساس «حزب الله» كان حذراً في تناول موضوع صندوق النقد، لا بل كان يميل إلى الاعتراض على هذا الموضوع ووضعه كخط أحمر. تطوُّر الموقف جاء بعدما لجأت إيران إلى صندوق النقد، وعندها لم يعد بإمكان «حزب الله» التذرع بأن الصندوق هو جهة لا يمكن الركون إليها. وفي الوقت نفسه تفاقم الأزمة في لبنان وانتفاء القدرة على الحل من دون اللجوء إلى مساعدة خارجية، فكل الدول العربية والأوروبية والمجتمع الدولي تؤشر باتجاه واحد وهو صندوق النقد، والممثل المقيم للأمم المتحدة في لبنان يذكرنا دائماً به.

هذه بداية الطريق، والتفاوض مع الصندوق يأخذ أشهراً إذا سارت الأمور بطريقة سلسة، في نهاية العام قد يظهر الخيط الأبيض من الأسود. السلطة ستكون أمام خيارات صعبة حول كيفية إدارة المرحلة الانتقالية لأن تطوُّر الوضع في هذه المرحلة يمكن أن يخلق حقائق تصبح معها منطلقات الخطة الاقتصادية في خبر كان. ففي البداية كان الافتراض أن السعر الواقعي للدولار هو 2000 ليرة، لكن مؤخراً تُبنى التوقعات على فرضية 3500 ليرة.

○ **كيف للحكومة أن تؤمّن متوجبات المرحلة الانتقالية ونحن نعيش انهياراً متمادياً؟**

● قد نشهد نزاعات جانبية وتصفية حسابات وعمليات فرض نفوذ، كما شهدنا الأسبوع الماضي بين مواقع السلطة. إذا كانت أولوية الحكومة تحسين صورتها عبر التركيز على لوم الآخرين، بدل الإصلاح الحقيقي، فهذا لن يفيد. ثلاثة أنواع من القضايا يمكن أن تساعدنا على عبور المرحلة، أولاً الاستمرار بمعالجة الأمور الطارئة بطريقة عقلانية، كالواقع الذي فرضه وباء كورونا. وثانياً التركيز على شبكات الأمان للفئات الأكثر فقراً، وبرأيي المجتمع الدولي، وتحديداً البنك الدولي، جاهز هنا للمساعدة بمعزل عن مصير العلاقة مع صندوق النقد. وثالثاً الشروع الفوري بتنفيذ الإصلاحات الهيكلية التي لا تتطلب أي تمويل أو مساعدة من الخارج. هناك خطوات لا أحد يمنعهم من القيام بها، وخاصة على صعيد خطة الكهرباء ومكافحة التهريب، ناهيك عن استقلالية القضاء وإقرار التشكيلات التي أجراها مجلس القضاء الأعلى.

○ **استعادة الثقة تجسدها الشروط الدولية للحصول على المساعدات، وهي البدء بالإصلاحات المطلوبة، برأيك، هذه الحكومة يمكنها أن تقوم بذلك؟**

● التحدّي مطروح على القوى السياسية التي أتت بهذه الحكومة. هل ستسمح لها بالقيام بهذه الإصلاحات، ولو بالحد الأدنى؟ هذا يساعد على إعادة بناء الثقة أولاً مع اللبنانيين ثم مع الخارج، وهذا هو التحدي الأكبر. أما إذا غلبوا قضايا أخرى من نوع من يريد أن يصبح رئيساً للجمهورية سنة 2022 أو من يريد أن يظهر بطلاً أمام الرأي العام لدى طائفة معينة، أو من يريد تغليب القضايا المتصلة بالمحاور الإقليمية والصراعات الخارجية، أعتقد أن هذا سيكون مؤشراً سلبياً. وإذا سمحت القوى السياسية التي تمسك بالسلطة للحكومة أن تقوم بواجباتها، فأنا متأكد أن كثيراً من الوزراء الاختصاصيين يعرفون كيف يديرون الأمور تقنياً.

○ **كيف ستأتي حكومة يعتبرها الخارج حكومة «حزب الله» بالساعدات والاستثمارات؟**

● إذا بقيت الممارسات السابقة قائمة، لا يمكنها القيام بذلك، لكن أنا لا أحكم على الأمور من هذه الزاوية، ولا أحب تسمية الحكومة بأنها تابعة لأحد الأطراف، إنما أفضل إصدار الأحكام على الممارسات وعلى الخيارات والسياسات، ولا شيء يمنع هذه الحكومة ومن يقف خلفها، حزب الله ورئاسة الجمهورية، من القيام بواجباتها.

○ **فيما حكومة دياب تسعى إلى فتح ثغرة في الموقفين العربي والدولي لكسب الدعم، جاء الموقف الألماني بوضع راعي هذه الحكومة، أي «حزب الله»، على لائحة الإرهاب، ألا يدل ذلك على توسع العزلة وبالتالي استحالة الرهان على انقاذ عربي– دولي؟**

● صحيح أن الأمر يبدو كذلك، لكن أنا لا أربط بشكل آلي بين الإعلان عن الخطة وما قامت به ألمانيا تجاه «حزب الله»، هذا أمر غير مفاجئ ويمكن أن تتواصل سياسة محاصرة «الحزب»، على المدى المنظور، أقله حتى موعد الانتخابات الأميركية، وقد يستمر أو يتوقف بعدها. ما حصل وضع «حزب الله» والسلطة عموماً في لبنان أمام خيارات أكثر صعوبة قد تدفعهم لإظهار درجة أعلى من الرغبة بالانتقال إلى موقع تهدئة وحياد للبنان.

حريات

مبادرة هامة وتحذيرات من الآمال الزائفة

لأول مرة محاكمة ضابطين سوريين في ألمانيا بعد اتهامهما بارتكاب جرائم حرب

حسام محمد

يشتهر النظام السوري بمنظومته الأمنية البوليسية، وبها يُعرف دولياً ومحلياً، ويمكن وسم هذا الكيان، بـ «العقل المدبر» لكل ممارسات وأفعال نظام الحكم في سوريا من الأب إلى الولد، في حين أن هذه الشبكة الأمنية المعقدة والمحاطة بالسرية، تعتبر أحد أبرز التشكيلات التي لم تصب بهزائم كبرى ضمن صفوفها في البلاد، رغم الحرب التي استعرت ولا تزال منذ قرابة عقد من الزمن.

وقد أجمع عدد من الخبراء وصناع القرار، على أن مؤسسة دمشق الاستخباراتية، هي الرئة التي أبقت نظام الأسدين على قيد الحياة رغم التدمير الهائل الذي طال بقية مؤسساته المدنية والعسكرية، وصولا للحزبية والخدمية. فهذه الشبكة هي من أوغلت في دماء السوريين وقادت الحرب الهستيرية في البلاد، ولعبت دورا هاما في إيجاد حلقات الاتصال مع العديد من الدول الإقليمية وحتى الدولية، بما فيها تلك التي أعلنت عداوتها لبشار الأسد ونظامه، ودعمت معارضيه جهرا وفي الخفاء لإسقاط نظامه.

ففي أول محاكمة لجرائم الحرب الطويلة وغير المنتهية في سوريا، وفي حدث هو الأول عالميا، مثل ضابطان سابقان من النظام السوري في 23 أبريل/ نيسان الماضي، وهما العقيد السابق في جهاز أمن الدولة أنور رسلان 57 عاما، وإياد الغريب 43 عاما، أمام المحكمة العليا في مدينة كوبلنتس الألمانية في مبادرة هي الأولى حول العالم، بعد توجيه تهم مباشرة لهما بارتكاب جرائم حرب خلال تواجدهما على رأس وظائفهما الأمنية والعسكرية ضمن قوام النظام السوري.

ووفق ما نقلته وسائل إعلام عن القضاء الألماني، فإن العقيد رسلان، متهم بالوقوف وراء مقتل 58 سورياً، وكذلك متورط في تعذيب ما لا يقل عن أربعة آلاف معتقل، وذلك خلال الفترة التي ترأس فيها قسم التحقيقات في الفرع 251 التابع للمخابرات السورية وهو ما يعرف بـ«فرع الخطيب» وذلك بين عامي 2011 حتى أيلول/سبتمبر من عام 2012.

في حين، أن وزارة الخارجية الألمانية، شهدت بأداء العقيد السابق أنور رسلان «دورا نشطا واضحا» في المعارضة السورية، جراء التحاقه ضمن صفوفها عقب خروجه من دمشق ومنظومته الأمنية، كما لم يخش الضابط المنشق قط من أن يتعرض للمضايقة أو الاعتقال بسبب أنشطته الماضية خلال تواجده في الأراضي الألمانية، وفق ما أفادت به مصادر إعلامية مختلفة.

إلا أن رياح رسلان لم تمض كما اشتهى، حيث أوقف في شباط/فبراير 2019 مع عنصر مخابرات سابق آخر، هو إياد الغريب، لتتم مقاضاتهما وفتح السجلات القديمة لجرائم الحرب التي اتهما بتنفيذها في سوريا خلال تواجدهما ضمن قيادات النظام السوري.

أما إياد الغريب، فقد وجهت له تهما بالتواطؤ في جرائم ضد الإنسانية، ومشاركته في توقيف متظاهرين، ليتم اقتياده فيما بعد إلى فرع السجن الذي يتولى التحقيق فيه أنور رسلان، وذلك في الفترة الممتدة من أيلول/سبتمبر 2011 حتى 32 تشرين الأول/ أكتوبر من العام ذاته.

في حين تقول بعض المصادر، أن الغريب أوقف 30 شخصا، وكان يعمل تحت إمرة حافظ مخلوف، ابن خال الرئيس بشار الأسد ويعتبر من ضمن دائرته الضيّقة.

وانشق الضابطان الموقوفان قيد الحبس الاحترازي منذ اعتقالهما في 12 شباط/فبراير 2019 من سوريا ووصلا إلى ألمانيا حيث طلبا اللجوء على غرار مئات آلاف السوريين منذ تسع سنوات، فيما يقول أنور رسلان إنه انشق في أواخر 2012 وتفيد عدة وسائل إعلام أنه انضم إلى صفوف المعارضة في المنفى قبل أن يصل إلى ألمانيا في 26 تموز/يوليو 2014 وهو يواجه عقوبة السجن المؤبد، حسب ما نقلته وكالة «أ. ف. ب».

مبادرة هامة

قال ناشطون قانونيون في «المركز الأوروبي للحقوق الدستورية والإنسانية» إنّ هذا الإجراء القانوني هو الأول من نوعه في العالم الذي يتعلق بعمليات تعذيب تمّت برعاية الدولة السورية.

وقال فولفغانغ كاليك الأمين العام لـ«المركز الأوروبي للحقوق الدستورية وحقوق الإنسان» وهي ألمانية منظمة غير حكومية، لوكالة فرانس برس: «المحاكمة المحاطة بتدابير أمنية مشددة والتي ستستمر حتى منتصف آب/أيلول على أقرب تقدير أمام محكمة كوبلنس تشكل خطوة مهمة وبداية النظر في جرائم (النظام السوري) أمام محكمة عليا ألمانية».

وقدم كاليك الدعم لـ16 من الضحايا السابقين بعضهم أطراف مدنيون في الدعوى. وبين المدعين المحامي السوري والناشط البارز في مجال حقوق الإنسان أنور البني المقيم في ألمانيا كلاجئ منذ خمس سنوات ونصف السنة.

أما المتحدثة باسم المحكمة في كوبلنز، بيترا زيمرمان، فقالت وفق «رويترز»: «متهمان بالانتماء لإدارة المخابرات العامة السورية» وأنور رسلان يُعتقد أنه كان رئيس وحدة التحقيقات في الإدارة 251 المسؤولة عن دمشق، ويُعتقد أن التعذيب المنهج للسجناء وقع في هذا السجن، وأنه كان على علم بذلك.

مع فتح قضية العدالة ومحاكمة المتورطين ضمن النظام السوري بارتكاب جرائم حرب خلال السنوات الماضية، لا بد من الإشارة إلى أن روسيا والصين أحبطتا محاولات عدة قامت بها قوى غربية في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، لتنظيم محاكمة دولية بشأن سوريا، إذ إن الأخيرة ليست من الدول الموقعة على نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية في لاهاي.

وعلى الرّغم من أن المتّهمين هما مواطنان سوريان، الا إنهما، وفق «فرانس 24» سيحاكمان بموجب مبدأ العدالة الدولية الذي يسمح لدولة أجنبية بمقاضاة مرتكبي جرائم ضد الإنسانية.

وتأتي هذه المحاكمة في ألمانيا في أعقاب سلسلة من الشكاوى المقدمة في العديد من الدول الأوروبية من قبل ضحايا التعذيب بدعم من محامين تابعين لـ«المركز الأوروبي للحقوق الدستورية والانسانية».

ليست العدالة المنشودة

الشبكة السورية لحقوق الإنسان وهي منظمة سورية غير حكومية، ساهمت في قضية محاكمة الضابطين في النظام السوري ضمن المحكمة الألمانية، وقال مديرها فضل عبد الغني لـ «القدس العربي»: «بعض الأطراف والأشخاص بالغوا في حجم هذه القضية، حتى راح بعضهم يعتبرها نقطة فاصلة في التاريخ السوري المعاصر، وفي مسار العدالة».

وأضاف: «أولا يجب وضع القضية ضمن سياقها ومسارها الصحيح، فهي ليست مسار عدالة انتقالية، وهي ضمن الأمر المتاح في يد الجهات الحقوقية حاليا، وذلك ضمن المتوفر من حيث القدرة على المحاسبة القانونية عبر المحاكم ذات الاختصاص، وهي عادة تكون قضايا محدودة، لا تحاسب أعدادا كبيرة، وهي تحاسب من تستطيع الوصول إليه ضمن الأطر القانونية، لذلك يتوجب عدم إعطاء أمل زائف للضحايا من أبناء الشعب السوري.

هذا الضابط، متورط في انتهاكات، وكان في ألمانيا منذ عام 2014. لم يقدم وثائق أدلة عما سبق، ولا يكفي إعلان انشقاقه، كذلك تعرف عليه بعض ضحاياه، ورفعوا دعوى قضائية بحقه، وهذا سياق القضية وليست بحجم أوسع، وهي ليست العدالة المنشودة، ولا هي العدالة الانتقالية، وهي مجرد جزء بسيط من مسار طويل من العدالة الانتقالية، ومتابعة حقوق الضحايا السوريين».

وأشار كذلك إلى امتلاكهم ملفات منذ عام 2011 لضحايا التعذيب في فرع الخطيب التابع للنظام السوري خلال الفترة التي كان فيها الضابط الأمني السابق أنور رسلان مسؤولا في الفرع، وبعد ذلك كان التنسيق مع المركز الدستوري وهو القائم على القضية ورافعها، ومن معهم، ليتبين أن ما يجري في فرع الخطيب من جرائم بحق المعتقلين السوريين، يتم وفق نهج مخطط من قبل استخبارات الأسد وكذلك ما يخص المختفين قسرا ضمن هذا المركز الأمني.

تعذيب وحشي

النيابة العامة الألمانية أشارت إلى أن المعتقلين في سجن الخطيب ممن شاركوا في التظاهرات المطالبة بالحرية والديمقراطية في سوريا، تعرضوا «للكم والضرب بالعصي والأسلاك والجلد» كما خضعوا لـ«الصعق بالكهرباء».

كما تضيف، أنه تم تعليق البعض بمعصميهم «بحيث لا يلامسون الأرض إلا برؤوس أقدامهم» و«استمرّ ضربهم في هذه الوضعية» مشيرة كذلك إلى «حرمانهم من النوم لعدة أيام» كما جاء في بيان الاتهام أن «وسائل التعذيب الجسدية والنفسية الوحشية» كانت تهدف إلى انتزاع «اعترافات ومعلومات حول المعارضة».

المحاكمة والمعارضة السورية

مدير وحدة تحليل السياسات في مركز الحوار السوري محمد نذير سالم، اعتبر أن محاكمة الضابطين المتهمين بارتكاب جرائم حرب في سوريا، ستعود بدعم غير مباشر للمعارضة السورية، وقال لـ «القدس العربي»: «نعم، تقدم هذه الخطوة دعماً غير مباشر للمعارضة، حيث تدعم سرديتها ومطالباتها بالعدالة الانتقالية والمحاسبة، وذلك على الرغم من

الاستخبارات هي الرئة التي أبقت نظام الأسدين على قيد الحياة

أن هذه المحاكمة لا تعتبر نموذجيةً من حيث الشخص المستهدف كونه ابتعد مبكراً نسبياً عن النظام.

إضافة إلى عدم وجود إجماع في صفوف المعارضة على دعم مثل هذه الخطوة باعتبار ترتيب أولويات المحاكمات التي يجب أن تطال الرؤوس الأكثر إجراماً، إضافة إلى التخوف من امتداد مثل تلك المحاكمات إلى شخصيات في فصائل المعارضة المسلحة، والتي وان ارتكبت مخالفات بدورها، لكن لا يمكن مقارنتها أبداً بإجرام النظام السوري، بالتالي، هناك تخوفات من التركيز على محاسبتها من دون محاسبة رؤوس الإجرام في النظام، الأمر الذي يزيد الشك في صفوف المعارضة، والموضوع بالتالي متعلق بالخطوات اللاحقة، لكن على العموم، الخطوة تفتح الباب لتجريم النظام ومنع عودة شرعيته السياسية من البوابة الحقوقية، وتنسجم مع قانون قيصر والعقوبات المتصلة به».

مفاعيل سياسية

سالم، لا يرى في الدعوى حدثًا روتينيا، فهي من وجهة نظره، لا تستهدف مجرماً جنائياً عادياً في بلده، بل تطال ضابطاً في استخبارات النظام السوري يوم كان على رأس عمله.

بالتالي، المحاكمة لها مفاعيل سياسية، ويمكن أن تفتح الباب لمزيد من تجريم النظام السوري وأركانه بالانسجام مع قانون قيصر، إن لم يحصل انحراف في تلك المحاكمات في اتجاهات أخرى.

محاسبة القيادات الدموية

«يمكن أن تفتح الباب لتجريم النظام السوري وقياداته ولو بشكل غيابي» الأمر الذي يسهم، وفق مدير وحدة تحليل السياسات في مركز الحوار السوري محمد نذير سالم، في منع عودة شرعيته في الظروف الراهنة، حيث تسعى بعض الدول العربية وروسيا لإعادة الشرعية للنظام، لكنها لم تنجح في مساعيها.

الأمر الذي يمكن أن يدفعها إلى إعادة التفكير في حلول أخرى توافقية مع المجتمع الدولي، قد يكون من بينها التخلي عن بشار الأسد والدائرة الضيقة حوله. تبقى آثار تلك المحاكمات مرهونة بالتطورات السياسية التي يمكن أن تتغير بدورها، على سبيل المثال، إذا تم حل ملف الاتفاق النووي الإيراني مرة أخرى بعودة الولايات المتحدة له (وهو أمر لا يبدو مرجحاً حتى الآن). فقد ينعكس ذلك على تلك المحاكمات وأثرها السياسي في عزل النظام السوري. حالياً، تبدو الأمور متجهة لمزيد من فرض العزلة والحصار على النظام السوري وداعميه الإيرانيين بشكل خاص.

التجربة الأولى

تتسم محاكمة الضابطين السوريين في ألمانيا في كونها الأولى، بعد تسعة أعوام على إنطلاق الحراك السوري المطالب بالحرية والديمقراطية.

وقال الناشط السياسي السوري المعارض درويش خليفة لـ «القدس العربي»: «ألمانيا تتمتع بمبدأ الولاية القضائية العالمية، ولوجود شهود عدة على الضابطين، سهل من مهمة سوقهما للمحاكمة جراء انتهاكهما لحقوق الإنسان قبل خروجهما من سوريا عبر اعتقال وتعذيب الناشطين السلميين.

ولكونها التجربة الأولى في جر مرتكبي جرائم ضد الإنسانية في الحالة السورية لمحاكم دولية، نرجو ألا يخيب آمال السوريين في تحقيق العدالة والقصاص ممن ساهم بالنيل من كرامتهم وحرمانهم من أبسط حقوقهم المدنية».

ويرى الناشط السياسي، هذه المحاكم فرصة للأسرة الدولية في الضغط وفرض القرارات الدولية وإلزام النظام بتطبيق ما نتج عن مؤتمر جنيف ا وقرارات مجلس الأمن الدولي 2254، 2118.

كذلك، معاقبة المسؤولين عن قصف الغوطة الشرقية في ريف دمشق، في شهر آب/أغسطس من عام 2013 ودخان شيخون في ريف إدلب شمالي سوريا في عام 2017 بغاز السارين المحرم دوليا وفي مناطق أخرى من البلاد.

السوريون المناهضون لآلة القتل والإجرام يتطلعون، وفق درويش، إلى أن تستفيد ألمانيا كما فرنسا أيضا من مبدأ «الولاية القضائية العالمية» التي يحظون بها ومحاسبة مرتكبي جرائم ضد الإنسانية، وإعادة ما تم نهبه من أموال من قبل رفعت الأسد عم الرئيس السوري، وتحويل الأموال لمساعدة مصابي الحرب والمهجرين السوريين في المخيمات ودول اللجوء.

ويعتقد المصدر، أن القضاء الأوروبي وليس الألماني فحسب، على المحك في تطبيقه للعدالة كونها قيمة في الدول الديمقراطية وتلك التي تراعي حقوق وكرامة الإنسان، وهم يملكون كل مقومات محاسبة أذرع النظام السوري اللاجئين في دول الاتحاد الأوروبي.

كتب

أحمد يعقوب ونمر سعدي شاعران فلسطينيان في مواجهة الذات والعالم وتحديات الواقع

هاشم شفيق

تسارع وتيرة الشعر العربي وتطور مساراته الجمالية، ومن ثم دخوله في أنفاق الميديا الحديثة ووسائل الاتصال الاجتماعي، وظهوره اللافت في العقد الأخير، على مستوى النشر عامة، وحيثما كانت دور النشر، بات يلفت انتباه أشهر الجوائز العربية، وراح يستعيد مكانته التي تزحزحت بفعل فورة الرواية، الآخذة الآن بالانحسار والتراجع، بعد أن هبَّ واندفع كلّ من كان يجد لديه بعض الحكايات، والسرود، والحواديت، لطبعها، ثم تقديمها إلى القارئ العربي، هذا القارئ الذكي الذي أضحى يعرف الجيّد والحقيقي، من الرديء والمصطنع.

بين أيدينا الآن مجموعتان شعريتان لشاعرين فلسطينيين، ينتميان إلى مكانين وزمانين مختلفين، وتجربتين مغايرتين، فالأول يكتب القصيدة الموزونة، وهو من قرية جليلية تقع شرق مدينة حيفا، شاب ينشر الشعر منذ عقد ونصف، إنه الشاعر نمر سعدي، والثاني أكبر منه، وله تجربة أطول في هذا المضمار، يكتب قصيدة النثر، من سكنة رام الله، هو الشاعر أحمد يعقوب. أصدر الاثنان ديوانين جديدين، كلاهما صدرا في القاهرة، ولكلّ منهما تجربته الشعرية المتباينة، والمختلفة.

ينتمي الشاعر أحمد يعقوب، على مستوى التحقيب الزمني، إلى جيل الثمانينيات في العالم العربي، وهو الجيل الذي لجأ جُلّه تقريباً، إلى كتابة قصيدة النثر، ومن ثَمَّ مضى، ليطوّر في أنساقها التعبيرية، والفنية، واللغوية، والجمالية، وكل هذا كان يحدث حسب الفضاء المعرفي والثقافي للبلد الذي يعيش ويحيا فيه الشاعر.

فالشاعر أحمد يعقوب شاعر له باع في معرفة الشعر، وله دراية واطلاع على تجارب الشعراء العرب والأجانب، وهو أحد الشعراء الجوّالين ما بين بغداد والقاهرة ورام الله في فلسطين، هذا ويُحسب يعقوب أحياناً، على جيل شعراء الموجة الجديدة العراقية، وهي موجة ظهرت في فترة محتدمة، ومضطربة وأليمة، من تاريخ العراق المعاصر، ألا وهي فترة الثمانينيات والتسعينيات العراقية، تلك التي لامس الشاعر تحولاتها على الصعيد الثقافي والإبداعي والاجتماعي.

الشاعر أحمد يعقوب يقول عن نفسه إنه ابن التجربة الشعرية العراقية، بكل تحولاتها وتجلياتها، وينعت نفسه بالفلسطيني ـ العراقي، وبالعكس، وله معرفة إبداعية وشخصية بأغلب الأجيال الشعرية العراقية.

آثر الشاعر تسمية ديوانه الجديد «في الطريق إلى البوطيقا» أي أنه الشاعر الذي لا يهمّه سوى السير في الطريق الشعرية، وإيثارها على غيرها من الطرق التعبيرية.

للشاعر أحمد يعقوب خمس مجموعات شعرية، جلّها صدر في بغداد، أو كُتبتْ قصائدها في بغداد، من هنا بدا تنوّع ملامحها، ومساراتها الفنية، وفق سنوات العيش والتجربة.

يمتاز الشاعر بالتجريب، والتشكيل، والانغماس بكل ما هو غريب ونافرٍ، وجديد، لشعره رئة تبدو سريالية، وتنزلق أحياناً لتغدو عرفانية، أو تتماهى مع تجارب أخرى، لتصبح يومية، تفصيلية، ذات بوح ناهل من المعيش واليومي.

تحت سقف هذه التجربة الساعية إلى التخليق، نراه يسعى إلى خلق التعابير الدادائية، أو الشكلانية ذات الطباق والجناس، ليرينا قابليته على التجريب، والنمذجة، والتوغّل اللغوي في التراكيب اللغفية، المغوية، كما يتضح في قصيدة «سريرة» والتي يقول فيها:

سِرٌ وسِرٌ إلى الأمام أو إلى الوراءِ سيّان
سريرةٌ وسرورٌ ومسايرة،
أسرارٌ تسيرُ بالسريرة،
والسرورُ لم يعدْ يسايرُ السريرة،
السريرةُ تُسرُّ للسرور: أنّ السريرة ربما صارت مذكر سرير،
أمّا سريرتي، تجعلكتْ مثل قميص حرير انغلى في ماء تبخّر،
تجعلكتْ حتى تعثرت على كوي الزمان».

ولكنه في قصيدة «موال» يضعنا أمام طبيعة القصيدة اليومية، وبث روح التفاصيل في هيكلها البسيط، وغير الوعر كما ورد في هذا التطبيق الجناسي «الدبابة تحت الشرفة يا ليلى، وأنا أغلي القهوة ... هذا الصبح رام الله لم تغسل وجهها، وكعاشقة لم يسهر عشاقها كبنيها ليلاً».

كذلك ينحو الشاعر المنحى ذاته في قصيدة «موزة ذات البعد الموحي، الواضح والمتّسم بالمعنى، والبوح الطفلي المرسوم كهالة، تبث الضوء من قاع نورها، من جمال اللعبة، لا من لعبة الشكل:

«قالت المعلمة: ارسموا موزة، رسم خالد، شمساً، طائرات، خوذة، دائرة، وكتب هذه موزة، قالت المعلمة ارسموا مو مو وزة

رسم خالد: قطة قبالة كلب، على فم القطة كتب مو .. مو

وعلى بطن الكلب كتب وزّة».

ولعلّ إحدى القصائد المؤثرة أيضاً، وتنحو صوب هذا المسلك، المتماهي مع النبرة الموسيقية، والشخصية هي قصيدة «كيف ينحت الألسنيون جدارية للموت عن شاعر مائت»، وهي من القصائد الطويلة التي ترسم مع تجارب أخرى، لتصبح يومية، تفصيلية، ذات بوح ناهل من المعيش واليومي.

تحت سقف هذه التجربة الساعية إلى التخليق، نراه يسعى إلى خلق التعابير الدادائية، أو الشكلانية ذات الطباق والجناس، ليرينا قابليته على التجريب، والنمذجة، والتوغّل اللغوي في التراكيب اللغفية، المغوية، كما يتضح في قصيدة «سريرة» والتي يقول فيها:

سِرٌ وسِرٌ إلى الأمام أو إلى الوراءِ سيّان
سريرةٌ وسرورٌ ومسايرة،
أسرارٌ تسيرُ بالسريرة،
والسرورُ لم يعدْ يسايرُ السريرة،
السريرةُ تُسرُّ للسرور: أنّ السريرة ربما صارت مذكر سرير،
أمّا سريرتي، تجعلكتْ مثل قميص حرير انغلى في ماء تبخّر،
تجعلكتْ حتى تعثرت على كوي الزمان».

ولكنه في قصيدة «موال» يضعنا أمام طبيعة القصيدة اليومية، وبث روح التفاصيل في هيكلها البسيط، وغير الوعر كما ورد في هذا التطبيق الجناسي «الدبابة تحت الشرفة يا ليلى، وأنا أغلي القهوة ... هذا الصبح رام الله لم تغسل وجهها، وكعاشقة لم يسهر عشاقها كبنيها ليلاً».

كذلك ينحو الشاعر المنحى ذاته في قصيدة «موزة ذات البعد الموحي، الواضح والمتّسم بالمعنى، والبوح الطفلي المرسوم كهالة، تبث الضوء من قاع نورها، من جمال اللعبة، لا من لعبة الشكل:

«قالت المعلمة: ارسموا موزة، رسم خالد، شمساً، طائرات، خوذة، دائرة، وكتب هذه موزة، قالت المعلمة ارسموا مو مو وزة

رسم خالد: قطة قبالة كلب، على فم القطة كتب مو .. مو

وعلى بطن الكلب كتب وزّة».

ولعلّ إحدى القصائد المؤثرة أيضاً، وتنحو صوب هذا المسلك، المتماهي مع النبرة الموسيقية، والشخصية هي قصيدة «كيف ينحت الألسنيون جدارية للموت عن شاعر مائت»، وهي من القصائد الطويلة التي ترسم بورتريهاً شخصياً للراحل الكبير محمود درويش، ومنها نقتطف:

«محمودٌ أيها المسجى في البحر الكامل،
كيف البحورُ تغفو وشِعرُك، قلقٌ يطولُ،
أهكذا تبقينا بلا ندٍّ».

أما الشاعر نمر سعدي، في ديوانه «تقاسيم على مقام الندم» فنلاحظ أن شعره وليد تجربة شعرية عربية، لها محطاتها وشعراؤها وأزمنتها وأجيالها، وهذا ما لمسناه ونحن نقرأ لهذا الشاعر الحيفاوي، المقيم في زمن الاحتلال على الأرض الفلسطينية العربية عامة، فهو قد نما، وتغذّى من أنساغ وأمشاج الشعر الفلسطيني هناك، بدءاً بتجربة سميح القاسم وصحيفة «الاتحاد» التي كان يرأس تحريرها، حيث نشر الشاعر نمر سعدي أولى قصائده، في هذه الصحيفة اليسارية، لينطلق فيما بعد، في رحاب، ومناخات، ومساقات الشعر العربي، صانعاً صوته الجديد، بعناء واضح، من خلال نضج تجربته الشعرية والجمالية، مستنداً إلى موهبة نشطة، وذات بعد معرفي، عارفا بخبايا الملكات الشعرية، تلك التي أهّلته في أنْ يمتح من كل ما يصادفه، وتراه وتعرفه عينه وذائقته، من جماليات، وفنون، ومعارف، لتحوّله في المآل، وعبر فرن التجربة الشخصية، إلى شعر حار وملموس، قادر على استبطان تفاصيل الراهن، ليبحر عبر ذلك في التيارات العالية للماضي البعيد، مستشرفاً بلغته الغنائية، المرنانة، ما مضى واندثر، كقصيدته «عطر الموريسكيّات» التي تُلقي بضوئها اللغوي، المستجلي للماضي العربي، من أندلس مضاع «سيكون وصلٌ ما بأندلس، وليل مشبّعٌ بالعطر، من أثر الموريسكيّات، يا قلبي لَو طال العذاب».

يحفل الديوان بالرموز والاستيحاءات، والانثيال الرمزي المفعم بالبعد النغمي، ذي التبعية الموسيقية، تلك المتأتية من تنوّع الأوزان، والسيطرة على الرنة الوترية، المنتسجة في تضاعيف القصيدة، وليست تسمية الديوان «تقاسيم على مقام الندم» ببعيدة عن هذه المزية، فالتطويع الماهر للأوزان وتنوّعه، واتساقه مع المتجاورات والانتقالات والتضمينات، قد منح الديوان مقاماتٍ، وأحوالاً، وأنسقة تعبيرية صائتة، صنجيّة التشكيل، فالصنج الشعري النغمي لدى نمر سعدي أعطى للقصيدة أهازيجها الخاصة، وسوّغها لكي تكون نوعاً من التغاريد، والأغاني ذات المنحى الإنشادي، والمشرَّعة على الرموز البائنة، مثل زليخة، والمثنوي، فاتك، ابو تمّام، الشيرازي، كربلاء، العنقاء، الموريسكيات، التروبادور، وناي أندلسي، وغيتارة حنين أزرق، والسياب، وخليل حاوي، إنها رموز مستندة إلى تراجيع غنائية، وتدوين للقافية، وهي تتقدم، وتتنغّم وتطوّح بين المعاني، والمعرفيات المستوحاة من أساطير وملاحم، وأسماء أجنبية، أديسوس، إلسا، أراغون، نيرودا، بيكاسو، ماريو فارغاس يوسا، لوركا، موتسارت، منتقيات تتواتر، أو تتدافع، لتزحم الديوان وتتخمه بالتضمينات وأسماء العلم، وأحياناً تغرقه بالكنايات والإضافات والاستعارات المتوالية، والمنهمرة بكثرة على طول صفحات الديوان.

من قصيدة السياب وهي من القصائد المشغولة بعناية يقول:

«ينتابني السيابُ لا كهبوبِ عصفور على عينيَّ،
يغمسُ قلبه في الدردنيلْ
بل مثل موج الوجدِ، مثل دموعِ عاشقةٍ
ترى المعشوقة في قمر النخيلْ،
ينتابني السيّابُ، حين أغيبُ عن حبق المنازلِ
في الطريقِ الساحليةِ، حين لا ترقى يداي
إلى قناديلِ الحديقةِ
والغوايةِ والزمان المستحيلْ».

وثمة قصائد كثيرة أخرى قد كتبت على بحور الكامل والرجز والهزج والمتقارب والخبب والطويل، وأغلب هذه القصائد حسنة الإيقاع، ساطعة النبرة، وذات غُنّة من جهة تكوين الجملة الموقّعة، المحكومة بالجرْس الموسيقي المختال كقصيدة «طريق عمودية».

ولا يغفل الشاعر نمر سعدي، وهو في ذروة انهمامه بالإيقاع، الصور الشعرية الموحية والدالة، تلك التي تحمل دلالتها أحياناً، بدلاً من الإيقاع، أو يحاول أن يتحاشى الإيقاع مرات عندما يميل إلى القصيدة المدوّرة، وهناك عدة قصائد من هذا الشكل الفني والتعبيري قد ضمّها الديوان، وتميل إلى هذا النسق الفني، في محاولة منه تصبو إلى الإبدال، والحد من تصاعد التواتر اللفظي، والندندة الزائدة، لذا وجدناه يقوم بتدوير الوزن، ثم تطويعه لغاية فنية نثرية، وقد تحقق ذلك في هذه القصيدة التالية، وغيرها من القصائد المدوّرة «في مثل هذا اليوم قبل روايتين طويلتين، وصحبة رعوية لقصائد الأمطار، قبل علاقتين وزهرةٍ في السور، تحرسُ ظلها وسرابها، قبل السراب وبرعمين، تفتّحا في الريح وانسلا من الفحصى ليمتحنا كلامهما الطريَّ على مواجهة العواصف، بالمجاز وبالبلاغة كانت امرأة بلا ندم يعذّبها ويسحبها برفق وصيفةٍ شرقيّة في الليل منّ يدها، ومن غدها، لتمسح عن زجاج الذكرياتِ غبارَ رغبتها القديمة».

أحمد يعقوب: «في الطريق إلى البوطيقا»
دار أروقة، القاهرة 2020
128 صفحة

نمر سعدي: «تقاسيم على مقامات الندم»
دار روافد، القاهرة 2018
173 صفحة

عبد توفيق كناعنة في «هيمنة المقاومة»: حزب الله عربية بدأ في العراق ووصل لبنان وإيران

سمير ناصيف

عندما تتطرق المصادر السياسية والإعلامية والأكاديمية لموضوع حزب الله، يعتبر كثير منها أن هذا الحزب هو لبناني الهوية فحسب، فيما يرى باحثون متخصصون في هذا الشأن أن الحزب امتلك جذوراً إقليمية عربية تتجاوز حدوده اللبنانية وتحالفه مع إيران وترتبط بالعراق بشكل خاص.

الباحث الفلسطيني عبد توفيق كناعنة، الذي تخصص في شؤون الشرق الأوسط والأكاديمي في جامعة روز في بوخوم (ألمانيا) وفي كتاب بعنوان «هيمنة المقاومة» أوضح ارتباط قادة حزب الله السابقين والحاليين فكرياً وعقائدياً بالعالم العربي وخصوصاً بالمرجعيات الدينية في النجف في العراق.

ويوضح الكاتب أن أسس عقيدة وسياسات حزب الله تحت قيادة أمينه العام الحالي حسن نصر الله، انطلقت منذ ستينيات وسبعينيات القرن الماضي في أفكار ونظريات كبار منظّري الثورة الإسلامية الشيعية في النجف في العراق ثم انتشرت في المنطقة، وبينهم المرجع الديني العراقي محمد باقر الصدر والإمام اللبناني موسى الصدر وآية الله اللبناني محمد حسين فضل الله بالإضافة إلى المرجعين الإيرانيين آية الله روح الله الخميني والمفكر الإسلامي الليبرالي التوجه علي شريعتي.

يؤكد كناعنة أن جميع هؤلاء مروا في رحلتهم الفكرية ـ الدينية في النجف في العراق وتجاوزوا في مواقفهم الفكرية والسياسية المبدأ القائل بأن رجل الدين المسلم عموماً، والشيعي خصوصاً، عليه اعتماد مبدأ اختيار موقف الانتظار وعدم الخوض في عمليات التعبير الثوري في المجتمعات التي يمارس فيها عمله وذلك بدافع الصبر وانتظار عودة الإمام المهدي المنتظر (الإمام الثاني عشر بين الأئمة المسلمين الشيعة بعد الخليفة علي بن أبي طالب ونجله).

يقول الكاتب في المقدمة إن هدفه كان دراسة حزب الله والتعمق في بحث قضية إسهامه في تطوير فكرة المقاومة وتحويلها إلى ثقافة ومشروع سياسي اجتماعي وأداة لتوسيع نفوذه في الساحة العربية عموماً وفي لبنان والعراق وسوريا وفلسطين خصوصاً.

ويؤكد أن الإمام موسى الصدر وآية الله العظمى محمد حسين فضل الله، ساهما في تعريف المقاومة الإسلامية كمشروع يشمل المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين ولبنان وسوريا، وكمشروع إسلامي سياسي ووطني قومي عربي يعمل فيه المسلمون وغير المسلمين كجسم سياسي واجتماعي واحد وتدعمه بيئة حاضنة تضم المستضعفين في فلسطين ولبنان والوطن العربي عموماً، ويسعى لإعادة الحقوق الإنسانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للمحرومين.

مشروع مقاومة حزب الله في لبنان، في رأي كناعنة، كان موجهاً في بدايته ضد النخب الشيعية الاقطاعية التي كانت تهيمن على جنوب لبنان وبقاعه، وضد الفئات من الطوائف الأخرى (السنية الغنية والمارونية المسيحية) التي همّشت الفقراء، وحرمت الطبقات العاملة والمحدودة الدخل من حقوقها. وتزامن هذا مع مشروع المواجهة السياسية والعسكرية للهيمنة الأمريكية ـ الإسرائيلية في المنطقة الذي تحوّل لاحقاً إلى مشروع تحقيق وطن منفتح لجميع أبنائه ودفاع عن المستضعفين في العالم العربي والإسلامي، وهو في رأي الكاتب غير مغلق على الآخرين وطريقة عمل وفكر بالإمكان تطويرها.

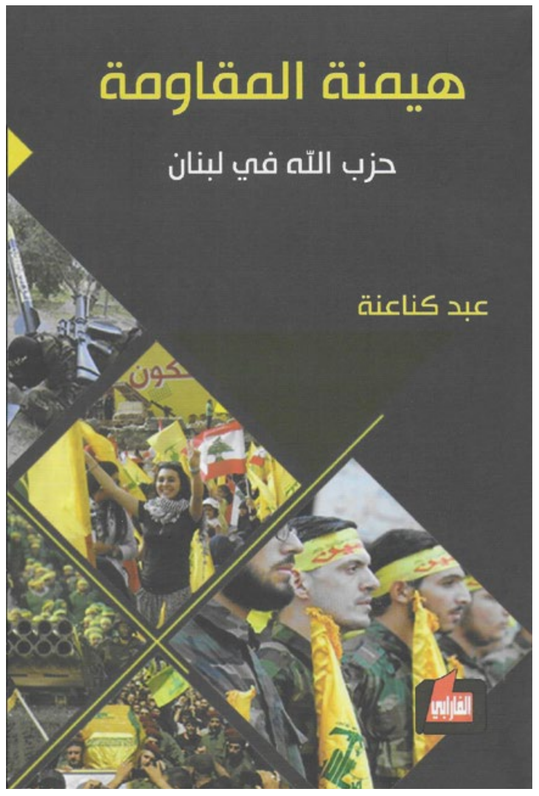

وهذا ما فعله حزب الله اللبناني. ففي بداية ومنتصف الثمانينيات من القرن الماضي ولدى انطلاقه في لبنان تأثر قادته بالثورة الإسلامية التي نجحت في تسلم السلطة في إيران عام 1979 ولكن في مطلع التسعينيات (وخصوصا بعد عام 1992 عندما تسلم حسن نصر الله أمانته العامة) أصبح التركيز ليس فقط على حيز المقاومة الميدانية العسكرية بل على المشاركة السياسية في وطن لبناني عربي تنصهر فيه جميع فئاته الاجتماعية والدينية والسياسية. وساهم هذا الموقف (في رأي الكاتب) في طرد إسرائيل من جنوب لبنان في عام 2000 والصمود في حرب عام 2006 وفي إفشال مشروعها التوسعي هناك، وتمخض عن ذلك الدخول الفاعل لحزب الله في الحياة اللبنانية والعربية (وخصوصاً في فلسطين والعراق وسوريا).

وقد عَرَض الكاتب تاريخ لبنان الحديث وعلاقته بالمنطقة العربية، وطرح مقاربة سياسية اقتصادية اجتماعية إلى جانب كونها تاريخية، وأشار في الفصل الثاني إلى نشوء تحالف بين ممثلي النخب البورجوازية اللبنانية المارونية والسنية العاملين في حقلي التجارة والمصارف منذ استقلال لبنان (عام 1943) وحتى الحرب الأهلية اللبنانية (عام 1975). وتمخض عنه (منذ التسعينيات وحتى الساعة) ما سُمي بـ«جمهورية التجار والمصارف» الذي يعارض تدخل الدولة في تنظيم السوق الاقتصادية الحرة. وتحدث مفكرون باسم هذه الجمهورية (على شاكلة ميشيل شيحا وغيره) عن أن لبنان بلدٌ فينيقي الجذور تحول لاحقاً إلى «سويسرا الشرق». وبالتالي، لم تتدخل الدولة اللبنانية لتحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي والصحي في مناطق كالجنوب والبقاع والشمال، وتحول البلد إلى مركز مالي للاستثمار للطبقات الغنية في المنطقة، ولكنه أصبح في الوقت عينه قابلاً للانفجار وخصوصاً بعد انطلاق عوامل سياسية إقليمية أخرى كنكبة فلسطين وما تبعها والانقلابات العسكرية في دول المنطقة وانتشار حالات عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي عموماً فيها.

ويوضح كناعنة أن التقدم والازدهار الكبير الذي عاشته الدولة اللبنانية والذي سُمي «اعجوبة» اقتصادية، لم تستفد منها سوى الطبقة «الأوليغارشية» في البلد (ثلاثون أو ما يوازي عائلة غنية لم يكن بينها سوى القليل من العائلات المسلمة الشيعية). وخلال هذه التطورات، حصلت موجات كبيرة من الهجرة والنزوح داخل لبنان نحو المدن ما شكل أزمة بؤس حول العاصمة والمدن الكبرى. وهذا أمر حصل ما يشابهه في بلدان عربية أخرى مورس فيها التمييز الاقتصادي والسياسي ضد الطوائف المستثناة من السلطة.

اجتياحات إسرائيل للجنوب وللبنان عموماً في عامي 1978 و1982 وفي مراحل أخرى، ساهمت (في رأي الكاتب، في الفصل الثالث) في تصاعد الدور الحاسم للقوة الراديكالية السياسية والعسكرية لحزب الله في لبنان والمنطقة بالإضافة إلى الاختفاء المريب للإمام موسى الصدر قائد حركة «أمل» خلال زيارته لليبيا عام 1978. فتحول حزب «أمل» إلى حزب «أمل الإسلامية» وبعد ذلك إلى «حزب الله» في لبنان والمنطقة.

وكان الإمام موسى الصدر شكّل خلال حياته ونشاطاته في لبنان والمنطقة نقطة إرتكاز صبت باتجاهها أموال المهاجرين اللبنانيين المقيمين في الاغتراب (خصوصا في افريقيا وأمريكا) والعائدين إلى لبنان من أبناء الطائفة المسلمة الشيعية. وكان هؤلاء اختاروا حركة الإمام الصدر للدعم كبديل عن الاقطاعيين من أبناء طائفتهم أو الأحزاب اليسارية في لبنان والمنطقة التي اعتبروها متطرفة سياسياً بالنسبة لتوجهاتهم. وشكّل اختفاء الصدر وغيابه شرارة لانطلاق «حزب الله» ليصبح المنظمة السياسية الشيعية الأقوى سياسياً وعسكرياً في لبنان والعالم العربي (في نظر الكاتب) فيما اتجهت حركة «أمل» بقيادتها اللبنانية الجديدة إلى اقتطاع جزء من الحصة الطائفية السياسية في لبنان (سماها الكاتب الكعكة الطائفية).

ضمت اللجنة التأسيسية الأولى لحزب الله في لبنان والمنطقة تسعة قياديين منهم الأمين العام الحالي حسن نصر الله ونائبه نعيم قاسم، والقادة حسين الموسوي وإبراهيم أمين السيد ومحمد يزبك من حركة «أمل» و«أمل الإسلامية» فيما جاء عباس الموسوي (الأمين العام السابق الذي اغتيل) وصبحي الطفيلي (الأمين العام الذي استقال) من «حزب الدعوة» العراقي الجذور، وارتبط القائد العسكري (الذي اغتيل أيضاً) عماد مغنية قبل انتقاله إلى حزب الله بحركة «فتح» الفلسطينية، ونظيره القائد الميداني عبد الهادي حمادة بالحزب الشيوعي اللبناني. ومعظم هؤلاء تابعوا في مرحلة ما دراستهم الدينية في النجف، ومنهم مَن درس بإشراف المفكر الديني العراقي محمد باقر الصدر (وهو لبناني الجذور أيضاً) الذي أعدمه نظام الرئيس العراقي صدام حسين في عام 1980. وبعضهم غادروا العراق أو طردتهم منه قيادة النظام السابق في منتصف ستينيات القرن الماضي، وهم في الثلاثينيات من أعمارهم، وكانوا تأثروا بأفكار باقر الصدر والخميني وشريعتي. وأعتنق معظمهم مبادئ معلميهم في النجف بالنسبة إلى أهمية المقاومة وشمولها تحسين وتطوير الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المنطقة وعدم القبول بالوضع الراهن وعدم ممارسة «التقية» بشكل سلبي منعزل عن الواقع. وربط معظم هؤلاء (في رأي الكاتب) أوضاعهم موضع الجماهير الواسعة في المنطقة عبر علاقة مباشرة معها.

ويقول إن بين هؤلاء مَن اعتبر الشيخ محمد حسين فضل الله ملهمهم والوالدهم الروحي الأهم وخصوصاً بعد تسلم السيد حسن نصر الله الأمانة العامة للحزب، علماً أن الشيخ محمد فضل الله ولد في النجف لرجل دين لبناني، وعاد إلى لبنان عام 1966 وعاد معه عدد من الشباب اللبنانيين الذين كانوا يدرسون علوم الشريعة في النجف وتأثروا بفضل الله بعدما «خدلتهم آراء ومواقف بعض رجال الشيعة التقليديين». خلال فترة الاجتياحات الإسرائيلية للبنان كان فضل الله يخطب في مسجد في ضاحية بيروت الجنوبية ويدعو إلى تصعيد النشاط المقاوم ضد إسرائيل حيث جرت محاولات لاغتياله. بيد انه (حسب الكاتب) لم يؤمن بأن هدف مقاومة إسرائيل كان فقط إنشاء دولة مسلمة شيعية في لبنان والمنطقة تعتمد مبدأ «ولاية الفقيه» (أي ولاية رجال الدين على رجال السياسة) بل كان يدعو إلى إنشاء «دولة الإنسان» ضد الطائفية والعنصرية أينما وجدتا، وخصوصا في «مواجهة ما تمثله إسرائيل وأمريكا حالياً وما يمثله داعموها في المنطقة». واعتبر فضل الله نفسه مرجعاً للمستضعفين عموماً وليس لحزب الله فقط. وما زالت مواقفه تؤثر على قيادة حزب الله الحالية في لبنان والمنطقة في رأي الكاتب.

وساهمت هذه المواقف في توسيع رقعة بيئة حزب الله الحاضنة في لبنان والعالم العربي واستقطابها لجميع الفئات الداعية إلى المقاومة العربية ضد إسرائيل في فلسطين ولبنان والمنطقة عموماً.

عبد توفيق كناعنة: «هيمنة المقاومة (حزب الله في لبنان)»
دار الفارابي، بيروت 2019
399 صفحة.

المقال

زياد ماجد

الانتفاضة الشعبية اللبنانية
في انبعاثها الطرابلسي ومشقّاتها الوطنية

طرابلس عاصمة الشمال ومبعث التمرد والاحتجاج

رغم الحجر الصحي المفروض في لبنان بسبب «كورونا»، عاد المتظاهرون إلى الشوارع مستائفين انتفاضتهم بعد أسابيع من تجميدها، في ظرف تزايدت فيه الصعوبات والتعقيدات الاقتصاديّة والاجتماعية والسياسية.

فالليرة واصلت تراجعها أمام العملات الأجنبية ومعها القدرة الشرائية لأكثرية اللبنانيين، والمصارف استمرّت في سياسة إذلال المودعين المحجوزة أموالهم لديها، والعديد من المؤسسات والشركات سرّحت عمّالاً وموظّفين، توسّعت بهم دائرة البطالة والفقر. كل هذا وسط تراشق بالاتهامات بين المسؤولين، سياسيّين وماليّين، واستنفار وسائل إعلامية للدفاع عن بعضهم في مواجهة البعض الآخر.

طرابلس والعودة إلى الشارع

ليس مفاجئاً إذاً، والحال على هذا النحو من الانهيار، نتيجة الفساد والهدر وسوء الإدارة والإنفاق الرباعّي والسياسات المالية والخيارات الاقتصادية، أن ينفد صبر الناس معدومي الدخل أو الفاقدين له، وأن يكسروا الحجر الصحي ويستأنفوا التظاهر والاعتصام وقطع الطرقات ولو تعرّضوا للخطر «الكورونيّ». وليس مفاجئاً كذلك أن يحصل الاستئناف هذا في طرابلس، ثاني أكبر المدن اللبنانية، حيث توسُّعُ أحزمة الفقر لم يتوقّف على مدى العقود الماضية، رغم بروز زعامات جديدة فيها يملك أصحابها ثروات من الأكبر في البلد.

فعاصمة الشمال تعاني منذ نهاية الحرب الأهلية (التي عولمت خلالها من قبل نظام الأسد وكأنها مدينة سورية لجهة فظاعة الإجرام والقمع ضد أكثرية سكّانها) من سياسات تهميشٍ واستنزاف وتحريض جعلها عرضة للعديد من الأزمات والتوتّرات الأمنية.

فهي صُوّرت بوصفها مدينة الأصولية السنيّة، وأطلق البعض عليها تسمية «قندهار لبنان»، وجرى التلاعب والتنكيل المخابراتي بشريحة من أبناء أحيائها الشعبية على نحو أدّى أواخر تسعينات القرن الماضي إلى أحداث الضنية، وإلى توقيفات ظالمة مستمرّة بلا محاكمات حتى الآن.

وبعد اغتيال رفيق الحريري ومشاركة أهلها الواسعة في انتفاضة الاستقلال ضد النظام السوري في شباط/فبراير وآذار/مارس 2005، صدّر الأخير إلى مخيم نهر البارد للّاجئين الفلسطينيين السجين السابق لديه شاكر العبسي وعناصر «فتح الإسلام»، فدفعت المدينة ومخيّمها في معارك هؤلاء مع الجيش اللبناني الكلفة باهظةً تدميراً وقتلاً وتهجيرا.

ثم تجدّد نزيفها في العامين 2008 و2009 واستُعيدت جراح الحرب ومعها خطوط التماس بين جبل محسن والقبة والتبانة، وصارت المدينة حقل تصفية حسابات ومنطقة تعجير أمني متنقّل يموّله معظم المستثمرين مذهبياً وسياسياً وانتخابياً في مناطقها الفقيرة.

أما بعد انطلاق الثورة السورية العام 2011 وتحوّلها إلى ملجأ لعشرات ألوف اللاجئين ومئات الجرحى، فقد صار التوتير في المدينة صدىً لإيقاع الصراع في سوريا، إن بسبب التأثير المباشر للتطوّرات السورية على نسيجها الاجتماعي ومواضع القتال القديمة ـ المتجدّدة فيها، أو نتيجةً ما بدا تواطؤاً على حصر النزاعات اللبنانية الناجمة عن الوضع الإقليمي في بعض شوارعها، حيث يبقى أزيز الرصاص ووقع العبوات الناسفة بعيدَين عن مسامع المستثمرين والسيّاح المعنيّين حصراً بالعاصمة بيروت ومحيطها، وحيث لا يصرف أي اشتباكٍ حزبَ الله عن تركيزه على المشاركة في المقتلة السورية.

ولم تتراجع معاناة المدينة بعد العام 2016، إذ أصابتها الأزمات الاقتصادية وانكماش النموّ وتزايد البطالة، ولم يكن بالتالي غريباً أن تتصدّر ساحتها، ساحة النور، الانتفاضة الشعبية ابتداءً من تشرين الأول/أكتوبر 2019، وأن تعود اليوم لتستأنف الانتفاضة وتتعرّض لقسوة الأجهزة الامنية والعسكرية وتُرتكب بحقّ متظاهريها جرائم أودت بحياة أحد شبّانها وأصابت منهم العشرات.

تحدّيات الانتفاضة اليوم وغداً

لكلّ ما ذُكر، ولأن طرابلس بالتحديد هي مبعث التمرّد وهي من جدّدت التظاهر والاعتصام الذي عاد لينتشر في باقي المحافظات اللبنانية، تبدو الانتفاضة أمام تعقيدات وتحدّيات جديدة. فالنشحن الطائفي ضد عاصمة الشمال وبعض الردود عليه (الشبيهة به) يمكن أن يُفضيا إلى توتّرات تُفيد السلطة وأجهزتها الساعية إلى إخراج الانتفاضة من سياقها السياسي والاجتماعي الوطني وإظهارها تحرّكاً مذهبياً يُديره طرف أخرج من السلطة (التيار الحريري)، أو حالات شغب تعطل الحياة في محيطها وتتسبّب بمخاطر صحّية.

في المقابل، يمكن للغضب، إذ يبدو في زخم الاحتجاجات والاعتصامات الذي بدأت الانتفاضة تستعيده محصوراً بالمصارف والبنك المركزيّ، أن يحدّ رغم مشروعيّته وضرورته من أفق المواجهة مع السلطة السياسية، وأن يستثمر فيه طرفٌ (تحالف حزب الله والتيار العوني) لإعفائه من مسؤولياته وحصرها بالآخرين (من شركائه وخصومه).

بهذا المعنى، تتمحور تحدّيات الانتفاضة راهناً، كما في المستقبل القريب، حول القدرة على العودة إلى الشارع في جميع المناطق بخطابات وشعارات تتخطّى المظلوميّات المحلية والمذهبية وتُصيّب السلطة بنظامها الزبائني وفسادها وتناهُبها المال العام من جهة، وتُتبِع استهداف المصارف وإرباحها وسياسات حاكم مصرف لبنان والحكومات المتعاقبة منذ نهاية الحرب باستهداف جميع القوى التي تشاركت في الحكم في السنوات الأخيرة وتسبّبت تحالفات بعضها الإقليمية المفروضة على اللبنانيين بعقوبات ومقاطعة سرّعت من وتيرة الانهيار المالي والاقتصادي الذي نعيشه.

على أن هذا وذاك من المحاذير أو التحدّيات المذكورة لم يعودا ليستقيما من دون طرح المجموعات والقوى المتحرّكة في سياق الانتفاضة لرؤاها البديلة، العامة والتفصيلية التقنية، للتعامل أولاً مع الإفلاس المالي والانهيار الاقتصادي وشروط الخروج منه أو تقليص أضراره (بما في ذلك تحديد الموقف من العلاقة المحتملة بصندوق النقد الدولي المعروفة سياساته ووصفاته «العلاجية» أو بغيره من المؤسسات والمنظومات الدولية)، وللتعامل ثانياً مع قضايا الإصلاح المؤسساتي والتغيير السياسي واللامركزية الإدارية وسُبل تحقيق استقلالية القضاء كضمانة أساسية لمواجهة الهدر والفساد اللذين التهما جزءاً كبيراً من موازنات الدولة في الحقبة المنصرمة.

ولا شكّ أن في الانتفاضة كثْرٌ يقدرون على تقديم مشاريع متكاملة من هذا النوع، والعاجل اليوم هو في تكتّلهم وتشكيلهم جسماً تنسيقياً يطرح الخطط الإنقاذية والتغييرية ويُجنّب التحرّكات الشعبية مخاطر الانزلاقات السياسية والطائفية والصدامات العشوائية التي لن تستفيد منها سوى بعض أطراف السلطة لتصفّي حساباتها مع الأطراف الباقية...

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

كاريكاتير: محمد سباعنة

الإبداع والنشر بعد كورونا

أمير تاج السر

من الصناعات التي لا بد تأثرت الآن، وتتأثر مستقبلا بسبب وباء كورونا، صناعة النشر عامة، وتلك المختصة بنشر الإبداع خاصة. وكنا نلاحظ ازدهارا كبيرا جدا في السنوات الأخيرة، في تلك الصناعة، مع تزايد عدد الذين طرقوا أبواب الكتابة الإبداعية، خاصة في مجال الرواية، ومع ازدياد الجوائز العربية، التي تعتبر المحفز الأول والأشد ضراوة في جعل الناس يبدعون، أو يكتبون مع وهم الإبداع. صناعة النشر كانت مواكبة، وتقرأ المعطيات، وتشجع الكتابة التي سترشح لجائزة، وأيضا ترضي الكاتب من حيث شكل الغلاف والوانه، وإقامة حفلات توقيع هنا وهناك، يحضرها الأهل والأصدقاء، وتلتقط فيها الصور التذكارية. وأظنني تحدثت عن تلك الحفلات مرات عدة، وسميت يوم التوقيع في معرض الكتاب يوم الكاتب الشبيه بيوم العرس، حيث يكون الكاتب نجما، ولا يعرف أحد إن كان سيظل نجما مضيئا بإبداعات مستقبلية، أم سيخبو، ويتحول عرسه الكتابي إلى صور وابتسامات عريضة، متوفرة في صفحات التواصل الاجتماعي.

دور النشر تواكب كما قلت، وتصنع اليوم المميز، والابتسامات العريضة، وتسعى للجوائز بكتب ربما لا يكون الناشر نفسه يعرف عنها أي شيء، ما دام الكاتب الطموح مستعدا لتمويل كل ذلك. ولا عجب أننا صرنا نسمع يوميا عن نشأة دور نشر جديدة، تجد لها أسماء، وأجنحة ونتاجات، في معارض الكتب، وتجد كتابا وشعراء يحومون حولها، أو يجلسون داخلها في أيام الاحتفاء التي تخصص لهم، ينتظرون قارئا يوقعون له.

وأذكر أنني كنت أمر في معرض القاهرة للكتاب، العام قبل الماضي، وأقرأ لافتات أجنحة دور النشر، محاولا تخزينها في الذاكرة، وكان الأمر صعبا، لأن لا ذاكرة تستطيع تخزين عدد منهك مثل ذلك. وقد اعترضني أحد الشباب، وكان يعمل في إحدى تلك الدور، وطلب مني رواية لينشرها، دعما مني لداره، واعتذرت بالطبع لأنني أعمل مع ناشرين محددين، وأيضا لتأكدي أن داره لن توزع كتابي أبعد من أجنحة معرض الكتاب.

إذن ماذا حدث بخصوص النشر؟ وماذا سيحدث في الأيام المقبلة، إن استطعنا القضاء على كوفيد–19 أو لم نستطع، واضطررنا للتعامل معه كمرض مزمن موجود في البيئة، ينشط ويخفت، تماما مثل الإنفلونزا العادية، وحمى الملاريا والتايفوئيد؟

أولا نقول أو نذكر أن الكتابة الإبداعية ليست مورد رزق لأحد في الوطن العربي على الإطلاق، ومنذ عرفناها، استوعبنا الأمر هكذا، ونتعاطى معه بذلك الشغف الغريب. لذلك فإن الكتاب هم موظفون في وظائف أخرى يعيشون منها، وينفق معظمهم على الكتابة كما قلت، خاصة المبتدئين الذين يدخلون المجال بأحلام واسعة، قد تتحقق، ولكن في الغالب لن تتحقق أبدا.

تقول منظمة العمل الدولية إن آلاف الشركات، والمصانع الصغيرة، ستغلق أبوابها نهائيا في الأيام الآتية بسبب عدم قدرة ملاكها على مجاراة الوضع، وبالتالي سيفقد ملايين الموظفين سبل عيشهم، وسيرتفع معدل البطالة، والفقر إلى أرقام غير مسبوقة، حتى الشركات الكبيرة ستقلص حجم العمالة لديها، وتشرد كثيرين. هذا ليس عندنا في البلاد العربية، ولكن في العالم كله، وقطعا في البلاد العربية سيكون الأمر أقسى لأن الوظائف أصلا محدودة، وقليلة الأجر، وكثيرون جدا يعملون في وظيفتين أو ثلاث وظائف من أجل حياة لن أسميها حياة جيدة، ولكن مجرد حياة.

الكاتب الموظف، إن بقي في وظيفته، سيبقى خائفا من الغد، هل سيبقى يوما آخر أم لا؟ وبالتالي لا تمويل لنشر كتاب، وربما إلغاء تام لطموح الشهرة، واللمعان، والبقاء رب أسرة يحاول أن يقوم بواجبه البيتي لا أقل ولا أكثر.

الكاتب الذي فقد وظيفته، بالطبع سيفقد كل شيء يتعلق بالكتابة، وسينضم لقافلة الباحثين الأزليين عن عمل، لن يكون متوفرا، لأن ملايين الوظائف ألغيت. ويمكن أن تجد حتى متجرا عظيما مثل كارفور، يعمل بمحاسب واحد أو محاسبين، بعد أن كنت تجد جيشا من المحاسبين، يعملون على خدمة الزبائن. أيضا لن تجد عاملا يعبئ لك السلع في الأكياس لأنك ستعبئها وحدك، وربما لا تجد حتى أكياسا للتعبئة. وقد لاحظنا أن وظائف حراس الأمن ازدهرت في السنوات الأخيرة، وتجد في كل مكان رجالا ونساء بأزياء قاتمة، يمنعون الدخول، أو يسمحون به، أو يسألون عن بطاقات شخصية، هؤلاء أيضا لن تجدهم، وستعتبر خدماتهم ترفا في ما بعد كورونا.

ماذا عن القارئ؟ القارئ المدمن، وغير المدمن الذي يقرأ من حين لآخر؟

إن كانت الكتابة ستعد ترفا بعد كورونا، فالقراءة ستعد ترفا أكبر، ولن يجد الكتاب حتى لو كتب ونشر ووزع، إلا قراء قليلين يشترونه بعد تردد، وبعد تقليبه مرات عدة وأتوقع أن تزداد شراسة القرصنة الإلكترونية، وتوضع الكتب في مواقع التحميل المجاني مباشرة بعد صدورها، ومن قبل أولئك الذين يظنون أنهم يعملون الخير. وكنت مرة عثرت على بعض كتبي منشورة بلا تصريح، في موقع إلكتروني، كتب صاحبه: عمل الخير هذا وقف لروح والدتي رحمها الله.

لقد افترض الرجل أنه قام بعمل كريم بسرقته لجهود الغير، ولدرجة أن يتقرب به إلى والدته الراحلة.

أكثر ما يحزنني في ذلك المستقبل القاتم، هو أن الإبداع سيبدو مادة كئيبة، مادة مثل البكاء، والحزن.

أيضا يحزنني تقلص أعمال الترجمة التي بدأنا نحس بازدهارها في السنوات الأخيرة بترجمة الأدب العربي إلى لغات عدة، بعضها غير مطروق في الماضي مثل اللغة البولندية والصينية. مؤكد لن يحس العالم بحاجته لنشاط مثل هذا، مع الحاجة إلى الغذاء والدواء أكثر.

كاتب سوداني

احتجاجات وكورونا

رغم إجراءات العزل في المنازل التي تشهدها معظم بلدان العالم بسبب جائحة كورونا، فقد شهدت بلدان عدة عربية وأوروبية وأمريكية وقفات احتجاجية واعتصامات وتظاهرات للمطالبة بالإصلاحات والحقوق المعيشية في بعضها، واحتجاجا على إجراءات العزل والقمع السياسي في مناطق أخرى.

أداب وفنون

الشعر الشعبي بالعاميات العربية أكثر طواعية:

الإرتجال في الشِعر

عبدالواحد لؤلؤة

الإرتجال في الشعر مسألة تتطلبُ حضور البديهة أوّلاً، مع البراعة في نظم الشعر؛ وهذه من المسائل التي لا تتطلّب جدلاً ولا طول نقاش. ولكن النظر في أمثلة الإرتجال يجب أن يكون في إطار من الشك والتحقيق، عن طريق النظر في ظروف الزمان والمكان، في تعلّقهما بالشاعر وما يُنْسَب إليه من أمثلة الإرتجال. وقد نبدأ بمثال من الشعر الجاهلي في معلّقة الحارث بن حلزّة اليَشكري. تذكر كُتُب الأدب أن الحارث إرتجل بين يدي عمرو بن هند قصيدة من خمسة وثمانين بيتاً! أنا أجد هذا الكلام عصيّاً على التصديق، وأنظر إليه بطريقة الدكتور طه حسين في نظره إلى الشعر العربي القديم، وبخاصّة شعر العذريين. قصيدة الحارث التي صارت سابعة المعلّقات مثال من التركيب اللغوي السليم، والنحو المنضبط، والإشارات إلى العديد من الأحداث والشخصيّات في زمانه وقبل زمانه، بقافية صعبة المراس، وهي صفاتٌ في القصيدة أقنعت قضاة الحكم في سوق عكاظ بتتويجها معلّقةً تُكتب بماء الذهب وتُعلّق على أستار الكعبة، كما تذكر تواريخ الأدب. ولا أدري كم من عرب الجزيرة كان يُحسن الكتابة، وكم كان ماء الذهب ميسوراً لهم ليكتبوا به القصائد. أمّا أن يرتجل الشاعر قصيدة من خمسة وثمانين بيتاً، وهو بين يدي أمير أو كبير قوم فهو مثال يصعب تصديقه اليوم، إلاّ إذا كان أهل الجاهلية يؤمنون بالمعجزات، حتى في مجال الشعر.

وثمّة مثال آخر من إرتجال الشعر، أقرب إلى التصديق، هو حكاية الشاعر العباسي أبو تمّام الطائي (ت 850م) شاعر المعتصم، الذي كان ينشد قصيدة في مديح ابن الخليفة المعتصم، جاء فيها:

إقدام عمرو في سماحة حاتم
في علم أحنفَ في ذكاء إياسِ

وكان في المجلس من الحضور فيلسوف العرب، الكندي، الذي كان معروفاً بمناكفة أبي تمّام، ربما غيرةً من حظوته لدى الخليفة، فحتى الفلاسفة ليسوا بمنأى عن الغيرة والحَسَد. وإذ كان أبو تمّام مسترسلاً في مديح ابن المعتصم بمقارنته برجال أفذاذ قاطعه الكندي بقوله: أنت تُشَبّه ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب (استغلال الدين في السياسة؟) فأطرق أبو تمّام هنيهة وأجاب مرتجلاً:

لا تُنكروا ضربي له مَن دونَه
مثلاً شروداً في الندى والباسِ
فالله قد ضرَبَ الأقلّ لنورِه
مثلاً من المشكاة والنبراسِ

وهكذا انتصر الشعر على الفلسفة، وبعد ذلك صمت الكندي دهراً ولم ينطق بعدها كُفراً.

وفي زمان أقرب إلى زماننا يُذكر مثال من الإرتجال في الشعر عند شاعر بارع معروف هو خَليل مطران (1872–1949) شاعر القطرين مصر والشام. يُروى عن الشاعر أنه ارتَجَل مرّة هذين البيتين، ولا أدري في أية ظروف ارتجلهما:

قالوا النابليون ذات عشيّة
إذ كان يرصُدُ في السماء الأنجما
من بعد فتح الأرض ماذا تبتغي
فأجاب أنظرُ كيف أفتتحُ السما

لكن ما يدعم الظن بصحة هذا الإرتجال أن الشاعر معروف بسعة اطّلاعه على الشعر العربي والثقافة الفرنسية. وأكاد المحُّ في هذا الإرتجال نوعاً من خفّة الدم المصرية التي لم يكن الشاعر بمنأى عنها. ومن أمثلة الإرتجال التي شَهِدتُها شخصيّاً عام 1990 يوم تكريم شاعر العراق الكبير محمد مهدي الجواهري بجائزة العويس في دُبَي. والعويس، رحمه الله، كان يتعاطى القريض، ويحب الشعراء. وافتتح حفل التكريم بقصيدة يرحّب فيها بالجواهري ويذكر منزلته في الشعر العربي الحديث، وكان الجواهري يجلس إلى جانبه. فقام الجواهري وارتجل هذه الأبيات على نفس الوزن والقافية والمستوى الفنّي في قصيدة العويس:

لميعة عباس عمارة

من الإمارات، من شُطآن شارقة
على الخليجِ تعالى صاعداً قَمَرُ
يدور في فَلَك الآداب محوَرُهُ
فتى عُوَيس وأنداللهِ غُرَرُ
سُمرُ الجباه، مصابيحٌ وجوهُهُمُ
يفاخرونَ بما شادوا وما قَدَروا
وكلّما عندنا نحنُ الألى ذُكِروا
منّا
عليكَ سلام الله يا قَمَرُ

وأحسَبُ أن الشعر الشعبي، بعاميّات العربية، أكثرُ طواعيّة للإرتجال، كما نجد في شعر العامية المصرية أو العراقية. ففي جنوب العراق أعدادٌ كبيرة من شعراء العاميّة الذين يرتجلون مقطّعات من الشعر بالعامّية وخصوصاً في قالب «الأبوذية». وفي النجف نجد أمثلة كثيرة من الإرتجال في الشعر الشعبي، مع أن النجف منبت شعراء الفصحى، لأن الناشئة في النجف يبدأون بدراسة «نهج البلاغة» للإمام علي (رض) في أوّل عهدهم بالقراءة. وحتى النجفي من أصول غير عربية لا يقصّر في ارتجال الشعر العامّي. روى لي زميل نجفي أن جدّه الذي شهِد ثورة 1920 ضد الإنكليز يذكرُ مظاهرة قام بها جماعة من «الآخوندية» لغثّهم ذات لكنّة شديدة غير عربية. وكان قائد المظاهرة يهتف:

تزمّعوا تَلمَلموا مسلِ خَلالة
بالعسِك

نُشكُك الإعلانات نكسّر
الجامخانات
وما ننتي ضربيات تزمّعوا
تَلمَلموا

كان زعيم المظاهرة يرى في ثورة العشرين احتجاجاً على الحكومة و«الضربيات» التي تدعو للتجمّع مثل خَلال التمر في عثوق النخل، لتمزيق إعلانات الحكومة وتكسير زجاج المكاتب!

وتكثُرُ الإرتجالات الشعرية بالعاميّة العراقية في المناسبات السياسية. ففي يوم الغزو الأمريكي للعراق وإنزال تمثال صدّام وسحله، تراكض بعض المبتهجين وراء التمثال طمعاً بالحصول على قطعة من «النحاس» المتكسّر. وإذا بأحد الواقفين يصرخ حزيناً على ما يرى:

عنّك يا وَطَن مَكدَر أدير الراس
لَمن نص الشَعَب حبّ الوطن
شاله
ركضوا على الصنم لن بيه
نُحاس
ومن طاح العَلَم مَحَّد ركَض شاله

ومن الشعر الشعبي المُرتَجَل «أبوذيّات» الشاعرة العراقية المبدعة لميعة عباس عمارة. فإلى جانب إبداعها في الشعر الفصيح، وبخاصّة في موضوعات الحب والحنين للوطن، لديها مجموعة طيّبة من الشعر المرتَجَل بالعامية العراقية، بلهجة العمارة، تتّسم بالدعابة والظرف إلى جانب اللذعات التي تناسب الظروف. وقد شَهِدتُ بعضاً من تلك «الأحداث». مرّةً كان الحديث عن الكلمة الشعرية والكلمة غير الشعرية. ولميعة ترى أن أية كلمة ممكن أن تكون شعرية بيد الشاعر. وهذا رأي ووردز وورث زعيم الرومانسية الإنكليزية. تحدّاها أحد الحاضرين أن تكون كلمة «بصل» شعرية، فارتَجَلت لميعة:

وليفي من ورا الطوفة أبصله
أريده ولو على خُبزة وبصله
نَعنَتْ الله على ابو الواشي
وبَصله
فرك روحين يال چانن سويّه

وجاء التحدّي الآخر: هذه الصبيّة اسمها شهرزاد. هل يصير الاسم الأعجمي شاعريّاً؟ الجواب:

سنة فراكك تحمَّلتَه وشهَر زاد
يَمَن حجيبك عالمعنّى بشَهَر زاد
نذر لو لفّت ذُراعي شهرزاد
تسع ميّات أطشهن واهليّة ..

ميّات جمع ميّة أي مئة دينار، وأحسب أنها ورقة نقدية لم يَعُد لها وجود إلاّ في ذهن الأقدمين، ولكن المقصود أنها ستنثر النقود على الحاضرين ابتهاجاً بيوم العرس وتنطلق بالهلهال والزغاريد.

چا شلون! چا وَحَد!

وهذا مثال آخر لا أستطيع نسيانه. في أحد مؤتمرات المربد الشعرية، في بغداد أيام الخير، كان يجلس معنا أحد المدعوّين «من وزن الريشة» ملأ صحنه ثلاث مرّات وراح ينظر إلى ما على المائدة الأخرى ليرى هل فيها أطعمة تختلف عن المائدة الأولى. ولما فقد الأمل من وجود أطعمة لم يَذُقها أخرج من جيبه علبة «سُكرين» وطلب كوب شاي. فلما جاءه النادل قال له المحروس: هات لي «حليب لو فات». لم يفهم المسكين معنى الطلب، وهو القادم حديثاً من العمارة، فسأل: ها، يعني عمّي تريد حليب مال قواطي؟ فانزعج المحروس وحزمَنا من رفقته وغاب. فبدأت لميعة تغرّد:

تردّ الروح ريح الحلو لوفات
ومن يجي يلوف العكل لوفات
متين ويشرب الألبان لوفات
تفدّيه الجواميس الغيّة...

أو هكذا التقطها ذهني وسط عاصفة الضحك.

إسرائيل ومسلسل «النهاية» المصري: خيال علمي أم البداية لخيال مُسيَّس؟

مروان ياسين الدليمي

قبل أن يبدأ سباق الموسم الرمضاني بالنسبة للمسلسلات العربية الذي عادة ما ينتعش في هذا الشهر، طالعتنا الأخبار الصحافية بأن وزارة الخارجية الإسرائيلية تقدمت بمذكرة احتجاج موجهة إلى الحكومة المصرية تطالب فيها بوقف مسلسل مصري يحمل عنوان «النهاية» بحجة تنبئه بزوال دولة إسرائيل من بعد ان تُشَنَّ عليها الحرب من قبل عدد من الدول العربية، فتزيحها عن الوجود، ما يدفع اليهود الذين سبق أن هاجروا إليها من الغرب والشرق واستوطنوا فيها العودة باتجاه الأوطان التي جاءوا منها. فهل من فكرة أكثر جاذبية وإثارة لعواطف عامة العرب والمسلمين؟ وهل بغير هذه القضية تاجر العديد من حكام العرب لتبرير فشلهم وفشل أنظمتهم بإحداث تنمية لبلدانهم ولإخضاع شعوبهم تحت سياط أجهزتهم القمعية؟

وإذا كان الواقع العربي قد فشل في الحاق الهزيمة بدولة إسرائيل، رغم تضحيات الشعوب العربية، فهل لنا أن نراهن على الفن بما يتيحه من تخيلات في أن يحيل الهزيمة الواقعية إلى انتصار متخيل على الشاشة، حتى لو كان ذلك جزءا من عمليات التعمية والقفز على الوقائع؟

هذا المسلسل يستدعي وقفة نقدية لا تحتمل المجاملة لأنه ليس عملا فنيا يستهدف تسلية الجمهور فقط عبر منافسة أعمال أمريكية مدرجة ضمن خانة أفلام الخيال العلمي، إنما يحمل رسالة قد تفضي إلى إحداث خلل في وعي المتلقي، أكثر مما هي لتحقيق المتعة، وليس لدي شك في أن فكرته لاقت ترحيبا ودعما لدى مستويات عليا مرتبطة بصنع القرار السياسي، وهذا يعني أن المتخيل الفني العربي السينمائي والتلفزيوني لم يعد يملك هامش الحرية البسيط الذي كان يتحرك فيه قبل أكثر من عشرين عاما، وبات قريبا جدا من مسلسل التلاعب بمشاعر ومفاهيم بسطاء المواطنين حول مختلف القضايا التي تشغلهم، ابتدأ من أسعار الخبر والبصل وانتهاء بقضية فلسطين.

مسلسلات أم جرعات أفيون؟

الفن في الحقيقة لم يعد إلا جرعة مهدئات يُزرق بها المواطن العربي ليل نهار، عبر برامج ومسلسلات أفيونية، تمنحه أحلاماً وانتصارات جميلة تنسيه واقعه البائس، وتدفعه إلى تلقي الهزائم والنكسات باستمرار من دون أن يشعر بفداحتها إلا بعد أن يفوت الأوان بشوط طويل.

الملاحظ أن معظم النتاج الفني العربي السينمائي والدرامي، وبعد فشل ثورات الربيع العربي، بات في حكم المنخرط بموضوعاته وطروحاته ومعالجاته في بطانة الخطاب الإعلامي الرسمي، ويتجلى هذا الانخراط بشكل خاص في الدول التي شهدت وقائع الربيع، وكذلك الدول التي ساهمت بتفريغ شعاراته من محتواها الاجتماعي، ودفعت بها إلى مستنقع التطرف المذهبي بغية تحويله إلى خريف.

نظرة سريعة ناحية الموضوعات التي هيمنت على النتاج الفني الدرامي ونماذجها على وجه خاص في هذا العام 2020 أظنها ستقضي بنا إلى علامات شتى تؤكد ما ذهبنا إليه، بما يشير إلى انعكاس السياسة على الدراما التلفزيونية، خاصة حول قضايا بغاية الحساسية والتعقيد، مثال على ذلك المسلسل الكويتي «أم هارون» التي جسدت شخصيتها الممثلة حياة الفهد، حيث بالغ خطابه كثيراً بتلميع موقف اليهود الوطني في الخليج العربي من الحركة الصهيونية ومنح شخصية «أم هارون» في بيئتها الاجتماعية، مساحة فضفاضة ومؤثرة ابتعدت بها مسافة بيّنة عن الواقع واقتربت كثيرا من مخيلة المؤلف. ومثال آخر ما طرحه الفنان السعودي ناصر القصبي لقضية التطبيع مع إسرائيل في الحلقة الثالثة من مسلسله لجديد «مخرج 7» الذي يعرض هذه الأيام على شاشة «ام بي سي» والمسلسل من تأليف خلف الحربي الذي يُحسب له وفي مجمل أعماله التي تعاون فيها مع القصبي جرأة التحرش بموضوعات تدخل في خانة التابوهات من الناحية الاجتماعية والدينية.

الاشكالية ليست في أن تقتحم الدراما عرين قضايا كانت وما زالت بؤرة صراع شديد بين أطراف مختلفة تستمد حضورها وقوتها من الدين أو التاريخ أو السياسة أو الأعراف، بل أن هذه المهمة هي في صلب وظيفة الدراما، إنما الاشكالية في انتهاج التزوير والتلميع لصالح طرف ضد طرف آخر، وعلى حساب تجاهل معطيات الواقع والقفز من فوقها والتحليق في مساحة من الفراغ.

في ما يتعلق بمسلسل «النهاية» «على ما يبدو إن ما يدعو إليه لا يخرج عن سياق ما أشرنا إليه من إشباع المتلقي بجرعة زائدة من التسطيح الذي يؤدي للتخدير، حيث تدور أحداثه في عام 2120 في مدينة القدس، بعد أن خلت من اليهود، ويأتي ذلك عبر تصور خيالي يشطح بعيدا في فنتازيته، المسلسل من تأليف يوسف عمرو عاطف، وإخراج ياسر سامي، وتمثيل، يوسف الشريف، إلى جانب مجموعة من الممثلين المصريين منهم، ناهد السباعي، عمرو عبد الجليل وأحمد وفيق ومحمود الليثي.

نقد أم تغييب؟

من دون شك سنصفق لفريق عمل مسلسل «النهاية» خاصة المؤلف، لو أنهم استثمروا هذا الخيال الجامح في غير قضية فلسطين، لأنّ أكثر ما فتك بهذه القضية هي الخيالات المجنحة للقادة والزعماء، ومعهم اصطفت نخب محسوبة على الثقافة وميادين الإبداع، بينما الشعب الفلسطيني الذي عانى التشرد منذ العام 1948 أحوج ما يكون إلى رؤية نقدية واقعية، يكون تأثيرها بمثل تأثير مشرط الجراح، وقسوة السياط على جسد الإنسان، حتى تنكشف العلل وتشخّص الأسباب، فالعرب لمعالجة ما يعانون منه منذ عقود، ليسوا بحاجة إلى شطحات فنتازية تهرب بهم من حاضر شاخص منهار إلى غد سابح في علم الغيب والتخيلات، كما جاءت رؤية المسلسل، بدون اعتبار لما سيحصل من متغيرات في الواقع الإقليمي والدولي خلال المئة عام المقبلة، على ضوء ما نشهده اليوم من ارتجاجات أصابت وتصيب البشرية وأنظمتها، ويكفي ما ستفرزه جائحة كورونا من مآلات كارثية على الجميع بدون استثناء، ولن ينجو منها أي مجتمع في الكرة الأرضية.

الفنون الدرامية وتغيير المفاهيم

الاحتجاج الإسرائيلي جاء بناء على دعاية المسلسل «بروموشن» قبل أيام من عرضه في شهر رمضان، بعد أن أطلقته الشركة التي تولت إنتاجه، ولنا أن نتساءل هنا: هل إن سلطات الاحتلال الإسرائيلي تشعر بالرعب حقيقة إزاء أي عمل فني يروّج لفكرة زوال دولتها حتى لو كان مبنيا على فكرة متخيّلة؟ أم أن رد فعل الإدارة الإسرائيلية يندرج في سياق المكر والدهاء الذي عرفت به؟ فهي من الناحية الشكلية تعلن الرفض بينما في الواقع تأخذ رفضها إلى ناحية الترويج لمثل هذه الأفكار الافتراضية وغير الواقعية.

إن من يحرك بوصلة أجهزة الدعاية الإسرائيلية يدرك جيدا أهمية وخطورة الفنون والإعلام في تغيير المفاهيم لدى الناس، وتشكيل رأي عام قد يلعب دورا كبيرا في إحداث متغيرات ملموسة على أرض الواقع إذا ما استمرت عمليات الضخ المفاهيمي عبر القنوات الفنية والإعلامية، وماكنة الدعاية الإسرائيلية لعبت دورا مهما منذ الحرب العالمية الثانية وكان لها تأثير على قرارات المجتمع الدولي حتى لا تتقاطع مع ستراتيجيتها بتكريس الاحتلال والاستيطان والتهويد، وما لا يمكن الوثوق به أن هذه الماكنة الدعائية تخشى من يحاربها بأسلحة مفرداتها الخيال، وليس الحقائق والوقائع والأرقام والتواريخ والوثائق.

احترافية ملفتة للاهتمام

بناء على ذلك فإن الدعاية للمسلسل التي سبقت عرضه بأيام معدودة إضافة إلى مذكرة الاحتجاج الإسرائيلية جاءت نتائجها مبهرة لصالح الترويج للعمل، حيث ارتفعت نسبة البحث عنه على شبكات الإنترنت حسب المصادر الصحافية، بشكل فاق جميع الأعمال الدرامية الأخرى التي دخلت السباق الرمضاني، خاصة بعد أن اتضح أن المسلسل من الناحية التقنية قد توفر على قدر كبير من الاحتراف في خلق أمكنة ومعدات آلية متخيلة، مثل المركبات الطائرة، والأسلحة، إضافة إلى الأزياء والأكسسوارات الغريبة التي صممتها الفنانة إنجي علاء، فأضفت على العمل لمسة مُغرِّبَة قربته من نماذج عالمية في أسلبته، وإذا ما قورنت هذه النتائج الحرفية لفريق العمل التقني مع ما سبق أن شاهدناه في السينما الأمريكية ستكون النتيجة على درجة مهمة من الاتقان، حتى لو أنها قد استلهمتها من أعمال عالمية مشهورة، ولاشك أن ما ساعد في الوصول إلى هذه النتيجة خاصة في ما يتعلق بتصميم المركبات من الداخل والخارج، ما أتاحته برامج «الغرافيك «في حواسيب المونتاج من إمكانات لا حدود لها لتحقيق كل ما يخطر على بال المخرجين من تخيلات وأفكار كانت تبدو مستحيلة التنفيذ في النتاج العربي قبل عشرين عاما، بما أتاح لشركات الإنتاج ان تستغني عن بناء مدن متخيلة أو تصنع «موكيتات « لمركبات فضائية. ولكن تبقى المسألة الأساسية التي تحدد أهمية النتاج الفني مرتبطة بمحتوى الخطاب، أي طبيعة الأفكار التي يتضمنها.

الخيال العلمي في النتاج العربي

تاريخيا لم تواكب السينما العربية وكذلك الإنتاج الدرامي التلفزيوني هذا النوع من الإنتاج الفني، لأن مستوى التقدم العلمي في المنطقة العربية يعد متخلفا عن الغرب بشكل كبير فلا يساعد على قبول مثل هذه الأفكار وتطبيقها في النتاج الفني، هذا إضافة إلى غياب الأجهزة والتقنيات المتقدمة التي تساهم في تجسيد المتخيل بشكل مقنع ومُبهر.

ولتوخي الدقة فإن مسلسل «النهاية «لم يكن البداية في إنتاج دراما تُصنَّف ضمن أعمال الخيال العلمي، وإنْ كان يُعدُّ الأكثر اقناعا من حيث التقنيات التكنولوجية والخدع الفنية إذا ما قورن بما سبق إنتاجه، فقد حاول الفنانون المصريون في مطلع خمسينيات القرن الماضي اقتحام هذا النمط من الأعمال، ففي عام 1951 تم إنتاج فيلم بعنوان «السبع أفندي» من إخراج أحمد خورشيد، مثل الشخصية الرئيسية في الفيلم الممثل سعيد ابو بكر إلى جانب فريد شوقي وشادية وسراج منير، ونختلف في رأينا مع مؤرخي الفن السابع في مصر عندما صنفوه فيلما محسوبا على فئة الخيال العلمي، لأن قصة الفيلم تتحدث في إطار واقعي عن موظف بسيط يحلم باكتسابه قوة خارقة تجعله يخترق الجدران والحواجز المادية لتحقيق أحلامه بعد أن كان يعاني من تجاهل الآخرين له، فهذه البنية الحكائية البسيطة لم تخضع لمعالجة فنية تنقلها من الناحية الشكلية من بيئة واقعية إلى بيئة متخيلة غير واقعية بناء على نظريات أو طروحات علمية حتى يمكن تصنيف الفيلم ضمن خانة أفلام الخيال العلمي، بينما في مكان آخر يمكن اعتبار فيلم «رحلة إلى القمر» إنتاج 1959 من إخراج حمادة عبد الوهاب أول فيلم خيال علمي مصري، والفيلم تدور قصته حول صحافي (يمثل شخصيته اسماعيل ياسين) يذهب في مهمة صحافية إلى إحدى قواعد إطلاق الصواريخ، وعن طريق الخطأ يضغط على أزرار إطلاق الصاروخ، فيَصِلُ مع زميله الصحافي (يمثل شخصيته رشدي اباظة) إلى سطح القمر ويرفقتهما عالم فضاء أجنبي كان مشرفا على قاعدة إطلاق الصواريخ، وهناك يلتقون بمجموعة من البشر، نساء ورجال، سبق ان تمكن عالم فضاء آخر من ان ينقلهم إلى القمر حتى لا يصبحوا ضحايا للحرب العالمية المقبلة.

خلاصة الكلام، ما تم إنتاجه من أفلام خيال علمي في المنطقة العربية، اقتصر على مصر وحدها، وهي لا تتجاوز ستة أفلام، وكلها ذات منحى كوميدي، أي أنها للتسلية الخفيفة لا أكثر، ولم تكن تحمل في سياقها الفني مضامين علمية تحفز وعي المتلقي وتستحثه على التفكير والتأمل فيما هو أبعد مما يراه ويلمسه، وبنفس الوقت لم تكن تلك الأفلام تحمل أجندة سياسية كما في مسلسل «النهاية».

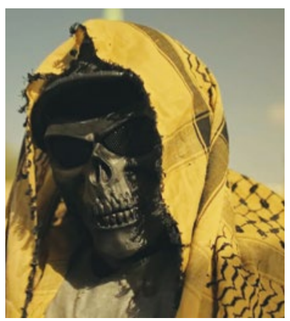

تحقيقات

المتغير في أداء الصحافة المغربية في زمن كورونا

الرباط – «القدس العربي»: سعيد المرابط

إذا كانت جائحة فيروس «كوفيد–19» أظهرت أن الأطباء الذين يراهنون على حياتهم يوميا لإنقاذ حياة مرضاهم، هم الأبطال الذين لا جدال حولهم في حرب البشرية على الوباء، ففي محاولة إظهار تجارب وتحديثات المرض، يلعب الصحافيون دورا أساسيا، بل إن بعضهم جنود في جبهة القتال الأمامية.

البعض يراهم فدائيين، البعض يراهم شياطين، البعض يراهم مرآة تعكس الحقيقة، والبعض يراهم صدى للكذب، فإذا كان هناك صحافيون مهنيون يحترمون أنفسهم في المغرب، فهناك صحافيون لا يهمهم ذلك، فأين ما وجد موسى فثمة فرعون!

اليوم في ظل الجائحة، تغير الزمن وبقيت الصحافة ثابتة، رغم أنها عموما، والمغربية على وجه الخصوص؛ تواجه تجربة لم يعشها أبناؤها من قبل، تجربة مفعمة بالشغف وبالخوف، ولكن الحاجة اليومية لنقل الأخبار للمواطن بدقة؛ تتغلب على أي خوف من تغطية الوقائع، ربما من مراكز العزل، أو من المستشفيات حيث يتم علاج الحالات مؤكدة الإصابة، وربما عن بعد، فالكثير من الصحافيين الآن يشتغلون من بيوتهم.

الصحافيون في زمن الفيروس التاجي، يساعدون بهذا العمل في توصيل المعلومات، لفهم هذه الجائحة من خلال من يعايشونها عن قرب، عبر إجراء مقابلات صحافية مع المرضى والأطباء والممرضات، ومن خلال ذلك، يتفوق شغف العمل على الخوف بالإصابة.

أوضاع صعبة وغد مجهول

في سياق الطوارئ الصحية المعلنة في المملكة، وتفعيل إجراءات مكافحة انتشار فيروس كورونا، قامت وزارة الثقافة والشباب والرياضة، بحث جميع رؤساء تحرير الصحف الورقية، أن توقف إصدار ونشر وتوزيع جرائدها ابتداء من 22 آذار/مارس 2020 حتى إشعار آخر.

وأصبحت مقرات الصحف شبه فارغة، فمن ليس في الميدان يستقي الأخبار، هو في بيته يشتغل عن بعد، ولم يعد في الصحف سواء الورقية أو الإلكترونية سوى بضعة أشخاص لتنسيق العمل على الويب وآخرون لضبط النسخة المطبوعة.

الإعلامي المغربي، نور الدين مفتاح، ناشر صحيفة «الأيام» الأسبوعية، يقول لـ«القدس العربي» إن «الصحافة المغربية في ظل كورونا، تشتغل في أوضاع صعبة».

هذه الصعوبة حسب مفتاح، تكمن في «مخاطر الإصابة بالفيروس في الأماكن التي تتم التغطية فيها، كالاستشفيات وأماكن الأحداث كالبؤر، وحديثها المباشر مع المصادر. فأينما كان الحدث هناك صحافيون، والحدث اليوم هو جائحة كورونا».

ويضيف، «بطبيعة الحال هناك احتياطات، كاحترام مسافات الأمان الصحي، وضع الكمامات، تعقيم مقرات العمل ووسائل النقل الخاصة بالصحافيين، وتعقيم الأجهزة».

ويؤكد على أن «أغلب الصحف المغربية اليوم، بما فيها جريدتنا، دفعت بصحافييها، باستثناء الفرق التي تشتغل ميدانيا، إلى العمل عن بعد، وحتى الاجتماعات تتم عن طريق محادثات الفيديو».

ومن الأوضاع الصعبة التي يسردها الإعلامي مفتاح، والتي تعيشها الصحافة المغربية، في زمن الفيروس «تعليق طبع وتوزيع الصحف الورقية، الذي سبب أزمة كبيرة للمؤسسات الإعلامية، التي كانت قبل هذا القرار في شبه إفلاس مقنع».

هذا الإفلاس جاء وفق مفتاح، جراء «حال الطوارئ وإغلاق الأماكن العامة كالمقاهي والفنادق والأكشاك التي كانت أمكنة لتداول الصحف بالأساس، وعندما صدر القرار، صارت الصحافة في حكم القطاعات المنكوبة».

مع ذلك، ورغم توقف التوزيع والإشهار، استمرت الصحافة الورقية في إصدار نسخ رقمية مجانية عبر مواقعها الإلكترونية، لأنها وفق مفتاح «لا يمكن أن تتخلى عن واجبها الوطني، والمساهمة بدورها في جهود محاربة الوباء، عبر المساهمة في صندوق كورونا، أو عبر رسالتها الصحافية، رغم تأثيرات ذلك المؤلمة، سواء على المقاولة الصحافية وعلى العاملين بها، إذ أن هناك مؤسسات خفضت رواتب صحافييها، وهناك صحافيون تنازلوا عن جزء من رواتبهم لمؤسساتهم، كما أن هناك مؤسسات تقوم بمجهودات حثيثة لأن يتوصل عمالها برواتبهم كاملة في انتظار ما ستكشف عنه الأيام المقبلة من إمكانيات لإنقاذ الصحافة من الانهيار».

ويختم مفتاح حديثه معتبرا أن «الأفق إلى حد اللحظة مجهول، لأن الصحافة شأنها شأن الاقتصاد؛ لن تتعافى مباشرة بعد رفع تعليق طبعها، لأنها جد مرتبطة بالاقتصاد المغربي، وبالحالة وبالوضعية العامة للبلد والمجتمع، والوضعية العامة لن تعود إلى طبيعتها إلا قبل سنة، وأن تصمد الصحافة المغربية، ليس اقتصاديا، بل كصحافة خلال هاته مدة الجائحة، أو أن تتعافى من تأثيراتها فذلك ما لا يستطيع أحد التكهن به الآن الجواب اليوم بالعقل؛ أقرب كثيرا إلى التشاؤم، منه إلى التفاؤل».

في قلب حربين

في عالم متحرك بسرعة لا متناهية، تبقى الصحافة بلا شك أفضل ترياق ضد التضليل والصمت والأكاذيب التي تولد عن عمد، متسببة باختلال التوازن في الرأي العام، وتلك مشكلة عانى منها المغاربة كثيرا.

خولة اجعيفري، صحافية في يومية «أخبار اليوم» الورقية، ومنذ بداية ظهور الفيروس الذي لا يزال أخفى من أن يرى وأبين من أن يخفى، كانت سباقة لتناوله، حتى قبل تسربه إلى البلاد «حقيقة وجدنا أنفسنا في قلب تجربة غريبة ومتفردة، فمهنيا لا خبرة لدينا كصحافيين في تغطية الظرفية الوبائية أو على الأقل لم يسبق أن غطينا أو قرأنا أو خبرنا مواد غطت هكذا حدث، بعد الأول من نوعه منذ ما يناهز المئة سنة أو أكثر، وبهذا وجدنا أنفسنا في قلب حربين، الأولى بشرية ضد عدو مجهري يفتك بالأرواح ويخرب خريطة العالم، ووجب التعامل معه بمنطق مهني يقتضي التوعية والتحسيس والإخبار وايصال المعلومة إلى المواطن بأبسط وأنبه أسلوب، والثانية حرب خضناها كإعلاميين وصحافيين ضد الأخبار الزائفة، والإشاعات التي توالت منذ ظهور الوباء، وكانت في كل مرة تهشم المجهودات المبذولة سواء من السلطات أو من الصحافيين المهنيين الذين اعتمدوا نشر الخبر متسلحين بما تقتضيه أخلاقيات المهنية من جهة، وضمان السلامة العامة من جهة أخرى، طبعا من ناحية المسؤولية الأخلاقية والمهنية التي تقع على ممارسي هذه المهنة».

وأحدث الفيروس التاجي، اختبارا حول إمكانيات العمل عن بعد في وضع استثنائي، في عاصفة خبرية للصحافة، كل شيء متسارع، بالإضافة إلى طلب كبير على المعلومات من المواطن.

اجعيفري، الآن تعمل من البيت، لظروف صحية لا تسمح لها بمغامرة الخروج منه، «للأسف فيروس كورونا حرمنا من النزول إلى الميدان، فلا يمكن أن نكون صحافيين نحث الناس للبقاء في منازلهم والتزام الحجر الطبي والتباعد الاجتماعي بدون أن نكون جزءا من هذا الإجراء، فنحن ناقلي خبر ولسنا ناقلي وباء، وبالتالي نعمل عن بعد مضطرين».

وتضيف لـ«القدس العربي» لقد «استبدلنا أجواء المكتب بأجواء المنزل وأتمنى ألا يستمر هذا الوضع كثيرا، فقد حرمنا هذا الفيروس المجهري التغطيات والندوات، وحضور الملتقيات والبرلمان وغيره، واستبدلنا الحضور الجسدي بالهواتف».

ولكن «الضرورة الوبائية فرضت أن يتوقف طبع الجرائد الورقية وبالتالي تمت رقمنتها وتوزيعها على شكل رقمي مجاني للقراء والمواطنين، ومع ذلك استمرينا في أداء هذه المهمة النبيلة بشكلها الاعتيادي، من خلال ريبورتاجات، حوارات وتقارير تشمل الجانب التوعوي والإخباري بشكل أكبر».

ومن دروس هذا الظرف وفق ما تراه الصحافية، «التريث. أكيد لا يسعنا أن نكون موضوعيين في تناولنا لهذه الجائحة فعدونا وعدو البشرية واحد، لكن يسعنا التسلح بالضوابط المهنية في نقل الخبر، أو تحليله أو مناقشته، في تغطية موضوع الوباء».

وتسرد اجعيفري دروس كورونا الصحافية أنه «خبرنا أنه لا مجال للسبق الصحافي أو التسابق والتهافت على الخبر، الأساسي هو أن نستقي الخبر الصحيح من مصدره الرسمي ثم الاجتهاد في أخذ تصريحات وتحليلات للمختصين والمهنيين، أو السياسيين».

وتقول إن «هذا الوباء لقنني أن من الضروري استحضار جانب السلامة العامة في نقل الخبر بدون تهوين أو تهويل، فالأهم أن يكون الخبر صحيحا يتضمن معطيات تهم القارئ وتنفعه».

تراجع التحقيق

في الجائحة وغيرها، الصحافيون، هم خدمة عامة وضرورة لا محيد عنها، مثل الأطباء ومصنعي المعدات الطبية والشرطة والجنود، إنهم طليعة هذه المعركة المشتركة، حتى على حساب صحتهم، وهم يدركون أن عليهم واجب لا محيد عنه لضمان حق المواطنين في معرفة الحقيقة، حقيقة ما يحدث، ورغم ذلك لا يمكن أن ننكر أن الصحافة في المغرب بخير تماما، بل لها ما لها، وعليها ما عليها.

وللصحافي رشيد البلغيتي، في حديث لـ«القدس العربي» ملاحظات حول الأداء الصحافي بالمغرب في زمن كورونا.

وهو يرى أن من صور اليوم في الصحافة بروز «ظروف العمل عن بعد وتراجع العمل الميداني، وهذه ظاهرة عالمية، جعلت جل العمل الصحافي يختزل في الأخبار المستقاة من البلاغات والتصريحات الرسمية مما أدى إلى تراجع الريبورتاجات والتحقيقات الكفيلة بتقييم السياسات العمومية للحد من الوباء».

ويشير إلى أن «حالة التعبئة والحشد دفعت الصحافيين إلى الاكتفاء بأخبار أو مواد سمعية وبصرية تحتفي بأداء السلطات العمومية خاصة الأمن خوفا من التخوين أو اللاوطنية، ومعه استنكف الصحافيون عن الاشتغال على القضايا التي وقع فيها مس بحقوق الناس سواء حرية الرأي والتعبير أو حقوق العمال داخل المؤسسات الإنتاجية التي استمرت في الاشتغال أو مدى سلامة الإجراءات الحكومية المرتبطة بالطوارئ الصحية، وانسجامها مع المرجعية الحقوقية الكونية». ويؤكد على أن «هناك غيابا للإشاعة عموما في الصحف المغربية، غير أن بعض المواقع الإلكترونية، وهي قليلة على كل حال، تعتمد العناوين الخادعة والمتحايلة بشكل ممنهج استجداء الكليك».

ويرى البلغيتي، أن بعض الصحف المغربية «مست مبدأ قرينة البراءة في التحقيقات القضائية الجارية على هامش حالة الطوارئ الصحية، حيث نجد عبارات من قبيل (المتورطين في..) و(المرتكبين لجريمة كذا) و(أفراد عصابة الكمامات القاتلة) رغم أن أحكاما قضائية لم تنطق في النوازل فحل الإعلام محل القاضي».

أخلاقيات المهنة لا تغيير

ينتشر الفيروس، المعروف باسم كوفيد–19 من خلال قطرات من السوائل البشرية التي يتم إنتاجها عندما يسعل الشخص المصاب أو يعطس، كما يمكن أن يؤدي لمس العينين والفم والأنف إلى الإصابة بالعدوى إذا لمست سابقا الأسطح أو الأشياء الملوثة، وكل هذه الأشياء يمكن أن تعرض الصحافي لخطر الإصابة خلال عمله، إن لم يكن حذرا.

محمد السيعلي، مراسل لإحدى وكالات الأنباء العالمية في المغرب، واحد من الصحافيين الحاضرين في الميدان، لتغطية أخبار الجائحة ملتزم «بأخلاقيات المهنة دون تغيير» حسب تعبيره لـ«القدس العربي».

وكمراسل لوكالة أجنبية، يرى أنه يجب «الالتزام التام بتعليمات ونصائح السلطات الصحية بالبلد، واتخاذ جميع الاحتياطات القانونية والصحية، عند العمل في الفضاء العام».

وعن كيفية اشتغاله، في ظروف الجائحة يوضح أنه يشتغل «بعد الحصول على كل الرخص الضرورية، التزم بوضع الكمامة والحرص على ترك المسافة الضرورية مع الأشخاص وأتجنب المصافحة، ملامسة الأشياء والوجه».

ويضيف محمد في توضيح أساليبه الاحترازية والوقائية أنه يتجنب «تبادل الوثائق بشكل مادي مع الأفراد، وأطلب أن يتم ذلك عبر البريد الإلكتروني أو تطبيقات المحادثة الفورية».

أيام مختلفة

ليس كل الصحافيين، خارج مقرات عملهم، فهناك من ما زال يعمل من محطات وقنوات تلفزيونية وإذاعية، ولكن مما لا جدال فيه هو أنه في زمن كورونا، يختلف العمل «بالنسبة للصحافي عن باقي الأيام، خاصة في المناطق التي تعرف أعداد إصابات مهما كان عددها» وفق ما يراه الإعلامي في قناة «ميدي ا تيفي» النعمة ماء العينين.

ويقول لـ«القدس العربي» نحن «نعمل بروح الفريق وهنا يبرز الصحافي المهني العاشق للمهنة في وقت كثر فيه المتطفلون على المجال».

ويضيف «بحكم عملي في المجال التلفزيوني يتوجب علي الحضور إلى مقر العمل، فعملي كمحرر داخل قسم الأخبار ومقدم لوصلات تلفزيونية تحتم إعداد المواد الإخبارية من خلال الآليات المتاحة لإنتاجها، حيث لا يمكننا العمل عن بعد».

لا جدال أن الجائحة غيرت الكثير في عادات الناس، ولكن في «الأزمات يبرز دور الصحافي في الإعلام والإخبار والتوجيه حتى عادت المؤسسات الإعلامية الكلاسيكية إلى أوجها وصدارتها، خاصة أن وسائل الإعلام الجديدة أو الإعلام الجديد أصبح فضاء لكل مرتاد ينشر ما يشاء بدون ضوابط، وهنا يمكن أن تروج الأخبار الزائفة التي نعمل كمهنيين لمكافحتها في ظل هذه الجائحة التي تجعل المتلقي يبحث عن كل جديد حولها» يوضح ماء العينين.

ويؤكد، أن العمل داخل مؤسسة تعتبر العاملين فيها رأسمالها الحقيقي وتعطيهم قيمة لمجهوداتهم خلال هذه الظرفية التي نعيشها «جعلتنا نحس بالأمان داخل فضاء العمل بحيث توفر لنا المؤسسة كمامات، ومعقمات في كل الأماكن إلى جانب الولوج من بوابة تعقيم عند الدخول والخروج، زد على ذلك قياس درجة الحرارة».

هذا من جانب المؤسسة، ولكن من بين الإجراءات الشخصية، «حمل المعقم الكحولي واستعماله كلما استدعت الضرورة، بالإضافة إلى الالتزام بالتنقل ما بين العمل والبيت فقط، والخروج عن الضرورة لا غير».

وعند العودة للبيت حيث تلتزم العائلة بالحجر الصحي «اتبع إجراءات السلامة كتغيير الملابس وتعقيم الحذاء والغسل قبل الدخول في الحياة العائلية حفاظا عليهم» يضيف.

وحول الآليات المهنية والأخلاقية التي تُنهج في تغطية الأخبار، يقول النعمة، إن «تغطية الطوارئ في ظل جائحة عالمية لم يسبق لأي صحافي أن خاض تجربتها في العصر الحالي، وانطلاقا من تجربتي المتواضعة ومواكبتي للأحداث داخل الوطن وخارجه أعتمد على الوكالات الإخبارية الرسمية أو من خلال البلاغات الرسمية الصادرة عن الجهات المختصة، أو مراسلي القناة، ومواقع التواصل الاجتماعي، لكن من خلال حسابات موثقة للوزراء والإدارات الرسمية، كما أعتمد على التواصل عبر الهاتف للتأكد من صحة الأخبار، لكن في أغلبها لا تفلح، وتبقى أخلاقيات المهنة واحترامها من خلال تعدد المصادر ضرورة قصوى في زمن تكثر فيه الأخبار الزائفة».

واقع جديد

قبل ظهور الجائحة كان بعض الصحافيين، يرون في الكثير من طرق العمل الجديدة، كالعمل عن بعد، أو تقنيات صحافة الموبايل، بدعة.

ويقول الصحافي محمد كريم بوخصاص، لـ«القدس العربي» إن «الواقع الجديد الذي أحدثته جائحة كورونا انعكس على طريقة عمل الصحافيين بكل تأكيد، فالعمل الميداني أصبح محفوفا بالمخاطر ومعقدا في الآن ذاته، لذلك انصب كل تركيزي على الاشتغال على المواضيع والقضايا التي يمكن إنجازها عن بعد عبر التواصل مع المصادر بالهاتف أو التقنيات المتطورة».

ويضيف الصحافي في أسبوعية «الأيام» هكذا «ومنذ إعلان الطوارئ الصحية في 18 آذار/مارس الماضي أصبحت كل الأعمال الصحافية أنجزها من داخل الحجر المنزلي، حيث أعددت ملفات وأجريت حوارات مع خبراء ووزراء، بينهم رئيس الحكومة، إما بالهاتف أو عبر البريد الإلكتروني».

ويؤكد أنه لم يكن يتصور أنه «يمكن إنجاز عمل يفترض أن يكون ميدانيا مثل، طريقة عمل أطباء الخط الأمامي خاصة في أقسام الإنعاش، عبر التواصل مع الأطباء بعضهم بتقنية الفيديو، لنقل صورة ما يقع».

ويشير إلى أنهم في أسبوعية «الأيام» «نشتغل من منازلنا منذ دخول الطوارئ الصحية حيز التنفيذ، حيث يتواصل طاقم الجريدة في ما بينهم بالهاتف أو تقنية الفيديو، ويتولى التنسيق مدير النشر، ونحرص ما أمكن أن نصدر العدد في وقت صدوره قبل كورونا».

ويشدد على أن «اشتغال الصحافي من المنزل أو المكتب يجب أن يضيف إليه تحدي التحري من كل ما ينشره، لأن ما يكتبه الصحافي اليوم في زمن كورونا ليس بالضرورة عاشه أو عاينه، لذلك يفترض اتباع أقصى درجات الحيطة والحذر في التحري من المعلومات، كما يضاف إلى الصحافي عبئ أخلاقي يتمثل في عدم السقوط في إثارة الفزع بين الناس ووضع تقديرات معينة لنقل الأخبار».

المصور على خط النار

المصورون الصحافيون، هم الأكثر عملا في ظل الجائحة، فهُم في مقدمة الإعلام، خط النار، والأكثر عرضة للإصابة.

ياسين سالمي، مصور صحافي في جريدة «العمق» الإلكترونية، واحد من الذين يشتغلون في ظروف الجائحة، يقول لـ«القدس العربي» إنه «قبل كل تصوير أقوم بتعقيم الأجهزة، أحمل معقما معي، أرتدي الكمامة، وانطلق للتصوير».

ويضيف متحدثا عن مسافات الأمان أثناء العمل، والإجراءات الاحترازية التي يتخذها «أقوم بالتصوير عن بعد لاحترام مسافة الأمان، كما أقوم بتعقيم الميكروفون بعد كل تصريح، وأثناء الانتهاء من العمل، وقبل الدخول للمنزل أقوم بتعقيم الأجهزة خارج المنزل، وأعقم نفسي وأغير ملابسي».

أصبح الإعلاميون عين المواطن في الشارع، فمن خلال عدسات المصورين، يتابع المواطنون في حجرهم الإلزامي، «تقارير وريبورتاجات، عن الجائحة، حول أثمان المواد الغذائية، وهل هناك إنتاج كافٍ في هذه الأزمة، وكذلك حوارات مع أطباء نفسيين لتقديم نصائح للمواطن للتغلب والتعايش مع الحجر الصحي» يقول ياسين.

ويعمل المصورون الصحافيون، تغطية المواضيع المتعلقة بكورونا، بحزم وعزم، كـ«التحقق من أي خبر قبل النشر، ومحاربة الأخبار الكاذبة والإشاعات، البحث والوصول إلى المعلومة الحقيقية، من مصدر موثوق، وحتى في التصوير نتوخى الحذر من أخذ تصريحات كاذبة قد تغالط الرأي العام».

تحت الضغط

يوم الصحافة في الواقع، يكاد لا يبدأ ولا ينتهي، أربع وعشرون ساعة في اليوم، والصحافيون هناك دائما، لأن هناك شخصا ما ينتظر الأخبار، ويجب تزويده بالمعلومات، وبين الآني والمتأني تمشي الصحافة المغربية، في حقل كوروني متسارع الأحداث.

ويعتبر الصحافي محمد الأعرج، أن «المغرب يشهد تزايدا للاهتمام بأخبار كورونا، وهو ما يضعنا تحت الضغط، للمتابعة الآنية والسريعة لنشر ومعالجة الأخبار، وذلك للحفاظ على القراء وكسب المزيد من الثقة».

وأثناء نقل الأخبار، يقول «نحاول أن نعتمد على المصادر الرسمية، انطلاقا من موقع وزارة الصحة واعتماد تصريحات المسؤولين، وصولا إلى التواصل الدائم مع المصادر الموثوقة لكي نوصل للمتابع أو القارئ الخبر اليقين والدقيق».

ويضيف «نعتمد كذلك التغطية الميدانية، رغم كل ما يشوبها من مخاطر، لكن بعض الأحداث تفرض علينا الانتقال الميداني لنقل المعلومة بالصوت والصورة، وأذكر هنا على سبيل المثال تغطية احتجاج مئات المسافرين بمحطة أولاد زيان بالدار البيضاء».

ويضيف «في تغطية الأخبار التزم بشكل تام بقواعد صاحبة الجلالة، إذ أقوم بشكل دوري بالتواصل مع الجهات الرسمية، والاعتماد على التحاليل العلمية، بالتواصل مع مختصين في أي موضوع اشتغل عليه، كما نحاول قدر الممكن تسليط الضوء على مجموعة من الاخطاء التي يقع فيها الناس، وطرق تجنبها على لسان الخبراء، كشكل توعوي للوقاية من الفيروس كورونا».

في زمن كورونا كثرت الإشاعات والأخبار الكاذبة والمغلوطة، وحول ذلك يقول الأعرج «عند توصلنا بخبر أو نبأ عن موضوع معين، نرجع للمصادر والجهات الرسمية من أجل التحقق والتثبت منها، لتجنب الوقوع تحت تأثير الشائعات والأخبار الزائفة نتيجة السبق الصحافي».

ويشدد على أن الظروف العصيبة التي يمر بها العالم عموما والمغرب خاصة، «ليست للسبق الصحافي، بل للعمل على نقل الأخبار الصحيحة وتجنب الزائفة، لما لها من تأثير سلبي على نفسية المتلقي».

لقد تغيرت الحياة تماما في زمن كورونا، وأخذت منعطفا لم يكن يمكن تصوره قبل أسابيع قليلة مضت، وهذا حال الصحافة، فهي لا يمكن أن تكون بمعزل عن هذا التغيير، رغم أن كل الذين استشارتهم هذه الصحيفة، يجمعون على ثبات أخلاقيات المهنة، فهي ديدنها وشرفها الثابت.

ناشطون على مواقع التواصل يعبرون عن غضبهم لقتل الجيش الناشط فواز فؤاد السمان خلال احتجاجات طرابلس

لندن – «القدس العربي»:

«استشهد أخي فواز فؤاد السمان، 26 عاما، متأثراً بجراحه نتيجة رصاصة حية خلال مواجهات الثوار مع الجيش أمس في طرابلس». هكذا نعت الناشطة فاطمة فؤاد السمان، عبر موقع فيسبوك، أخيها الذي قتله رصاص الجيش أثناء احتجاجات في مدينة طرابلس اللبنانية.

وكانت الاحتجاجات قد اندلعت الاثنين الماضي، في مدن لبنانية عدة، مع تفاقم أزمة سعر صرف الليرة إلى أكثر من 4000 ليرة مقابل الدولار وارتفاع الأسعار، وسط مطالبات برحيل حاكم مصرف لبنان، رياض سلامة. وتضمنت التظاهرات تكسير واجهات مصارف احتجاجاً على ما تمثله كرأس الهرم في منظومة الفساد اللبنانية. وما كان من الجيش إلا أن أطلق النار على المتظاهرين. وأصيب السمان في فخذه، إلا أنه عانى نزيفاً داخلياً نتيجة مضاعفات على أثرها، وتوفي في المستشفى بعد نقله إليها.

وأصدر الجيش اللبناني بياناً عبّر فيه عن أسفه مؤكداً أنه فتح تحقيقا في الحادثة، مطالباً اللبنانيين بالالتزام «بسلمية التحركات» إلا أن ذلك لم يخفف من غضب الناشطين على مواقع التواصل، والمحتجين في الشوارع، خاصة وأن حساب الجيش كان قد نشر على تويتر مقطع فيديو يظهر الجيش يوزع الإعانات على المحتاجين، ثم يظهر المحتجون وهم يشتبكون مع الجيش وينتهي بقول «هكذا تردون الجميل؟» إلا أنه تم حذف المقطع بعد نشره بقليل.

وغرد اللبنانيون عبر عدد من الوسوم منها «اللي بيقتل شعبه خاين» و«طرابلس» و«لبناني ينتفض» رداً على مقتل السمان. وكتبت مغردة ردا على تغريدة فاطمة السمان التي نعت فيها أخيها: «فاطمة فؤاد يللي كتف بكتف سوا كنا نهتف ادام مصرف #لبنان. نحنا ما بدنا نموت.. ولا بدنا اخواتنا ينقتلوا بعز شبابن. نحنا بدنا حقوقنا. بدنا حقوقنا. بدنا حقوقنا». وقال مغرد آخر: «وقُتل فوّاز، شقيق فاطمة، في تلك الليلة برصاصة أطلقها الجيش في صدره. لروحه الخلود ولطرابلس ولبنان العدالة. المنظومة كلها مسؤولة عن انهيارنا والتعب عدوّنا. الانتفاضة يجب الا تهدأ» فيما أكد آخر: «ما رح ننسى مسؤوليّة وسائل الإعلام بالتعتيم اللي ساهم باستخدام القوة المفرطة والرصاص الحيّ.. مواطنون عم يستشهدوا وانتو حاطّين مسلسلاتكن البايخة».

وقال المحلل السياسي بشار الحلبي: «أتعلمون ما هو العنف؟ العنف هو أن تقرر السلطة السياسية وضع الجيش اللبناني بوجه مواطنين لبنانيين عزّل يتظاهرون بسبب الجوع والفقر والعوز ضد من سرقهم ونهب أموالهم وأفقرهم. العنف هو أن يقتل الجيش مواطنا لبنانيا دفاعًا عن واجهة مصرف سرق ودائع الناس وأشهر إفلاسه».

واعتبر الكاتب وسام سعادة: «نحن نواجه نظاما من الأشياء، والأسماء، والمؤسسات، والسلاسل، والعلاقات، انسدت أمامه أسباب الحياة، وانقطع به حبل إعادة إنتاج علاقات هروبه إلى الأمام. يريد ان يميتنا معه. علّنا بافتدائنا له هو يحيا. هذا النظام من الأوساخ والأدران حتى لو افتديناه بأجسادنا وأرواحنا نحن كلنا لن يوقفه واقف علي قدميه». وأضاف: «إنه نظام لم يعد قابلاً لإعادة إنتاج ذاته، لكنه نظام يقنع نفسه بأنه قادر على إعادة إنتاجنا نحن في أذل وأبشع صورة. إنه نظام يحتضر، واحتضاره طويل ومرير. يريدنا ان نحتضر معه. والخيار لنا في أول وآخر الأمر: أما ان نحتضر معه، واما ان نعجل به إلى جثته النهائي والحرفي».

وختم قائلاً: «هذا الصباح قتلوا ثائراً من طرابلس الثائرة. هذا الصباح جنوا عليه، وعلى الفيحاء، وعلى الطبقة العاملة، وعلى الكادحين، والفقراء. هذا الصباح بكّر الأول من أيار. قتلوا فواز السمّان بالرصاص الحي. قتل المطاطيّون فواز. فلتمتلئ العقول والقلوب والأكباد دمعاً وحقداً حتى نمضي في الثأر لفواز وشهداء الانتفاضة، وكل كادح وحرّ من لبنان، حتى الترع».

أما الصحافية جوي سليم فقالت: «اللي عم يتلاعب بالمشهد حتى يقول انو جهات سياسية عم تستغل الفقراء وانو الفقراء (شو هالكاتيغوري الغريبة) وقود للرسايل السياسية، متل قناة الجديد وغيرها هني كمان مسؤولين عن دم فواز السمان.. مش رح ننساكن».

واعتبر الصحافي والناشط، محمد نزال، الذي تم اعتقاله منذ أسبوعين لمشاركته باحتجاجات تضمنت تكسير مصارف: «كبرنا ونحن نسمع: الوجع ما بيوجع إلا صاحبه. لنا أن نغضب ونتعاطف ونتألم، من بعيد أو قريب، لكن لهذا الوجع أصحاب. أما التاريخ، فكأنه أبى أن يحفظ ذكرى هذه المرحلة إلا بالدم. دمنا العاري».

وعدد مغرد آخر الشهداء الذين قتلوا خلال الاحتجاجات منذ انطلاقها في 17 تشرين الثاني/نوفمبر 2019: «شهداء ارتقوا على مذبح الوطن: حسين العطار، عمر زكريا، علاء أبو فخر، أحمد توفيق، فواز فؤاد السمان».

وقال الناشط لوسيان بورجيلي: لماّ السلطة تأمر بقتل شعبها الجائع بدل معالجة الأزمة المالية يلي عم تخنق الناس بتكون صارت سلطة اجرام وفاقدة تماما للشرعية. الرحمة لشهيد الثورة فواز فؤاد السمان».

وأكدت مغردة «تتحمل المؤسسة العسكرية مسؤولية قتل الشهيد فؤاد السمان بالدرجة الأولى، ثم الضابط الذي أمر بإطلاق الرصاص الحي على الثوار، فالعسكري الذي أطلق النار. كان بيد العسكري أن يطلق النار في الهواء، أو ان يصوّب الضرب كي لا يتسبب بالقتل... دائماً هناك خيار».

وغرد تجمع نقابة الصحافة البديلة عبر حسابه على موقع تويتر: «يملأ قلوبنا الغضب، نحن في تجمّع نقابة الصحافة البديلة، بينما ننعي للبنان ولثورة 17 تشرين، الشاب الشهيد فوّاز فؤاد السمّان (26 عاماً) الذي قتل برصاص حيّ أطلقه الجيش اللبناني على الثوار في ساحة النور في طرابلس». فيما تساءل مغرد: «هل تكون دماء فؤاد السمان مقدمة لثورة الجياع والفوضى العارمة؟ آن الأوان لكي يعي من بيده الأمر اليوم خطورة هذا الموقف والكف عن تغطية الفاسدين».

تويتر تقدم للباحثين القدرة على مراقبة التغريدات المتعلقة بكوفيد – 19

لندن – «القدس العربي»:

قالت شركة تويتر إنها ستمنح الباحثين ومطوري البرمجيات إمكانية الوصول إلى تدفق من عشرات الملايين من التغريدات العامة التي تُنشر يوميًا عن فيروس كورونا وذلك لمساعدتهم على في دراسة انتشار المرض، أو لتتبع المعلومات الخاطئة التي يتم نشرها.

وقالت تويتر على مدونتها: «إنه يمكن أيضًا للمتقدمين المعتمدين، الذين يعملون في إدارة الأزمات أو الاستجابة للطوارئ، أو في التواصل داخل المجتمعات، جديدة للحد من انتشار المعلومات الخاطئة عن كوفيد–19 وحذرت من أنه قد تكون هناك أخطاء بسبب اعتمادها على أنظمة اعتدال آلية أثناء الوباء. واعتبر بعض الباحثين الذين يدرسون منصات التواصل الاجتماعي قد بدأ تنفيذ سياسات هذه فترة انتشار الوباء.

وفي الأسبوع الماضي، توجهت 75 مجموعة وفردًا، منها منظمات الحقوق الرقمية وحرية التعبير، برسالة إلي منصات التواصل الاجتماعي طالبة منها «الحفاظ على بيانات الاعتدال على المحتوى الخاصة بها ونشرها». وردت تويتر قائلةً: «إن التغريدات التي يحذفها أصحابها ستُحذف أيضًا من مجموعة بيانات كوفيد–19».

وأشار موقع «آي أي تي» التقني أنه «في الوقت الحالي، يوفر الوصول المجاني العام لمجموعة البيانات الجديدة نسبة صغيرة من التدفق الكامل للتغريدات المتعلقة بالفيروس، ومع ذلك، فإن الشركة توفر مستويات أكبر من الوصول للعملاء الذين يدفعون مقابل ذلك. وسيتمكن الباحثون من الوصول إلى التغريدات التي نُشرت منذ لحظة اتصالهم بمجموعة البيانات، لكنها لن تقدم بيانات تاريخية لتلك التغريدات».

وذكرت تويتر في التدوينة إن «أي مطور أو باحث لديه حساب مطور معتمد يمكنه التقدم بطلب للوصول إلى تدفق تغريدات كوفيد–19 ولكن يجب أن يستوفي مجموعة من المتطلبات، ومنها: أن تكون حالة الاستخدام تدعم الصالح العام. ويجب على المتقدمين أيضًا توضيح كيفية حماية خصوصية وسلامة الأشخاص الممثلين في البيانات».

وتابعت إن «الباحثين سيكونون ملزمين بقواعدها المعتادة الخاصة بتحليل المواضيع المتعلقة بالصحة، ومن تلك القواعد: عدم اشتقاق، أو استنتاج معلومات عن صحة مستخدمي تويتر، وعدم تخزين أي بيانات شخصية عن هذه المعلومات الحساسة».

فيسبوك تخطط لطرح آلية تتيح كسب المال لمستخدمي خدمات البث المباشر

لندن – «القدس العربي»:

تخطط شركة فيسبوك للسماح للمستخدمين بربح مبالغ مالية مقابل تقديم البث المباشر، وذلك مع التوجه المتزايد للشركات والفنانين إلى آليات البث المباشر عبر الإنترنت خلال فترة انتشار الوباء، مما يوفر طريقة جديدة للاستثمار عبر المنصة، حسب ما أعلنته الشركة.

وقالت الشركة في إعلان الخدمات: «نخطط للسماح للصفحات بتحصيل مبالغ مالية مقابل الوصول إلى الأحداث باستخدام مقاطع فيديوهات البث المباشر على فيسبوك، المتضمنة الفصول الدراسية والمؤتمرات المهنية والمسرحيات والحفلات الموسيقية، وذلك لدعم صناع المحتوى والشركات الصغيرة».

ولم تقدم الشركة أي معلومات إضافية باستثناء أن الخدمة ستصل خلال الأسابيع المقبلة.

وليس هناك تاريخ محدد للوقت الذي ستظهر فيه هذه الميزة لأول مرة على فيسبوك.

وأشارت «آي أي تي» إلى أنه «لا توجد أيضًا معلومات بشأن أي قيود محتملة على الأحداث المدفوعة، أو وجود حد لمقدار ما يمكن للفنان تحصيله، أو ما إذا كانت فيسبوك ستتقاضى رسومًا أو نسبة مئوية بخلاف أنها ستكون متاحة للصفحات فقط، وليس الملفات الشخصية».

وأعلنت الشركة أيضًا أنها ستوسع نظام التبرع بالمال ليشمل الموسيقيين، حيث يمكن للفنان أن يتلقى المال عندما يرسل المستخدمون له نجمة، علماً أن كل نجمة سعرها 0.01 من الدولار.

وباتت فيسبوك، إلى جانب منصتها انستغرام لايف، المنصة الأساسية للموسيقيين الذي استبدلوا الحفلات بالبث المباشر، مع انتشار الوباء وتطبيق سياسات التباعد الاجتماعي في جميع أنحاء العالم، ما أدى إلى إلغاء معظم حفلاتهم. ويذكر أنه لم يقم الموسيقيون بهذه الخطوة بنية كسب المال، إذ لم تكن هذه لخدمة موجودة.

وتابع الموقع أنه «في حين أن البث المباشر ما يزال في مراحله الأولية كمجال عمل، فقد وجد الموسيقيون طرقًا أخرى لتحقيق الدخل منه والتواصل مع المعجبين، ويبدو أن هناك المزيد من الطرق في المستقبل القريب مع استمرار سريان أوامر التباعد الاجتماعي المفروضة بسبب الفيروس بدون وجود تاريخ واضح لإعادة إحياء الحفلات مرة أخرى».

علوم وتكنولوجيا

الواقع الافتراضي يساعد على تفعيل التعاطف

لندن ـ «القدس العربي»:

تمثيل الواقع الافتراضي لرجل يسيء لفظيًا إلى امرأة، وذلك من خلال منظور المرأة نفسها حسب ما نقلت مجلة «للعلم» الأمريكية.

وقام الباحثون بتدريب المشاركين على واقع افتراضي يقومون فيه بتجسيد دور المرأة أو دور متفرج يشاهد واقعة الإساءة. و«تعامل المشاركون مع جسد المرأة كأنه جسدهم، كما أظهروا نشاطًا متزامنًا قويًا في بعض أجزاء المخ المسؤولة عن إدراك التهديد والشعور بالخطر عندما اقترب الرجل من تلك المرأة، أو منهم كما تخيلوا» حسب الكاتبة العلمية هبة حسين.

وقالت دي بورست في تصريحات لمجلة «للعلم»: «إن الواقع الافتراضي يجعل الشخص يشعر وكأنه موجود داخل المشهد المعروض أمامه، فيتوهم أن الأحداث التي يشاهدها تحدث بالفعل. وفي هذه الدراسة، تم استخدام خداع ملكية الجسم الافتراضي بالحواس المختلفة، بحيث يشعر المشارك في أثناء تحريك جسمه بأن الجسم الافتراضي يتحرك بالتزامن مع حركاته هو، أما منظور الشخص الأول (أن ترى من خلال عيون الشخص الافتراضي) فيخلق خداعًا بأن الجسم الافتراضي جزءٌ من جسمه. وهذه الخصائص مجتمعة للواقع الافتراضي تتيح لمستخدميه خوض تجربة من منظور جديد بالنسبة لهم».

وتابعت حسين أنه «أظهرت الدراسة أن المشاركين شعروا بالتقارب مع الضحية الافتراضية عند الخضوع لتدريب على تجسيد منظور الشخص الأول، وأن تغيُّر المنظور حدث نتيجة تغيرات في مناطق المخ المسؤولة عن رسم المساحة الشخصية لنا. وهذا يعني أن المشاركين لم يشعروا فقط بالتقارب مع الضحية، ولكن مخهم صور لهم أن الحدث المرئي يقع قريبًا من أجسامهم».

وأضافت دي بورست أن «طول تجربة الواقع الافتراضي يعتمد على الهدف من تطبيقها. فإذا كانت عن التجسيد الافتراضي في سياق البحث العلمي، فإن التدريب يكون قصيرًا ما بين 5 إلى 15 دقيقة. أما في التجارب السريرية، فيستغرق التدريب زمنًا أطول مدته 90 دقيقة على مدى ثلاثة أيام أسبوعيًا لمدة خمسة أسابيع».

وتابعت» «استمرارية تأثر الشخص بالواقع الافتراضي وفاعليته يحتاج إلى مزيد من البحث، لكن هناك نتائج واعدة في هذا المجال؛ إذ إن ممارسة الواقع الافتراضي لأشخاص من ذوي البشرة الفاتحة في جسد أشخاص من ذوي البشرة الداكنة أسفر عن تأثير طويل المدى فيما يتعلق بخفض التحيز العنصري لذوي البشرة البيضاء لمدة بلغت عدة أسابيع، كما ساعدت تجربة الواقع الافتراضي الأشخاص على التخلص من مخاوف الطيران بصورة امتدت لأكثر من ثلاث سنوات، وتختلف مدة التأثير تبعًا لعدة عوامل تحتاج إلى مزيد من البحث، ومن بينها المحتوى الذي يتم تقديمه، ونوعية الأجهزة والبرامج المستخدمة، والخطوة المقبلة في البحث تتعلق بتجارب جديدة يتيحها تجسيد الواقع الافتراضي، وكيف يمكن أن تستفيد العلوم الأساسية وكذلك المرضى منها، كما في حالات اضطرابات الطيف العاطفي أو اضطراب الحالة المزاجية بشكل مرضي».

هونر تطلق سلسلة هواتف جديدة: هونر 9 سي وهونر 9 أي وهونر 9 إس

لندن ـ «القدس العربي»:

أطلقت شركة هونر) التابعة لشركة هواوي) ثلاثة هواتف ذكية جديدة من سلسلة هونر 9 وهي: هونر 9 سي، وهونر 9 أي، وهونر 9 إس. وتمتاز الهواتف بمواصفات منخفضة مع بطارية كبيرة السعة. ويأتي هاتف هونر 9 سي بشاشة من نوع آي بي اس بقياس 6.39 بوصات وبدقة 1560×720 بكسل، إضافة إلى ثقب في الزاوية العليا اليسرى للكاميرا الأمامية التي تأتي بدقة 8 ميغابكسل.

ويوجد على ظهره ثلاث كاميرات ودقة الرئيسية 48 ميغابكسل، أما الثانية بدقة 8 ميغابكسل للتصوير الفائق العرض، والثالثة بدقة 2 ميغابكسل لتسجيل العمق. كما يوجد على الظهر حساس البصمة.

ويحتوي هونر 9 سي على معالج ثماني النوى من نوع كيرين 710 أي مع «ذاكرة وصول عشوائي (رام) بحجم 4 غيغابايت، وذاكرة تخزين داخلية بسعة 64 غيغابايت مع إمكانية التوسعة عن طريق بطاقات الذاكرة الخارجية مايكرو اس دي».

ومع أن مواصفاته تعد أقل من هونر 9 سي، إلا أن الهاتف يمتاز ببطاريته التي تبلغ سعتها 5,000 ميلي أمبير/ الساعة. كما أنه يأتي مع حساس البصمة. وبرمجيًا يعمل الهاتف بواجهة المستخدم ماجيك يو أي 3.1 المبنية على نظام التشغيل أندرويد 10.

وأشار الموقع إلى أنه «يعد هذا الهاتف هو الأدنى من حيث المواصفات بين الهواتف الثلاثة، فله شاشة بقياس 5.45 بوصات وبدقة 1440×720 بكسل، مع كاميرا أمامية بدقة 5 ميغابكسل، وخلفية واحدة بدقة 8 ميغابكسل».

وتابع «يعمل الهاتف بمعالج من نوع هيليو بي 22 ويحتوي ذاكرة وصول عشوائي (رام) بحجم 2 غيغابايت، وذاكرة تخزين داخلية بسعة 32 غيغابايت، مع إمكانية التوسعة. وتأتي البطارية بسعة 3.020 ميلي أمبير/ الساعة». أما برمجيًا يعمل الهاتف بواجهة المستخدم ماجيك يو أي.

علماء يطورون آليات استخدام الحمض النووي كأداة لتخزين المعلومات

لندن ـ «القدس العربي»:

يكتب الباحث تشارلز كيو تشوي في مجلة «ساينتفك أمريكان» أنه إذا قام البشر جميعاً بالاعتماد على الذاكرة الاصطناعية، أي نظم تخزين البيانات المُستَخدَم في بطاقات الذاكرة والمُشغِّلات الإيهامية، فسينتج العالم معلومات أكثر مما سيتمكن من إنتاج السيليكون المخصص للرقائق الإلكترونية بنحو 100 مرة مع حلول عام 2040. ولذلك، يقوم الباحثون بمحاولة هندسة طريقة لاستخدام الحمض النووي للتخزين. ويتابع تشوي إنه «من الناحية النظرية، يُمكِن أن تحتفظ هذه المادة بكمية هائلة من المعلومات – ما يصل إلى إكسابايت واحد (مليار غيغابايت) في كل ملليمتر مكعب من الحمض النووي- على مدى آلاف السنين. ويبلغ العُمْر الافتراضي للشريط المغناطيسي الذي يشكل الأساس لغالبية الأرشيفات الرقمية نحو 30 عامًا على أقصى تقدير، بينما لا يزال من المُمكِن تحديد تتابعات الحمض النووي في حفريات يبلغ عُمْرها 70.000 عام. ومع ذلك، فإن إحدى العقبات التي تحول دون جعل تخزين بيانات الحمض النووي حقيقة واقعة، هي عملية الاستحداث البطيئة والمُكلِّفة والمُعرِّضة للخطأ؛ لإنشاء أو تخليق تسلسلات جديدة للحمض النووي تناسب الشفرة المطلوبة.

وقالت أولجيكا ميلينكوفيتش، الباحثة النظرية في التَّرميز في جامعة إلينوي في إربانا–شامبين والمشاركة في تأليف دراسة جديدة تتعلق بهذه العملية: «إن تخليق الحمض النووي يواجه عقبة رئيسية، تتمثل في تكاليف التَّسجيل والدقة وسرعة الكتابة». وقد اقترحت هي وزملاؤها حلًا جديدًا، يتضمن وضع علامة على جزيئات الحمض النووي القائمة بأنماط من «الشقوق الصغيرة» لتشفير البيانات. وأتت الفكرة من آلية قديمة لتخزين المعلومات، هي البطاقات المُثقَّبة (شرائط من الورق المُقوَّى كان يجري ثقبها بثقوب في مواضع مُحَددة لتخزين المعلومات في العديد من أجهزة الكمبيوتر القديمة).

وقال إس كاسرا تاباتاباي، المؤلف الرئيسي للدراسة وعالم الأحياء التَّركيبية في إربانا–شامبين إن «الطريقة الجديدة تستعين بالإنزيمات وكأنها الجهاز الذي يُحدِث ثقوبًا. في هذه الحالة، تكون الثقوب رابطات مقطوعة بين الجزيئات التي تشكل العمود الفقري أو الرَّكيزة الأساسية للحمض النووي. إن وجود هذه العلامة يعني 1 وغيابها يرمز إلى 0».

وأفادت برندا روبنشتاين، عالمة الكيمياء النظرية في جامعة براون، والتي لم تشارك في الدراسة إن «الجانب الأكثر إثارةً للاهتمام في هذا البحث هو كيفية اعتماده على الطبيعة» مضيفة في حديث وجهته للباحثين: «دعوا هذه الإنزيمات تُحدِث الشقوق الصغيرة، تفعل الأمر الأكثر طبيعيةً بالنسبة لها، لتخزين المعلومات».

وأشار تشوي إلى أنه من أجل أن يتم وضع الشقوق بدقة، قام الفريق بتسخين جزيئات الحمض النووي مزدوجة السلاسل حتى تتخلخل قليلًا في الوسط. و«نَتَج عن هذه العملية بشكل أساسي تكوُّن فقاعات تَرَكت القواعد مكشوفةً. تلا ذلك إقدام العلماء على نشر جزيئات الحمض النووي أحادية الخيط، ويبلغ طول كل منها 16 قاعدة فقط، وقد تَشَبَّثت بتسلسل القواعد المقابل داخل تلك الفقاعات. عملت نهايات هذه الجزيئات أحادية الخيط كأداة توجيهية لإخبار الإنزيمات إلى أين تذهب بالضبط. في الحمض النووي، تتصل كل قاعدة بجزيء سُكَّر ومجموعة فوسفات لتشكيل مُرَكَّب يُعرَف باسم النوكليوتيد. وتتولى الإنزيمات المُستَخدَمة في التقنية الجديدة قَطْع الرابطة التي تربط نوكليوتيدًا بآخر لإحداث شَق صغير في قضبان السُّكَّر والفوسفات».

وبحكم أن هذه الآلية لا تتطلب خلق تسلسلات دقيقة للحمض النووي، اعتبر الباحثون أن «إحدى مزاياها الرئيسية هي أنها يُمكِنها معالجة أي جزيء من جزيئات الحمض النووي تقريبًا مثل البطاقة المُثقَّبة. فعلى سبيل المثال، أجرى الباحثون تجربةً بمبادة ورائية جرى حصدها بسعر رخيص من السلالات المتاحة بسهولة من بكتيريا الإشريكية القولونية، التي يعرف الباحثون تسلسلها بدقة كبيرة».

وقام الباحثون باستخدام خيوط الحمض النووي للبكتيريا، يحتوي كل منها على خمسة شقوق صغيرة إلى 10 وبتشفير 272 كلمة من خطاب غيتيسبيرغ للرئيس الأمريكي السابق، أبراهام لنكولن، وصورة بحجم 14 كيلوبايت لنصبه التذكاري. واستخدموا تقنيات تحديد التسلسل التجارية لقراءة الملفات بدقة تامة.

وقال روبنشتاين: «اعْتَقَدَ النَّاسُ لسنوات عديدة أن الحوسبة الجزيئية تنطوي على أخذ ما نفعله في السيليكون وإدراجه في الجزيئات، وهو أمر أشبه بأجهزة روب غولدبيرغ المُعقَّدة. وبدلًا من ذلك، وُثِّقَ هذا العمل الجديد كيفية تطور الإنزيمات عبر الملايين والملايين من السنين كي تكون فعَّالة بشكل لا يُصَدَّق فيما تفعله».

وأشار تشوي إلى «يأمل العلماء إثبات أن عمليتهم أقل تكلفةً وأسرع بكثير من تلك التي تعتمد على تخليق الحمض النووي. ومع ذلك، فهم يقولون إن إستراتيجيات الاحتفاظ ببيانات الحمض النووي التي جرى اقتراحها في الماضي لم تزل توفر بعض المزايا، مثل كثافة التَّخزين الأكبر بمقدار 12 إلى 50 مرّة تقريبًا من تقنية البطاقات المُثقَّبة».

وقالت ميلينكوفيتش: «إن المشكلة الأكبر في تخزين بيانات الحمض النووي الآن ليست الكثافة، بل التَّكلفة. وتكاليفنا منخفضة حقًا، ويُمكِن خفضها أكثر». علاوةً على ذلك، أضافت أن «الأنظمة الأقدم لتخزين الحمض النووي كان عليها أن تتضمن تسلسلات إضافية؛ لتكون بمنزلة تأمين ضد الطبيعة المُعَرَّضة للخطأ لتخليق الحمض النووي التَّقليدي. يقلل هذا المطلب من كمية البيانات التي يُمكِنها الاحتفاظ بها بالفعل، وهو ما يقلص فجوة كثافة التخزين بينها وبين التقنية الجديدة».

إمدادات الهواء

طرق مختلفة لتوصيل الأكسجين إلى رئتي مريض يعاني من صعوبة في التنفس

القنية الأنفية
هي الطريقة الأكثر شيوعا لنقل الأكسجين بمستوى منخفض
يتم إيصال أنبوب مرن بشقين إلى فتحتي الأنف
تسمح للشخص بتناول الطعام والتحدث بحرية

كمامة وجه بسيطة
تستخدم لنقل الأكسجين بمعدلات تدفق مختلفة
تُغطي الأنف والفم
قد يختلط بالهواء المحيط الذي يدخل من خلال فتحات التهوية

قناع مزود بصمام عدم إعادة التنفس
يستخدم عادة في حالات الطوارئ لتركيزات عالية من الأكسجين
يتميز بصمام أحادي الاتجاه يمنع هواء الزفير من الدخول إلى خزان الأكسجين مرة أخرى

جهاز ضغط مجرى الهواء الإيجابي المستمر
يتم إرسال الهواء تحت الضغط إلى المجاري الهوائية لإبقائها مفتوحة ودفع الأكسجين عبر الأغشية الملتهبة

جهاز التنفس الاصطناعي
تتطلب هذه التقنية تخدير المريض وإدخال أنبوب في القصبة الهوائية لنقل الأكسجين مباشرة إلى الرئتين

الأكسجة الغشائية خارج الجسم
تعمل هذه التقنية على استخراج الدم القليل الأكسجين والغني بثاني أكسيد الكربون من جسم المريض، لأكسجته ثم إعادة حقنه مرة أخرى في الدورة الدموية
تُعتبر استراتيجية خطيرة للغاية، وتستخدم كملاذ أخير لإنقاذ مريض يعاني من حالة حرجة

المصدر: england.nhs.uk/newscientist.com/الاتحاد الأفريقي لطب الطوارئ/healthline.com/verywellhealth.com
© AFP

اقتصاد

حريق النفط الذي أشعلته السعودية قد تطفئه أدوية كورونا!

إبراهيم نوار

يقول نزار قباني في قصيدة «إلى رجل»: «إن من بدأ المأساة ينهيها، وإن من أشعل النيران يطفيها». لكن الذين بدأوا المأساة في أسواق النفط، وأشعلوا فيها نيراناً تأكل ثروتهم برميلاً بعد برميل، وناقلة بعد ناقلة، في البحر ترفع مراسيها وتلقيها بدون مشترين، فشلوا حتى الآن في إطفاء الحريق. الذي أشعل الحريق ليس من يطفئه هنا، وإنما عربة الإطفاء ستأتي مع أدوية كورونا، للعلاج وللوقاية. الأسواق تدرك الآن انه إذا تم التوصل إلى علاج لمرض كورونا، فإن عجلة الحياة ستعود إلى الدوران بلا خطر وبلا تهديد. أما تخفيضات الإنتاج فإن الأيام الماضية أثبتت أن تأثيرها هامشي جدا على المعاملات، وأن محرك الأسعار في أسواق النفط حاليا هو الطلب وليس العرض. ويرتبط الطلب على النفط الآن ارتباطا شديدا بإيجاد دواء لمرض كورونا ومصل للوقاية منه. وسوف نلاحظ هذا الارتباط في العلاقة بين تقلبات أسعار النفط وأخبار أدوية كورونا في الأسابيع والأشهر القليلة المقبلة.

الذين يعتقدون أن تخفيض العرض يمكن أن يعيد التوازن إلى سوق النفط مخطئون، لأن الفائض في المعروض الذي يقترب من 200 مليون برميل لا يجد مشترين، ولن يختفي هذا الفائض بين عشية وضحاها. وقد أظهرت معاملات يوم الأول بعد بدء سريان تخفيضات الإنتاج (أول أيار/مايو) استمرار تذبذب الأسعار، وهي ظاهرة ستلازم السوق حتى يتم التأكد من التوصل إلى علاج لمرض كورونا، بصرف النظر عن تخفيض الامدادات التي تم الاتفاق عليها بين أوبك وشركائها.

ثقوب في جانب العرض

يعاني عرض النفط من ثلاثة ثقوب كبيرة، الأول صنعته السعودية بإغراق السوق بفائض هائل من النفط الرخيص خلال الفترة منذ الأسبوع الثاني من اذار/مارس حتى الآن، والثاني صنعه فيروس كورونا، بوقف الدوران الطبيعي لعجلة الاقتصاد ما أدى إلى انكماش الطلب العالمي على النفط بكمية تعادل ثلاثة أمثال حجم التخفيضات، والثقب الثالث يتعلق باستمرار الشركات في الإنتاج بمعدلات مرتفعة في دول أوبك نفسها، لتعويض خسائر الآبار التي ستخرج من الإنتاج في مناطق أخرى بسبب انخفاض الأسعار.

وأظهرت أرقام الإنتاج والمخزون النفطي الأمريكي في الأسبوع الثالث من نيسان/أبريل، أن إنتاج الولايات المتحدة من النفط لم ينخفض إلا بمقدار 100 ألف برميل يوميا، وأن مخزونات النفط كانت أقل من التوقعات، لكن الولايات المتحدة تنتج حاليا ما يقل بنحو مليون برميل يوميا عن الذروة التي حققتها في أوائل العام الحالي. وقد أعلنت بالفعل شركات أمريكية عملاقة مثل اكسون موبيل وشيفرون وكونوكو فيليبس أنها بصدد تخفيض إنتاجها في مناطق استخراج النفط الصخري، لكنها من المرجح أن تقلل الخسائر النجمة عن ذلك بزيادة إنتاجها في مناطق الإنتاج ذات التكلفة الأقل والربحية الأعلى، بما في ذلك إنتاج النفط في مناطق امتيازاتها في دول أوبك.

وتظهر أرقام استهلاك وقود الطائرات على سبيل المثال صورة كئيبة لقطاع الطيران الذي يعكس مستوى النشاط في قطاعات أخرى مثل النقل والسياحة والفنادق والتجارة. في الأسبوع الأول من نيسان/أبريل انخفض إنتاج وقود الطائرات في الولايات المتحدة إلى أقل مستوى له في 35 عاما، ليهبط إلى ما دون 900 ألف برميل يوميا. وفي الصين هبط الإنتاج بنسبة 25 في المئة تقريبا في الأسبوع الأخير من كانون الثاني/يناير بتأثير إجراءات الحظر. ومع أن الصين لم تلغ رحلات الطيران الداخلية والدولية، فإن الإيرادات التشغيلية لشركات الطيران في الربع الأول من العام تراجعت بنسبة تقترب من 50 في المئة. أما في الولايات المتحدة فقد كانت الصورة أسوأ، حيث انخفض عدد الركاب بنسبة تجاوزت 90 في المئة وفي مطار هيثرو بنسبة 97 في المئة. وتؤكد أرقام الانكماش الاقتصادي في الولايات المتحدة في الربع الأول من العام الحالي وغيرها من الدول الصناعية، وتباطؤ النمو في الصين، أن متغيرات الطلب وليس العرض هي التي تحكم أسواق النفط الآن.

توقعات ارتفاع الطلب

ومع أن عوامل الضغط على أسواق النفط ما تزال قوية، فإن المعاملات خلال النصف الأول من أيار/مايو وربما حتى موعد تسويات عقود حزيران/يونيو لخام غرب تكساس، وشهر تموز/يوليو لخام برنت، ستتأثر بأربعة عوامل رئيسية هي:

أولا: تخفيضات الإنتاج. ويقلل كثيرون، ومنهم وزير النفط الروسي الكسندر نوفاك، من تأثير هذه التخفيضات نظرا للفائض المتراكم في السوق. مسؤولون من شركات نفط كبيرة مثل شل وبريتش بتروليوم وتوتال يتفقون على أن التخفيضات ليست كافية. المشكلة التي تواجه السوق أيضا فيما يتعلق بالتخفيضات هي أنه لا توجد آلية محددة ودقيقة ومقبولة من الجميع لقياس مدى التزام الدول المختلفة بالتخفيضات المتفق عليها. هذا يعني فتح الباب على مصراعيه للغش في الأرقام المعلنة. ومع ذلك فإن تخفيضات الإنتاج وأن كانت لن تقضي على الفائض، إلا انها ستقلله، وهو ما قد يترك تأثيرا إيجابيا على الأسعار.

ثانيا: فتح منشآت الاحتياطي النفطي الاستراتيجي للولايات المتحدة، سواء تلك الموجودة داخل الأراضي الأمريكية أو خارجها، لشركات تجارة النفط، لاستخدامها في تخزين ما قد يصل إلى 70 مليون برميل من النفط. هذا سوف يقدم للسوق خدمة كبيرة، بافتراض وجود سيولة مالية أو تسهيلات ائتمانية لتمويل الشراء. لكنه سيكون من مصلحة شركات النفط الأمريكية ان تنزل أسعار الخام إلى الصفر، حتى تصبح تكلفة استئجار مساحات للتخزين مجدية اقتصاديا.

الولايات المتحدة قد تلجأ أيضا إلى فرض رسوم على النفط السعودي، بما يمنح للنفط الأمريكي ميزة تنافسية، بهدف استيعاب كمية أكبر منه، ومساعدة الشركات الأمريكية على مواصلة الإنتاج بأقل الخسائر الممكنة. هذا سيساعد الأسعار على التماسك والارتفاع.

ثالثا: تعافى الاقتصاد الصيني منذ منتصف اذار/مارس الماضي يمنح السوق قدرا كبيرا من التفاؤل. وقد سجلت إحصاءات نمو الناتج واستهلاك الطاقة في الصين انخفاضا في الربع الأول من العام الحالي بنسبة 6.5 في المئة، لكن معدل الانخفاض في اذار/مارس الذي بلغ 4.2 في المئة كان أقل من نصف معدل الانخفاض في شباط/فبراير الذي بلغ 10.1 في المئة. ويعتبر استهلاك الطاقة أحد المؤشرات المهمة لقياس مستوى النشاط الاقتصادي في الصين. ويتوقع الخبراء هناك أن يتعافى الاقتصاد بقوة في الربع الثالث وفي النصف الثاني من العام ككل، وأن ينمو بسرعة كبيرة في العام المقبل. هذا أيضا سيساعد الأسعار على التعافي والارتفاع.

لكن السوق لا يجب أن تقع في مصيدة الإفراط في التفاؤل بناء على توقعات زيادة الطلب في الصين؛ وذلك نظرا لأن التصدير هو أهم محركات النمو في الصين. ومن ثم فإن تعافي الاقتصاد الصيني مرتبط بدرجة تعافي الاقتصاد العالمي. وسوف تظل احتمالات التعافي على مستوى العالم مجرد توقعات هشة طالما لم يتوصل العالم بعد لإنتاج أدوية ولقاحات تعالج مرض كورونا. فإذا افترضنا مثلا تعثر الاقتصاد الأمريكي الذي انكمش خلال الربع الأول من العام الحالي، أو تعرض بعض الدول الصناعية لهجوم موجة ثانية من الوباء، فإن كل التوقعات المتفائلة بتعافي الاقتصاد العالمي سوف تتلاشى.

رابعا: زيادة الطلب على المشتقات النفطية. توجد حاليا مؤشرات تدل على أن تخفيف إجراءات الحظر والقيود على التنقلات والسماح بعودة بعض الأنشطة الاقتصادية مثل البناء والتشييد، سيؤدي إلى زيادة معدل تشغيل معامل التكرير للوفاء بالزيادة المتوقعة في الطلب. ويقدر خبراء صناعة التكرير أن نسبة كبيرة من مصافي العمل تعمل بطاقات إنتاجية تعادل 50 في المئة فقط، وأن شركات التكرير بشكل عام قد تراكم لديها مخزون كبير من المشتقات النفطية التي تنتظر تحرك الطلب إلى أعلى. إذا حدث ذلك، فإن زيادة الطلب على البنزين والسولار ستحفز شركات التكرير على العمل بطاقة إنتاجية أكبر خلال شهر أيار/مايو وما بعده، خصوصا وأن عددا من الدول الأوروبية وبعض الولايات الأمريكية ونيوزيلندا وأستراليا والصين قد أعلت فعلا تخفيف الإجراءات الاحترازية والعودة إلى تشغيل الاقتصاد، مع الالتزام بشروطين، الأول ان يتم ذلك تدريجيا، والثاني أن يلتزم العاملون بإجراءات الوقاية الشخصية وأهمها التباعد في أماكن العمل. هذا المتغير سيترك أثرا موجبا على الأسعار.

هذه المتغيرات الأربعة ستترك أثرها على المعاملات في سوق النفط هذا الأسبوع. ومن الواضح كما قلنا منذ البداية أن التغيرات الإيجابية في جانب الطلب هي التي ستقرر اتجاه الأسعار، بينما سيكون تأثير التغيرات في العرض محدود جدا. وليس أمام دول أوبك وشركائها إلا أن تلجأ لإعلان تخفيضات أعمق في الإنتاج، وأن تلتزم بها، وأن تصلي لله تعالي وتدعوه أن ينزاح خطر وباء كورونا قريبا باكتشاف دواء له، لأن هذا هو مفتاح التعافي الاقتصادي العالمي، ولعل من أشعل النيران في سوق النفط قد أدرك الآن أنه لا يستطيع أن يطفئها.

فقر وبطالة وجوع

كورونا يقلب حياة الغزيين ويفاقم معاناتهم

غزة

إسماعيل عبد الهادي

صعدت نسب الفقر والجوع في أوساط شريحة كبيرة من العمال الغزيين أصحاب الدخل اليومي، من من يعملون في قطاعات خاصة ويتقاضون رواتب يومية لا تكاد تفي بأدنى متطلبات حياتهم. ومع وصول جائحة كورونا إلى الأراضي الفلسطينية وإعلان حال الطوارئ من قبل الرئيس الفلسطيني، وما ترتب عليه من إغلاق لعدد كبير من المنشآت الخدماتية والصناعية خاصة قطاع السياحة والفنادق الذي يضم مئات العمال والموظفين، نتجت عن ذلك صعوبات مادية على العاملين في هذا القطاع وغيره، بعد أن أحالهم الحجر الصحي إلى البطالة القسرية، تاركاً خلفهم أزمات متراكمة.

ووفق إحصائية رسمية صادرة عن الجهاز المركزي الفلسطيني للإحصاء، فإن معدلات البطالة بين الغزيين وصلت إلى 52 في المئة، بينما تؤكد بيانات رسمية صادرة عن وزارة الشؤون الاجتماعية، أن نسبة الفقر بين سكان غزة وصلت إلى 78 في المئة وهي الأعلى عالمياً، ويأتي ذلك نتيجة الحصار الإسرائيلي من جهة وإغلاق المئات من المنشآت الصناعية وتعطلها عن العمل، إضافة إلى أزمة كورونا التي تهدد برفع نسبة الفقر، بعد فقدان الآلاف من العمال مصدر دخلهم.

وأثرت الإجراءات الاحترازية على قطاعات اقتصادية واسعة، فالسائقون وأصحاب مقاصف المدارس، والباعة المتجولون وصالونات الحلاقة، تضرروا بشكل واسع من هذه الأزمة.

السائق وائل عجور يجوب شوارع غزة منذ ساعات الصباح حتى المساء باحثاً عن ركاب ليتمكن من تأمين رزق أسرته، ويقول لـ«القدس العربي» إن «أزمة كورونا قد أثرت علينا كسائقين بشكل كبير، فأنا أعتمد على ما أجنيه يومياً من رزق لتوفير متطلبات العائلة، وائل الذي لا يملك السيارة ويعمل كأجير يوضح أن عمله اليومي سابقاً كان يوفر له أجرا يصل إلى 40 شيكلا، أما اليوم فحركة المواطنين معدومة، ولا يحصل على أكثر من 15 شيكلا، ولم يسبق أن تضرر بهذا الشكل من قبل حتى في أوقات الحروب على غزة.

العديد من صالونات الحلاقة في قطاع غزة هي الأخرى ما زالت توصد أبوابها في وجه زبائنها، خوفاً من تفشي فيروس كورونا، لا سيما أنها مهنة تعتمد على الاختلاط المباشر بين الحلاق والزبون إلى جانب تجمع المواطنين في الصالونات بانتظار دورهم في الحلاقة، في سياق ذلك قال سعدي الشعراوي صاحب صالون للحلاقة لـ«القدس العربي» هناك حالة من الذعر والخوف من انتشار الوباء أصابت زبائنه، بعد أن أقدمت وزارة الصحة على دعوة المواطنين لأخذ الحيطة والحذر عند الذهاب لأطباء الأسنان وصالونات الحلاقة، وهذا الإعلان شكل هاجسا لدى المواطنين، ما دفعهم للتهافت على شراء معدات الحلاقة تجنبا للذهاب للصالونات، وهذا سبب أزمة مادية لصاحب الصالون، الذي يدفع إيجارا شهرياً يصل إلى 200 دولار، وفي هذه الظروف يصعب عليه الإيفاء والإلتزام بدفع الإيجار.

أصحاب المقاصف المدرسية هم شريحة واسعة تضررت بشكل كبير، بعد أن شمل قرار الطوارئ إغلاق المدارس والجامعات حتى إشعار آخر. ويقول رشيد عطاالله صاحب مقصف في إحدى مدار الأونروا لـ«القدس العربي» إن عمله الموسمي في المقصف، هو مصدر رزقه الوحيد و«نتيجة لكورونا، أصبحنا عاطلين عن العمل وغير قادرين على توفير متطلبات حياتنا» ويضم المقصف الذي يملكه رشيد 4 عمال انظموا إلى صفوف البطالة والعاطلين عن العمل.

ومع وصول الأزمة إلى مستويات خطيرة، يشتكي العاطلون نتيجة كورونا عن تخلي الجهات الرسمية عنهم، وعدم تقديم دعم وتعويض لتأمين حياتهم بعد أن أصبحوا في البيوت بغير عمل ومصدر دخل، بينما صرفت لجنة المتابعة العليا في غزة مبلغ 100 دولار للعمال الذين تضرروا بفعل الأزمة لكن هذه المنحة لم تغط نسبة كبيرة من العاطلين، ويرى البعض أنها غير كافية خاصة وأن حاجات شهر رمضان، مضاعفة عن باقي الأيام.

وتصف المتحدثة باسم اللجنة الدولية للصليب الأحمر في غزة سهير زقوت الوضع الإنساني في القطاع بالخطير والكارثي، بفعل تداعيات الفيروس التي فاقمت الأزمات القائمة أصلا نتيجة الحصار الإسرائيلي، وتحذر زقوت من تقليص المساعدات الدولية المقدمة لأهالي القطاع خلال الفترة المقبلة مع استمرار كورونا، مشيرة إلى أن ما يزيد عن 80 في المئة من الغزيين يعتمدون بشكل أساسي على المساعدات الدولية، وتنوه إلى أن اقتصاد غزة الذي وصفته بالهش، لن يحتمل المزيد من الأزمات، خاصة لاعتماد الكثير من العمال على نظام المياومة، وقد توقفت أعمالهم بسبب الإجراءات الاحترازية وعدم وجود مخزون كافي من السلع الأساسية في القطاع.

استطلاع: الشباب كانوا الأكثر تكالبا على الشراء خلال أزمة كورونا في ألمانيا

كشف استطلاع للرأي أن الشباب كانوا الأكثر تكالبا على شراء الأدوية والمواد الغذائية والمطهرات خلال جائحة كورونا في ألمانيا.

وأظهر الاستطلاع، الذي أطلعت وكالة الأنباء الألمانية على نتائجه السبت، أن 43 في المئة من الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و29 عاما اشتروا أدوية تفوق الكميات التي اشتروها في الأوقات العادية.

وفي الفئة العمرية 39–30عاما، بلغت نسبة من فعلوا ذلك 34 في المئة، في حين بلغت النسبة بين من تتراوح أعمارهم بين 50 و59 عاما 15 في المئة فقط، وتراجعت إلى 9 في المئة بين من هم فوق 60 عاما، لتصبح نسبة كبار السن أدنى بكثير من متوسط المتكالبين على شراء الأدوية 23 في المئة.

كما أظهر الاستطلاع أن 53 في المئة من الفئة العمرية 29–18 عاما تجاوزوا الحد الشرائي المعتاد لهم من المواد الغذائية والصابون وورق المرحاض، وبلغت النسبة 51 في المئة في الفئة العمرية 39–30 عاما، وهي نسبة تفوق بكثير نسبة من فعلوا ذلك بين أصحاب الفئة العمرية 60–50 عاما، فما فوق.

وأرجع باحثو السوق هذا إلى أن الآباء يخزنون لأطفالهم أيضا نصيبهم من هذه المنتجات.

وقال المدير التنفيذي للاتحاد الألماني لشركات الأدوية، هوبرتوس كرانتس، إنه لا يوجد داع لشراء مخزون من الأدوية لم يوص بها الطبيب أو الصيدلي، وأضاف: «في كثير من الحالات يؤدي الشراء غير المتناسب للأدوية التي لا يحتاج الفرد إليها إلى نقص قصير المدى على حساب مرضى آخرين».

وأجرت الاستطلاع شركة «نيلسن» لأبحاث السوق بتكليف من الاتحاد الألماني لشركات الأدوية. وشمل الاستطلاع، الذي أجري في منتصف نيسان/أبريل الماضي، نحو ألف شخص فوق 18 عاما. (د ب أ)

مدن وآثار

العمادية العراقية قلعة النسور وعاصمة إمارات الكرد

صادق الطائي

العمادية من المدن العراقية التي يمكن أن نطلق عليها اسم «المدن القلاع» فهي أشبه بعش النسور الذي تبنيه على قمم الجبال، إذ بنيت على قمة جبل يرتفع عن سطح البحر حوالي 1400 متر، وما تزال المدينة في الكثير من أجزائها محاطة بسورها التاريخي الذي تعرض لبعض الهدم في أماكن محددة بالقرب من بواباته الثلاث التي تم توسعتها وتم تبليط الطرق التي تربط المدينة بما يحيطها من مدن مثل دهوك والموصل.

العمادية من المدن الحدودية العراقية، فهي تقع على بعد نحو 570 كم شمال العاصمة بغداد، كما أنها قريبة جدا من الحدود العراقية التركية، أذ لا تبعد عنها سوى 10 كم، وهي مركز قضاء تابع أداريا لمحافظة دهوك إحدى محافظات إقليم كردستان العراق، وتقع على بعد 70 كم شمال مدينة دهوك، ويبلغ عدد سكانها حوالي 8000 نسمة فقط، لأن المدينة غير قابلة للتوسع نتيجة وجودها داخل أسوارها القديمة على قمة الجبل. يتبعها إداريا عدد من النواحي هي؛ ناحية جامانكي، وناحية سرسنك، وناحية ديرلوك، وناحية بامرني، وناحية شيلادزي، وناحية كاني ماسي.

وكان يسكن العمادية تاريخيا خليط من السكان الذين يدينون بمختلف الأديان مثل اليهود والمسيحيين والإيزيديين والمسلمين، أما اليوم فلم يعد يسكنها سوى الأكراد. وتمثل الزراعة والخدمات وبعض النشاطات السياحية مصادر الاقتصاد الرئيسية لسكان المدينة المحاطة بمزارات ومصايف سياحية مهمة مثل كلي زاويته ومصيف سرسنك، ومصيف أنشكي، ومصيف سولاف، وهذه الأماكن تعد من أهم مناطق السياحة والاصطياف في كردستان العراق، كما يأمل سكان العمادية في تسجيل المدينة في سجل التراث العالمي لليونسكو لتتم المحافظة على آثارها التي يمكن أن تتحول إلى مزارات تنشط السياحة فيها.

عاصمة الإمارات

شهدت العمادية قيام وانهيار العديد من الإمارات، وهكذا عاشت تحت ظل الإمارات والعشائر الكبيرة أو الوحدات القبلية التي تتحد مع بعضها لتكون إمارة، ولتتحول العمادية إلى عاصمة لها تحكم منها المناطق المحيطة. وقد أطلقت على المدينة طوال تاريخها عدة تسميات منها: «آمات، آماتي، آفاهي ميديا، آشب، والعمادية». كما يطلق الأكراد عليها اليوم اسم «آميدي» إلا أن مصادر تاريخية تؤكد أن «آمات» أو «آماتي» هو أقدم اسم للمدينة، وقد عثر عليه في مدونة آشورية تعود إلى حوالي (823 ـ 810 ق.م) محفوظة في المتحف البريطاني.

وجاء في مقال كتبه بشير فرنسيس وكوركيس عواد نشر في مجلة «سومر» ذكرا فيه «جاء في الكتابات الآشورية اسم مدينة في هذا الموضع أو بالقرب منه بصورة آمات، وأوضح ذكر لها انتهى إلينا في مسلة وجدت في القصر الجنوبي الغربي في نمرود، وفيها أخبار شمس أداد الخامس الملك الآشوري (823–810 ق.م) وهو ابن شلمنص الثالث، وذكرها الملك أداد نيراري الثالث (805–782 ق.م) في مسلة له وجدت في نمرود أيضا وكتبت باسم آمات وبقيت كمدينة معروفة حتى العصر البابلي الحديث».

ويذكر ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ» المدينة والصراع الذي دار حولها فيقول «حكي عن بعض العلماء من الأكراد ممن له معرفة بأحوالهم، أن أتابك زنكي لما ملك قلاع الحميدية وأجلاهم عنها خاف أبو الهيجاء بن عبد الله صاحب قلعة آشب والجزيرة ونوشي، فارسل إلى أتابك زنكي من استحلفه له وحمل إليه مالا وحضر عند زنكي في الموصل فبقي مدة ثم مات فدفن في تل توبة» كما يذكر «حكى غير هذا بعض فضلاء الأكراد، إذ قالوا: إن زنكي فتح قلعة آشب وخربها وبنى قلعة العمادية ولم يبق في الهكارية إلا صاحب جل صورا وصاحب هرور، ولم يكن لهما شوكة يخاف منها، فعاد عماد الدين زنكي بعد ذلك إلى الموصل». ويبدو أن هذا هو الرأي الذي تبناه المؤرخ العراقي عباس العزاوي في كتابه «العمادية في مختلف العصور» إذ يذكر أن «ليس من الصواب اعتبارها مدينة قديمة معروفة بهذا الاسم لما قبل الإسلام، بل اشتبهت على الباحثين بـ (آمد) فلم يفرقوا، ولا تعد أيضا من بناء البويهيين، فلم يعرف لها هذا الاسم قبل بنائها من عماد الدين زنكي كما هو ثابت من مؤرخين عديدين، بناها باسم العمادية بعد أن خرب بلدة (آشب)».

بينما يذكر المؤرخ والعسكري والوزير الكردي العراقي في العهد الملكي محمد أمين زكي بك في كتابه «خلاصة تاريخ الكرد وكردستان» إن اسم العمادية جاء من نسبة هذه القلعة إلى عماد الدولة، الأمير الديلمي الذي كان في المدينة سنة 338 هـ كما يذكر حمد الله المستوفي في تاريخه للمدينة، بينما يقول ياقوت الحموي، إن هذه القلعة سميت باسم عماد الدين زنكي، إذ بناها على أطلال قلعة آشب التي خربها، وأن سكان هذه القلعة هم من الأكراد الهكارية العريقة». كما يشير محمد أمين زكي بك إلى ما ذكره ابن الأثير في الكامل فيقول «إن قلعة آشب كانت من أعظم القلاع الحكارية وأمنعها. بها أموال الأكراد الحكارية وأهلهم وبعد أن فتحها عماد الدين زنكي أخربها وبنى عوضا عنها القلعة المسماة الآن العمادية نسبة إلى لقبه، وهي عامرة وقلعة آشب هي الخربة، والظاهر أنها معربة عن أسم (آمادي – آميدي) القديم كما يذكرها الأكراد لغاية الآن بدليل بناء القلعة على أطلال مدينة تاريخية».

ويذكر الأمير شرف خان البدليسي مؤرخ الإمارات والدول الكردية في كتابه الشهير «شرفنامه» أن إمارة بادينان وعاصمتها العمادية تأسست في أواخر عهد العباسيين، وأن مؤسسها كان من نسل العباسيين، كما يزعمون وكان يدعى بهاء الدين، فاطلق اسمه على أسرته، ثم حدث تحريف في الاسم تحت تأثير اللهجة الكرمانجية فصار بهاء الدينان، ثم بهادينان، واستقر على بادينان، ويشير البدليسي إلى إن العمادية كان يحكمها تيمور لنك وابنه شاهرخ من بعده الذي أمضى أيامه الأخيرة في تلك البلدة، وأنه أقطعها لابنه الأمير سيف الدين. وبقيت هذه الإمارة نتيجة صراعات امرائها في مهب التنازع بين شاهات فارس وسلاطين العثمانيين حتى انضمت أخيرا للدولة العثمانية واطيح بأمارة البادينان في القرن التاسع عشر وتبعت لولاية الموصل.

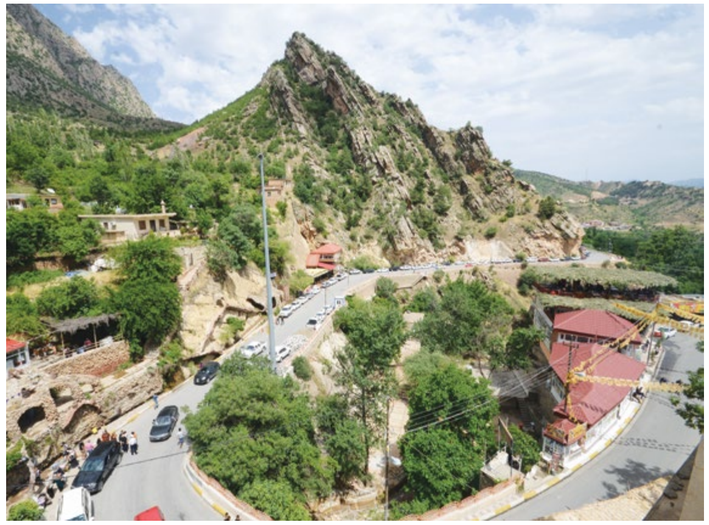

الآثار

يذكر مدير آثار محافظة دهوك حسن قاسم في مقابلة صحافية، إن «العمادية من المدن المهمة التي لا تزال تحتفظ بالآثار والشواهد التاريخية، إذ كان لهذه المدينة دور كبير في تاريخ المنطقة منذ العهد الآشوري، وتم ذكرها في القرن الثامن قبل الميلاد، حين كانت معقلاً للميديين والآشوريين».

وتحوي العمادية اليوم الكثير من الآثار التي تعود لحقب تاريخية متعددة، وأهمها قلعة العمادية التي تعد تحفة تاريخية قديمة، ويبرز فيها بشكل خاص باب الموصل الغربي الذي ما زال يحتفظ بكامل هيئته مع التماثيل المنحوتة على جدرانه التي تعود إلى العهود المثرائية القديمة، ويضم الباب أماكن للحراس، وكانت له أهمية كبيرة، فقد كانت القوافل التجارية الخارجة من العمادية تسلك هذا الطريق متجهة إلى مدينة الموصل. وفي داخل القلعة يظهر جامع العمادية الكبير بمئذنته الطويلة المستدقة بتصميمها الفريد الذي يظهرها بهيئة تشبه فنارات سواحل البحار، وهذا المسجد الأثري بني في عهد عماد الدين زنكي مؤسس المدينة، إذ يعود تأريخ بناء المسجد إلى حوالي سنة (537 هجرية).

ومن آثار المدينة المهمة باب قصر الأمارة، وهو كل ما تبقى من آثار إمارة بهدينان، التي أسسها الأمير بهاء الدين بن خليل بن عز الدين العباسي، وفي بعض الروايات الأمير بهاء الدين شجاعي الذي ينتمي إلى منطقة الشيروان الكردية في سنة (1261) حسب قول الدكتور صلاح هروري استاذ التاريخ في جامعة دهوك. وكذلك تضم المدينة مقبرة الأمراء والسلاطين الذين حكموا العمادية وتوجد فيها كهوف للمثرائيين تعود إلى ألفي سنة قبل الميلاد. أما أثار مدرسة قبهان التي أسسها في العام 1534 السلطان خليل فهي تحفة أثرية تعاني الإهمال وتحتاج إلى الصيانة والاهتمام، وكذلك توجد في العمادية آثار بعض الديانات غير الإسلامية مثل الكنيس اليهودي القديم الذي يضم قبر النبي حزقيل، بالإضافة إلى بقايا كنيسة قديمة لا يعرف زمن بنائها على وجه الدقة.

واقع العمادية اليوم

صغر حجمها يجعلها متركزة في القلب، يحيطها طريق دائري ملتف حولها ويضم الدوائر الحكومية والمصالح الرسمية، بينما لا تضم المدينة سوى أربعة أحياء فقط هي سردبكي، وميدان، وحمام، وأيوم، وهي تمتاز بنمط معماري حميم يميز المدن القلاع التي تحتفظ بتاريخها القديم، لذلك تجد أزقتها ضيقة بالكاد تكفي لمرور فرد واحد. ويذكر الكاتب عبد الخالق دوسكي في تقرير صحافي عن العمادية «المدينة التي تحكي أزقتها تاريخا طويلا لعصور مختلفة لم تعد تتسع للسكان، وليس في الإمكان توسيعها أفقياً مثلما يحدث مع باقي المدن، ما أضطر الأهالي إلى ترك مدينة الأجداد والتوجه إلى أسفل الجبل الذي يحتضنها لبناء مدينة أخرى أطلقوا عليها اسم العمادية الجديدة».

ورغم أن لمدينة العمادية طابع أثري وسياحي، فهي تشهد هجرة مستمرة لسكانها الأصليين. ويعزو هؤلاء السكان أسباب هجرتهم إلى عدم استيعاب مساحة المدينة مساكن جديدة، كون موقعها لا يسمح بالتوسع، إذ إن العديد من سكانها اضطروا إلى الهجرة إلى مركز محافظة دهوك والعيش هناك، بسبب عدم توفر أرض لبناء دور سكنية، ما أدى إلى ارتفاع أسعار المنازل بشكل كبير. ومعروف أن مساحة المدينة لا تتجاوز 420 ألف متر مربع، شُيّد عليها أكثر من 1200 منزل، فضلاً عن المؤسسات الحكومية والخدماتية.

رياضة

لماذا أصبح انتقال مبابي إلى ريال مدريد مسألة وقت؟

مبابي يبحث عن مستقبله

لندن – «القدس العربي»: من عادل منصور

حاول مهاجم باريس سان جيرمان كيليان مبابي، سكب الماء البارد على كرة اللهب المشتعلة حول مستقبله في وسائل الإعلام الإسبانية وكذلك الفرنسية، بتغريدة عبر حسابه على «تويتر»، للرد على موجة الاشاعات والتقارير الأخيرة، التي شككت في مصيره مع أصحاب «حديقة الأمراء» أكثر من أي وقت مضى، تمهيدا لتحقيق حلم رئيس ريال مدريد فلورنتينو بيريز والمدرب زين الدين زيدان، برؤية بطل كأس العالم بالقميص الملكي رقم 7، ليحمل راية «الغالاكتيكوس» في عصر ما بعد الهداف التاريخي كريستيانو رونالدو.

دعني أغني

يقول المطرب الإيطالي الكلاسيكي توتو كوتونيو في رائعته الخالدة «Lasciatemi cantare» (دعني أغني)، وتقريبا هذا ما فسرته أو خلصت إليه الصحف المقربة من الريال، في التغطية الإعلامية لتغريدة صاحب الـ21 عاما، رغم أن فحواها لا يظهر مؤشرات لانقلاب محتمل على رجل الأعمال القطري ناصر الخليفي، بقوله: «الجميع يتحدث، لكن لا أحد يعلم... أفتقد باريس سان جيرمان»، في إشارة واضحة إلى تمسكه بالبقاء في عاصمة الموضة، على عكس ما يتردد في الإعلام الإسباني، عن اقترابه من الذهاب إلى «سانتياغو بيرنابيو»، خاصة بعد قرار رئيس الحكومة الفرنسية إدوارد فيليب، بإلغاء الموسم الكروي 2019–2020، لخروج الوحش الصامت كوفيد–19 عن السيطرة في البلاد، لكن المثير للجدل، أن الصحف المدريدية اعتبرت ما قاله الشاب بمثابة «المُسكن» أو «المُخدر» لناديه وجماهيره، استنادا إلى أفعاله على أرض الواقع، وليس ما يقوله عبر منصاته في مواقع التواصل الاجتماعي، منها على سبيل المثال إصراره على موقفه، بمماطلة الرجل الثاني في باريس سان جيرمان ليوناردو، في مفاوضات تجديد عقده، الممتد لمنتصف 2022، بحجة تركيزه على ما يقوم به داخل الملعب، لكن بالنسبة لمؤسسات اعلامية مثل «آس» و«ماركا»، فهذا جزء من خطة الوالد ويلفريد مبابي مع ممثلي فلورنتينو بيريز، لإبقاء الوضع على ما هو عليه، إلى أن يحين موعد الضغط على الإدارة الباريسية، لإجبارها على خيار البيع، بسعر في المتناول، بنفس الطريقة التي تحايل بها على تشلسي، لنقل إيدين هازارد إلى معقل الملوك مقابل 100 مليون يورو، في أوج فترات تضخم أسعار وأجور اللاعبين. وبطبيعة الحال، بعد الأزمة الاقتصادية الناجمة عن تفشي كورونا وتبعاتها، التي تُنذر بالمصطلح العربي الدارج «هبدة» كبيرة في القيمة السوقية للاعبي كرة القدم، سيزداد الطمع المدريدي، لحسم الصفقة بسعر أقل مما كان متوقع قبل الجائحة، التي كبدت الأندية الأوروبية خسائر غير مسبوقة.

مشاكل مبابي

بجانب صداع عقد مبابي مع ناديه الباريسي، تحاول الأقلام المدريدية من حين إلى آخر، استغلال توتر علاقته بمدربه الألماني توماس توخيل، كما أظهر في أكثر من مناسبة، باعتراض مبالغ فيه على استبداله من قبل المدرب، كان آخرها ثورة الغضب، التي أطلقها اللاعب عقب استبداله أمام مونبلييه مطلع فبراير/ شباط الماضي، وكالعادة، اصطادت نفس الأقلام في الماء العكرة، بتفسير غضب كيليان، على أنه رسالة جديدة لزيدان وبيريز، بعد تبادل التصريحات المثيرة للجدل بين مبابي وزيدان في نفس الفترة، بفاصل من المدح والغزل من اللاعب في حق أسطورة بلاده، ليرد عليه الأخير بتصريحات «استفزازية» لإدارة عملاق «ليغ1»، بتلميحات ماكرة بأن الجميع في «سانتياغو بيرنابيو» ينتظره ولو بعد حين، وهذه واحدة من هدايا النجم الفرنسي، التي يعطي بها الإعلام الإسباني فرصة على طبق من ذهب، لإثارة الجدل والتكهنات حول مستقبله بعد صيف 2021، على غرار ما فعله نهاية الموسم الماضي في حفل توزيع جوائز الأفضل في فرنسا، بالكشف عما يدور في ذهنه، إما بعفوية المراهقة وإما عن عمد لحاجة في نفس يعقوب، باعتراف لا تشوبه شائبة، بأنه على أتم الاستعداد لخوض تحد جديد بداية من الموسم الجديد، لأنه بحسب تعبيره «لا سقف لطموحه»، وهدفه الحصول على كل الجوائز على مستوى الأندية، بعد رفع كأس العالم مع منتخب بلاده، وحتى يُقال إنه «أمسك العصا من المنتصف»، لم ينس في نهاية كلمته وجائزة أفضل لاعب في يده، أن يُشدد على جزئية «أنه سعيد مع باريس سان جيرمان في الوقت الراهن»، وغيرها من التصرفات والأفعال الضبابية، التي تضاعف الشكوك حول مستقبله مع ناديه، وتفتح المجال للقيل والقال، باشاعات وأنباء محدثة عما يدور خلف الكواليس في مفاوضات تمديد عقده، وما يقوم به اللاعب ووالده لمد المفاوضات لأطول فترة ممكنة، تنفيذا التعليمات ما وصفته صحيفة «ABC» الإسبانية «عـرآب» صفقة انتقال كيليان إلى «البيرنابيو»، والإشارة إلى المحامي دلفين فيرتيدين، الخبير في المفاوضات، والذي بحسب المصدر، تعاقد معه المهاجم الفرنسي أواخر العام الماضي، ليرسم خطة الخروج الآمن من «حديقة الأمراء»، بدلا من مواجهة مصير كل من تمرد على ناصر الخليفي والنادي الباريسي، كماركو فيراتي وأدريان رابيو، كليهما عانى الأمرين مع التجميد، إلى أن استسلم الشاب الإيطالي، بإنهاء عمله مع وكيل أعماله السابق، ونسيان فكرة الذهاب إلى برشلونة.

وقبل هذا وذاك، أثبت حُسّن النية بوضع القلم على عقد ارتباطه بالنادي لفترة طويلة، فيما ظل الفرنسي على وضعه إلى أن رحل بموجب قانون بوسمان، لكن بعد أشهر من الحرمان من لمس الكرة، وهذا أكثر ما يخشاه مبابي ولا يتمنى أن يحدث معه تحت أي ظرف.

الخطة الباريسية

في وقت سابق من الشهر المنقضي، أكدت صحيفة «آس» في تقرير حصري، أن المدير الرياضي للبي إس جي، بصدد تحويل كابوس مبابي إلى حقيقة، وذلك بإعداد خطة ممنهجة، لإجبار اللاعب على البقاء مع النادي حتى آخر لحظة في عقده، حال وصلت مفاوضات تجديد عقده مع والده إلى طريق مسدود. والمثير للجدل، أن المصدر المدريدي، زعم أن المفاوضات في طريقها بالفعل للوصول إلى مفترق طريق، لا سيما بعد أزمة كوفيد–19، والتي قد تجبر المسؤول البرازيلي على تخفيض الراتب الضخم، الذي لم يوافق عليه اللاعب قبل الأزمة، بأن يتساوى في الراتب مع زميله البرازيلي نيمار جونيور، ما سيصعب مهمة تجديد عقده، وبالتبعية سينعش فرص الريال في ضمه، باللعب على سياسة الانتظار، ليبقى الأمر متروكا للخليفي ومجلس إدارة النادي، إما بالحصول على أعلى عائد مادي من جوهرته هذا الصيف أو الصيف المقبل على أقصى تقدير، أو تقبل خسارة فادحة جديدة، بالإبقاء عليه في «ليغ 1» حتى نهاية عقده، سواء بالاستفادة منه داخل الملعب أو بتجميده، لكن في النهاية، سيتكبد النادي خسارة ثقيلة لا تقل عن 100 مليون يورو، إذا اعتبرنا أنه أعلى مبلغ يمكن الحصول عليه، قبل أن يدخل اللاعب في عامه الأخير في عقده 2021–2022.

أما هدف النادي الباريسي، وفقا لنفس المصدر، فهو إقناع اللاعب بالتجديد لعامين إضافيين في عقده، ولو بـإدراج شرط جزائي في العقد بقيمة 200 مليون بعملة القارة العجوز، لتضرب الإدارة عصفورين بحجر واحد، منها التخلص من صداع انخفاض قيمته السوقية كلما مر الوقت من دون أن يوقع عقده الجديد، ومنها أيضا، إجبار الغول المدريدي على صرف النظر أو إرجاء فكرة استهداف غالاكتيكو العقد الجديد إلى أن تتحسن أوضاعه الاقتصادية بعد عامين أو ثلاثة، ويكون قادرا على تفعيل الشرط الجزائي في عقد اللاعب، أما إذا فشلت الخطة الباريسية، وظل الوضع كما هو عليه، فبنسبة كبيرة سيبقى مادة دسمة في عناوين الصحف، كما حدث في أواخر أبريل/ نيسان، بربط اسمه بليفربول، تحسبا لرحيل ساديو ماني أو محمد صلاح، ويُقال إن يورغن كلوب أقدم على خطوة جس نبض مبابي الوالد، كنوع من أنواع التهديد لريال مدريد، ردا على إغراء أسد التيرانغا، ومن يدري، قد يظهر طامع آخر أو أكثر بعد الريدز والريال كلما تضاعف الغموض حول مستقبل كيليان في باريس.

لماذا مبابي؟

لا يُخفى على أحد أن أرقام وإحصائيات هجوم ريال مدريد تراجعت لأكثر من النصف منذ بيع الدون كريستيانو رونالدو إلى يوفنتوس في صيف 2018، حتى المهاجم الصربي لوكا يوفيتش، الذي كلف الخزينة أكثر من 60 مليون يورو لضمه من آينتراخت فرانكفورت لم يُسجل سوى هدفين فقط من مشاركته في 24 مباراة في مختلف المسابقات، كذلك الرجل الأول كريم بنزيما، أثبت هو الآخر بشكل عملي أنه لا يستطع الحفاظ على مستواه في القمة لفترات طويلة، ناهيك عن ضعف إنتاجيته ويظهر ذلك في التزامه وتفانيه لمساعدة فريقه أو منتخب بلاده داخل المستطيل الأخضر. ثانيا، لما يمتلكه من موهبة وسرعة وغريزة الهداف القاتل، وغيرها من الأسلحة التي حُرم منها الميرينغي وزيزو بعد رونالدو، ويحتاج إليها بشدة، للتخلص من صداع عقم المهاجمين، الذين يعتبر «الحلقة الأضعف» في مشروعه الجديد، وربما السبب الرئيسي وراء الخلل

المناوشات بين مبابي ومدربه توشيل قد تعجل في رحيله

يأتي «فلتة» كل عقد أو عقدين من الزمن وربما أكثر، أولا لشخصيته داخل الملعب، كلاعب بعقلية ناضجة بأتم معنى الكلمة، ويظهر ذلك في التزامه وتفانيه لمساعدة فريقه أو منتخب بلاده داخل المستطيل الأخضر. ثانيا، لما يمتلكه من موهبة وسرعة وغريزة الهداف القاتل، وغيرها من الأسلحة التي حُرم منها الميرينغي وزيزو بعد رونالدو، ويحتاج إليها بشدة، للتخلص من صداع عقم المهاجمين، الذين يعتبر «الحلقة الأضعف» في مشروعه الجديد، وربما السبب الرئيسي وراء الخلل في فترة ما قبل توقف النشاط، بعد تحسن جُل نقاط الضعف، بما في ذلك ضعف حراسة المرمى، بتحسن مستوى الحارس تيبو كورتوا بطريقة فاقت كل التوقعات، ونفس الأمر بالنسبة لقلب الدفاع، بعودة جزء كبير من النسخة المعروفة عن القائد سيرخيو راموس وشريكه رافاييل فاران، بجانب التخلص من ثغرة العمق بين الدفاع والوسط، باكتشاف الموهوب الأوروغواني فيدريكو فالفيردي، الذي أعاد الاتزان إلى الوسط جنبا إلى جنب مع ابن قارته كاسيميرو، وبالتبعية حرر مهندس الوسط توني كروس من القيود الدفاعية التي كان يعاني منها في وجود لوكا موديتش، ما أسفر في النهاية عن تحسن أرقام الدفاع، باستقبال 19 هدفا في 27 مباراة، كأقوى خط دفاع في الليغا هذا الموسم، وهو أمر لم يحدث مع زيدان، حتى في أوج لحظات نجاحه في ولايته الأولى، حيث كانت أغلب مشاكله في الدفاع، وليس الهجوم، الذي كان مصدر «إلهام» الملكي في سنوات احتلال القارة العجوز، بالاحتفاظ بكأس دوري أبطال أوروبا ثلاث مرات على التوالي، بالإضافة إلى ستة ألقاب أخرى قارية ومحلية، وذلك في ولاية زيزو الأولى، التي كان بطلها الأول كريستيانو رونالدو، بأهدافه الحاسمة التي صنعت مجد المدرب في عامين ونصف العام.

زيدان نجح في استقطاب هازارد إلى الريال فهل ينجح مع مبابي؟

في الوقت ذاته، يبدو وكأن مبابي يدرك جيدا أنه ذاك المخلص، الذي يبحث عنه مثله الأعلى، باعتباره القطعة النادرة المفقودة التي يحتاجها زيدان لإعادة ريال مدريد للمنافسة على الألقاب المحلية والقارية كما كان الوضع في الفترة بين عامي 2016 و2018، دعك من صورته الشهيرة داخل غرفته في منزله القديم، وخلفه على الحائط عشرات الأغلفة لاحتفال رونالدو ونجوم ريال مدريد بالألقاب واللحظات الخالدة، وأيضا بما أشرنا إليه أعلاه، بتعمده إثارة اللغط حول مستقبله من حين لآخر، فهو نجح بطريقة أو بأخرى في الاستحواذ على قلوب مشجعي عملاق الليغا، تارة بالتعبير عن مشاعره اتجاه زيدان، ورغبته في العمل معه، وتارة أخرى، بمشاركة نجوم الريال في لحظاتهم الخاصة، كما شاركهم عبر «قصص» موقع «انستغرام» بعد الفوز على برشلونة 2–0 في الكلاسيكو الأخير، وعلى النقيض من ذلك، تؤكد العديد من المصادر، أن علاقته بالمدرب توخيل ليست على ما يرام، ومعروف أنه بعد إلغاء الموسم في فرنسا، تضاعفت فرص توخيل في البقاء أكثر من أي وقت مضى، تماما كما هو الحال بالنسبة لزيدان في «البيرنابيو»، ما قد يعجل برحيل مبابي هذا الصيف، أو الدخول في نفس الدائرة المغلقة إما بافتعال مشاكل جديدة مع المدرب أو بالاختلاف معه في وجهات النظر، بتكرار المشهد الاعتيادي بينهما خارج الخطوط، إلا إذا أثبت عكس مزاعم الصحافة الإسبانية، بإخماد هذه الشائعات، بتأمين مستقبله في «حديقة الأمراء» إلى ما بعد 2022، ليقطع الشك باليقين بشكل عملي، أما غير ذلك، فمعناه الوحيد أن عملية انتقاله إلى ريال مدريد ستكون مجرد مسألة وقت.

قواعد كرة القدم في عصر كورونا: من تجريم البصق إلى التعقيم والكمامات!

لاعبان من سالزبورغ النمساوي يستعدان لحصة تدريبية بالكمامات

لندن – «القدس العربي»:

كما يقول الرئيس الأمريكي دونالد ترمب في ظهوره الإعلامي اليومي لكشف آخر مستجدات جائحة كوفيد–19 في بلاد العم سام «بدأنا نرى النور في نهاية النفق»، أيضا كرة القدم في طريقها لرؤية شعاع الضوء، حتى بعد استسلام هولندا وفرنسا، بإعلان رسمي من الدوري الهولندي، بإلغاء الموسم الرياضي 2019–2020، وإرجاء ضربة بداية الموسم الجديد إلى سبتمبر/ أيلول المقبل، إذا تمت السيطرة على الوحش الخفي قبل ذاك الموعد.

مؤشرات التفاؤل

أكدت العديد من الصحف البريطانية، أن النية داخل رابطة البريميرليغ وأعرق اتحاد كرة قدم في العالم، تغيرت 180 درجة، بالتراجع عن فكرة إلغاء الموسم، واستكمال الجولات التسع المتبقية في البريميرليغ، وذلك سيحدث بالتعاون مع السلطات ووزارة الصحة والرعاية الاجتماعية البريطانية، وبخطة احترازية أقل ما يُقال عنها «صارمة»، لضمان أعلى معايير السلامة، حفاظا على صحة اللاعبين والأجهزة الفنية والموظفين في المقام الأول، ثم إنقاذ الأندية من شبح الإفلاس، بعد الخسائر الفادحة التي تكبدتها كسائر الأندية الأوروبية، منذ تجميد النشاط منتصف الشهر الماضي، بعد خروج الوباء عن السيطرة في بلدان الدوريات الخمسة الكبرى في أوروبا، بالتزامن مع ذروة انتشاره في جُل بقاع الأرض في الأسابيع الماضية.

كن مستعدا

اللافت أن الأمر لا يقتصر على إنكلترا، فقط بمجرد النظر على العناوين الرئيسية لصحف إسبانيا وألمانيا وإيطاليا، ستدرك من الوهلة الأولى أن عجلة الحياة في طريقها إلى العودة إلى ما كانت عليه قبل الجائحة العالمية، ولو بشكل مؤقت، ونفس الأمر ينطبق على اللعبة الشعبية الأولى في العالم، باستعداد الفرق في هذه البلدان للعودة إلى التدريبات الجماعية الشهر المقبل، تمهيدا لاستئناف الموسم مطلع يونيو/ حزيران، والسؤال الذي يفرض نفسه: هل ستعود المباريات وكرة القدم عموما بنفس الصورة التي كانت عليها قبل فترة التوقف الإجباري؟ بالنظر إلى أول من أجاب على هذا السؤال، سنجد أنه الرجل الأول في عالم الساحرة المستديرة جاني انفانتينو رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، باعتراف لا تشوبه شائبة وفي أكثر من مقابلة عبر «الفيديو كونفرانس»، عندما قال ان «كرة القدم لن تعود بسهولة إلى كما كانت عليه قبل تفشي الوباء التاجي».

ملاعب خاوية على عروشها

الشيء المؤكد بنسبة 100 %، أنه في أحسن الأحوال إذا استكمل الموسم مع بداية فصل الصيف، ستقام المباريات وراء أبواب مغلقة حتى إشعار آخر، أو بالأحرى إلى أن تعلن منظمة الصحة العالمية انتهاء الجائحة، بوضع كوفيد–19 تحت السيطرة، إما بواسطة ايجاد اللقاح أو باكتساب مناعة القطيع اللازمة لكبح جماح الفيروس إلى أن يطّور نفسه في موعد لا يعلمه إلا الخالق، وبحسب التوقعات وتجارب البشر مع هكذا أوبئة في العصور القديمة والحديثة، فإن الأمر سيستغرق فترة لن تقل بأي حال من الأحوال عن 12 شهرا، ما يعني أن عشاق كرة القدم، سيُحرمون من متعة مشاهدة المباريات في ملاعب مفتوحة، وبرؤية قلاع مثل «سانتياغو بيرنابيو» و«كامب نو» و«ويمبلي» و«أليانز أرينا»، وغيرها بنفس العراقة والشهرة «خاوية على عروشها»، وبلا افتات ولا آهات ولا مقاعد تتحرك ولا زلازل تضرب المدن احتفالا بالأهداف في عطلة نهاية الأسبوع أو سهرات منتصف الأسبوع الأوروبية الصاخبة ولا أي شيء من ملامح الحياة في المدرجات... وإلى متى؟ إلى نهاية الموسم المقبل.

قوانين جديدة

هل تعتقد عزيزي القارئ أن اللاعبين سيحصلون على الضوء الأخضر للعودة إلى المباريات الرسمية بهذه السهولة؟ كما أشرنا أعلاه هناك خطة وإجراءات في منتهى الصرامة، ينبغي على الجميع إتباعها لإنقاذ الموسم من دون الإضرار بصحة اللاعبين والمدربين والموظفين، ومن ضمن هذه التدابير الاحترازية، تقول صحيفة «دايلي ميرور» البريطانية، إن أندية البريميرليغ تناقش فكرة مجنونة، بإلزام اللاعبين في فندق مغلق لمدة ستة أسابيع، وهي الفترة المقترحة لضغط المباريات الـ92، بخوض جولة كل 48 ساعة، وبالطبع بدون جماهير، لكن بعد إجراء اختبارات الكشف عن فيروس كورونا على كل المحترفين سواء في البريميرليغ أو باقي الدوريات الأخرى، التي وضعت خطة مبدئية لاستئناف الموسم، وبعد أسبوعين، أي بعد التأكد من سلامة الجميع بنسبة 100 %، سيتم وضع جدول المباريات الجديد، وبتعليمات ومهام جديدة بالنسبة للاعبين، منها على سبيل المثال، الحرمان من رفاهية إيجاد ملابسه، سواء ملابس التدريبات أو المباريات الرسمية، جاهزة. نعم سيكون لاعب كرة القدم «المدلل» في زمن ما قبل كورونا، مجبرا على تدبير نفسه في المنزل، بإلزامه بالقدوم إلى التدريبات مرتديا إما ملابس التدريبات وإما ملابس المباراة الرسمية، وليس كما كان في السابق، حيث كان يأتي مرتديا أشهر وأغلى العلامات التجارية في العالم، ليجد ملابسه مرتبة وجاهزة ونظيفة ومكوية في غرفة خلع الملابس، بواسطة عمال النظافة.

تجريم البصق

بالإضافة إلى ذلك، لن يُسمح لهم بالاستحمام في قاعة التدريب أو في الملاعب قبل أو بعد كل مباراة، لتفادي نقل العدوى بقدر الإمكان، ولنفس السبب أيضا، وضعت وزارة العمل في ألمانيا حزمة من التوصيات بعد عودة النشاط، منها ارتداء اللاعبين لكمامات (أقنعة طبية)، تكون مخصصة للاعبين، بحيث لا تسقط عن وجههم أثناء الركض أو الارتقاء في حوارات الفضاء والالتحام المباشر في الكرات الثابتة، مع إمكانية استبدالها مرة أو مرتين كل شوط، كزيادة احتياط بعدما تتبلل من عرق اللاعبين، هذا بخلاف ضمان تعقيم كل متر داخل الأندية والملاعب، بما في ذلك كرات التدريب والمباريات، وبجانب ما سبق، سيتعين على لاعب كرة القدم، التحكم في رد فعله وسلوكه داخل المستطيل الأخضر، وذلك بالتوقف عن عادة البصق في أرضية الملعب، خوفا من انتشار العدوى بشكل مجاني، وإلا سيدفع الثمن بالحصول على بطاقة صفراء أو حمراء، وفقا لتصريحات رئيس اللجنة الصحية لدى الفيفا ميشيل دهوغ. وبموجب قواعد التباعد الاجتماعي، سيُحرم اللاعب من الاحتفال الجماعي مع زملائه بعد كل هدف، حتى لو كان هدفا يساوي بطولة، وأيضا سيعقل «بروتوكول» مصافحة اللاعبين بالأيدي قبل المباريات، وكذلك المدربين بعد إطلاق صافرة النهاية، حتى تقليد استبدال القمصان، سيبقى من الماضي الجميل إلى أن يخسر كورونا معركته مع العلماء وخبراء المعامل، ورغم أن هذه الأشياء ستؤثر على صخب وإثارة كرة القدم، لكن الأسطورة دييغو أرماندو مارادونا يعتقد أن عودة النشاط سيكون أشبه بـ«بمقابلة الحبيب»... فهل تتفق مع رأي أيقونة القرن الماضي؟ أم ستؤثر المتغيرات الجديدة على شغف المركولة المجنونة؟ دعونا ننتظر، وقبل أي شيء نتمنى السلامة للجميع قبل التفكير في عودة كل ما هو ترفيهي.

والجديد أن الفيفا سيتعاون مع الأندية واللاعبين، بالسماح للمدربين باستخدام خمسة تغييرات في المباراة الواحدة، وذلك بحسب صحيفة «ذا صن»، ليس فقط لتقليل احتمالات الإصابة بين اللاعبين، بل أيضا للحفاظ على لياقتهم البدنية، وسط «روزنامة» ستكون مضغوطة بالمباريات، بسبب ضغط الدوريات المحلية وبطولتي اليويفا «دوري أبطال أوروبا والدوري الأوروبي» في أسرع وقت ممكن، وفي خضم ذلك، لن يُسمح بحضور أكثر من 350 شخصا داخل الملعب، بمن فيهم رجال الأمن والمصورون والمسؤولون عن عدسات البث الحي، مع احتمالات تقليل أعداد الحاضرين من الجهاز الفني، حرصا على قواعد التباعد الاجتماعي على مقاعد البدلاء، بترك مقعد أو اثنين بين كل لاعب وآخر كما توصي منظمة الصحة العالمية، بترك مسافة لا تقل عن مترين لضمان أعلى مستوى للسلامة.

تعقيم شامل

من الاقتراحات الأخرى المدرجة في خطة عودة الحياة تدريجيا للعبة الشعبية الأولى في العالم، إقامة كل المباريات على ملعبين أو ثلاثة، بدون التوقف عن تعقيمها حتى أثناء سير المباراة، وهذا بهدف ترشيد أفراد الأمن والصحة المكلفين بتأمين المباريات ومراقبة الأندية ولاعبيها في إتباع إجراءات السلامة، بدلا من استنزاف أعداد أكبر من الجيش الأبيض في أوج لحظات الحرب على كوفيد–19، لكن السائد وفقا لأغلب الصحف البريطانية الشهيرة، سيلعب كل فريق على ملعبه،

بعد الملولي وجابر والجزيري

هل ما زالت تونس تصنع الأبطال في الرياضات الفردية؟

السباح اسامة الملولي رفع اسم تونس عالياً

تونس – «القدس العربي» من روعة قاسم:

تمكنت الرياضات الفردية في تونس في السنوات القليلة الماضية من صنع العديد من الأبطال العالميين في رياضات ليس للعرب والأفارقة فيها تقاليد، وفي رياضات أخرى لم يكن التألق فيها عزيزا على التونسيين وأشقائهم العرب والأفارقة.

ويرى البعض أن ذلك كان نتيجة لسياسات تم إقرارها سابقا، كان الهدف منها إعلاء راية تونس عاليا في المحافل الدولية وتلميع صورتها في عيون الآخرين. ومن بين الأبطال الأولمبيين والعالميين الذين أنجبتهم الخضراء في السنوات الأخيرة، قرش المتوسط أسامة الملولي في رياضة السباحة، وسارة بسباس في المبارزة بالسيف، وأنس جابر ومالك الجزيري في رياضة التنس، وحبيبة الغريبي في ألعاب القوى، وغيرهم في رياضات أخرى متعددة على غرار الملاكمة والجودو والمصارعة ورفع الأثقال والكاراتيه والتايكواندو. وقام هؤلاء بدورهم على الوجه الأكمل طيلة السنوات الماضية ورفعوا راية تونس عاليا أمام أمم كبرى لها باع في الإختصاصات التي ينتمون إليها، وكثير من هؤلاء الأبطال ما زال يتألق إلى هذا اليوم.

فكم من مرة، ارتفع العلم التونسي عاليا في بطولة العالم وفي الأولمبياد مع أسامة الملولي متقدما على رايات الولايات المتحدة وكندا وأستراليا وبريطانيا والصين وغيرها من الأمم التي لها باع في رياضة السباحة والتي آلت إليها البرونزيات والفضيات، فيما كان الذهب من نصيب الفتى التونسي. وكم من مرة أمتعت أنس جابر أحفاد شعب قرطاج العريقة التي اعتاد رياضيوها على التألق في الألعاب الأولمبية القديمة في أثينا في حقبة ما قبل ميلاد المسيح، بعروض استثنائية ضد مصنفات في المراتب الأولى عالميا في رياضة التنس للمحترفات وتفوقت عليهن وفازت بدورات مهمة شأنها شأن مواطنها مالك الجزيري.

إلا أن السؤال الذي يطرح اليوم ماذا بعد هذا الجيل من الأبطال الكبار؟ خاصة وأن المستقبل لا يبشر بخير في ظل التخبط الذي ميز عمل الحكومات التونسية في السنوات الأخيرة والتي قامت جميعها بتصريف الأعمال لا غير، من دون تخطيط أو برمجة للمستقبل. هل سيأفل نجم الخضراء في الرياضات الفردية وتختفي رايتها عن المحافل الدولية ويصبح الصعود على منصات التتويج عصيا على أبنائها في ظل هذا الواقع الجديد الذي تعيشه الرياضة التونسية؟ أم أن البنى التحتية التي أنشئت، من ملاعب وقاعات وميادين وغيرها، إضافة إلى عراقة الأندية الرياضية وتمرسها على التكوين الجيد للناشئين، كافيان لإنتاج المزيد من الأبطال رغم العشوائية في التسيير والتخبط الذي عاشته سلطة الإشراف في مجال الشباب والرياضة في السنوات الأخيرة؟

إن ما يبعث على التساؤل هو النتائج التي تتحقق من قبل الجيل الجديد من الرياضيين، والتي جاءت مخيبة للآمال في كثير من الرياضات الفردية وجعلت البعض يتندر ويسخر مما تم تحقيقه من نتائج. فمؤخرا شارك سباح تونسي من جيل ما بعد أسامة الملولي في بطولة العالم وحل في المرتبة الأخيرة، وهو ما جعل البعض يحمد الله من باب السخرية على أن السباح لم يفرق وعاد سالما إلى الديار، وهذا في حد ذاته إنجاز في ظل الإهمال الذي يتعرض له المنتمون إلى الرياضات الفردية.

في المقابل، يرى البعض أن الرياضة التونسية عموما ستبقى على الدوام منجما للأبطال في مختلف الإختصاصات بقطع النظر عن السلطة السياسية والحكومات وسلطة الإشراف ممثلة بوزارة الشباب والرياضة، لأن هناك تقاليد وعراقة وأندية مختصة ومدربين أكفاء اعتادوا على العمل في أصعب الظروف. ودليل هؤلاء هو ما تحقق في الرياضات الجماعية في السنوات الأخيرة، حيث حافظت هذه الرياضات على إشعاعها رغم الظروف الإستثنائية التي تمرّ بها البلاد ويتعلق الأمر أساسا بكرة القدم وكرة اليد والكرة الطائرة وكرة السلة.

لكن ما فات هؤلاء أن بعض الرياضات الفردية تتطلب عناية خاصة ونفقات كثيرة حتى يتجاوز البطل مرحلة الإشعاع العربي والإفريقي والمتوسطي نحو العالمية لمقارعة الكبار والتتويج أمامهم. فأسامة الملولي على سبيل المثال صرفت من أجله أموال طائلة، ورصدت له ميزانية استثنائية حتى تمكن من جعل الراية التونسية ترتفع فوق رايات أمم كبرى في كل مرة يفوز فيها قرش المتوسط بميدالية ذهبية في بطولة العالم أو في الأولمبياد.

وبالتالي لا يبدو أن الدولة التونسية على استعداد لإنفاق تلك المبالغ الطائلة مجددا في ظل الأزمة الإقتصادية التي تعيشها البلاد، وفي ظل غياب الإرادة أيضا للعناية بميادين الشباب والرياضة والذي تم التماسه في السنوات الأخيرة. وستبقى الصدفة والموهبة الإستثنائية وحدهما القادرين على ولادة بطل تونسي جديد على غرار العداء محمد القمودي الذي سطع نجمه في الستينات رغم ان العدو يختلف في كل الحالات عن السباحة والتنس والمبارزة بالسيف وغيرها من الرياضات التي ليس للعرب والأفارقة فيها تقاليد تذكر والتي تتطلب التخطيط والإنفاق بسخاء.

خلدون الشيخ

تاريخ حافل لليفربول في الحظ العاثر والكوارث!

كلما تمر الأيام تحت وطأة ورحمة فيروس كورونا، كلما يزداد خطر تجريد ليفربول من لقب الدوري الإنكليزي الممتاز، وهو الذي انتظر 30 عاماً للاقتراب من معانقته مجدداً، ليستمر الحظ العاثر في هذا النادي الشمالي، الذي شهد كوراث وأحداث مؤسفة في تاريخه لم تمر على أي ناد آخر.

حتى اليوم لم يتم الحسم في شأن استئناف موسم البريميرليغ، رغم اعلان النيات من الاندية العشرين على تكملة جولاته التسع المتبقية، والتي يحتاج منها ليفربول انتصارين كي يتوج بطلاً للمرة التاسعة عشرة، والأولى منذ 1990، على أمل أنه حتى مع اعلان الالغاء، ان يكون بنكهة فرنسية باعلان تتويج المتصدر بطلاً، مثلما حدث مع باريس سان جيرمان، وليس هولنديا، بالغاء الدوري بدون الاعلان عن بطل، أي شطب الموسم نهائياً.

جماهير ليفربول، عاشت كوارث عدة في تاريخها الحديث، أبرزها في 29 مايو/أيار 1985، عندما تأهل فريقها إلى المباراة النهائية لكأس أبطال أوروبا (دوري الأبطال حالياً)، وهو الذي سيطر ومواطنوه عليها في تلك الحقبة، حيث أحرزت الاندية الانكليزية 7 من آخر 8 نهائيات في هذه المسابقة، التي سبقت هذه المباراة النهائية، وكان نصيب ليفربول 4 منها، وكان يحمل اللقب حيث توجه إلى بروكسل، وتحديداً إلى استاد «هيسيل» للقاء يوفنتوس عملاق ايطاليا. في تلك الفترة كانت موجة «الهوليغانز» تزداد في الجزر البريطانية، وكان الشغب دائماً حاضراً اينما حل فريق انكليزي مع جماهيره. وقبل دقائق من انطلاق صافرة بداية المباراة، هاجت جماهير ليفربول مندفعة ومتحدية جماهير يوفنتوس، ما قاد إلى تحطم جدار الاستاد، والى مقتل 39 شخصا، غالبيتهم من مشجعي يوفنتوس، وجرح ما لا يقل عن 600 مشجع. ورغم تأخر انطلاق المباراة، الا انها أجريت وانتصر يوفنتوس في أجواء حزينة وكأبية بهدف ميشيل بلاتيني. هذه الحادثة اعتبرت «الأسوأ في تاريخ المسابقات الأوروبية»، وقادت إلى معاقبة ليفربول بايقافه عن المشاركة الأوروبية، قبل تخفيفها، وجر معه كل الأندية الانكليزية، التي حرمت لست سنوات من المشاركة في أي مسابقة أوروبية، بعدما خففت العقوبات عليهم.

لكن في خضم هذه الكارثة، وقبل انقضاء العقوبة على ليفربول، فان كارثة أخرى كانت حاضرة لجماهير الميرسيسايد، وتحديداً في 15 ابريل/ نيسان 1989، في الدور قبل النهائي لكأس الاتحاد الانكليزي، بين فريقهم الاحمر، ونوتنغهام فوريست، في الملعب الحايد «هيلزبره» التابع لنادي شيفيلد ويزنداي، حيث كان الاقبال على هذه المباراة كبيرا جدا لم تتحمله المدرجات، وأخفقت الشرطة المحلية والمنظمون في منع دخول الآلاف الزائدين على العدد المطلوب، ما قاد إلى تدافع رهيب، وهرس العشرات على السياج الفاصل بين المدرجات وأرضية الملعب، ولم يستوعب حينها الكثيرون ما يحدث، إلى أن انجلت الغيوم، ليتضح مقتل 96 مشجعاً لفريق ليفربول هرسا ودعسا، واصابة 766 مشجعا، لتعتبر أسوأ كارثة في تاريخ الملاعب الانكليزية.

هنا فقدت المدينة الشهية لكرة القدم بعد كارثتين فاجعتين في غضون 4 سنوات، وابتعد فريقاها ليفربول وايفرتون، عن المنافسات بشراسة على الألقاب، ولسنوات طويلة، والى اليوم مازالت التحقيقات والمحاكمات تعقد بشأن المتسبب في كارثة «هيلزبره»، ومازالت أكاليل الزهور توضع على مدخل النادي تخليدا لروح المشجعين الـ96.

مشجعو ليفربول دائماً يطلقون حنجراتهم يرددون كلمات نشيد النادي المفضل «لن تسير وحيداً أبدا»، وسيفعلون حتى لو أعلنت الحكومة البريطانية وبواعز من الهيئات الصحية وعبر رابطة دوري الدرجة الممتازة ان لقب 2019/ 2020 لن يكون من نصيب ليفربول، لعدم تكملة الموسم، لكن الجماهير احتفلت أصلاً باللقب في الشهور الماضية، مثلما يعلم العالم كله أن بطل الدوري الانكليزي هو ليفربول، وأن محمد صلاح اصبح أول لاعب مصري يحرز اللقب الكبير، وحتى منافسوه الـ19 في البريميرليغ يباركون له اللقب... لكن من يرتدي أحمر ليفربول يدرك ان مهما حرقتك الكوارث والهزات والتدافعات والشغب والحظ العاثر، ستبقى واقفا تسير... ولن تكون وحيداً.

@khaldounElcheik

مجتمع

رمضان في السودان: قرن من الزمان ما بين الابري والحلو مر

نهلة مجذوب

الحلو مر أو الابري، نكهة تتحدى الزمن على مائدة رمضان أو صينية الفطور السودانية، فهو المشروب الأساسي عليها منذ أكثر من 90 عاما أو ما يقارب قرن من الزمان. وحسب المؤرخين فقد صنعته الجدات المبتكرات واهتمت بتصنيعه السودانيات حتى يومنا في كل عام في البيوت وذلك من خلال طقوس قبل حلول شهر رمضان المعظم. وهو مشروب ينقع بالماء لساعات ويناسب الشهر الكريم والصيام، ويعمل من مواد بسيطة تشكل في مجملها حسب أطباء التغذية فائدة كبيرة لجسم الصائم، أهمها الشعور بالارتواء.

ولكن يأتي رمضان هذا العام ويصير هذا المشروب المتميز غائبا عن معظم الأسر، والكل داخل السودان وخارجه متعطش لهذا المذاق الفريد ولكنه يغيب لسببين، الأول لارتفاع تكلفة صنعه ونتيجة لسوء الأوضاع الاقتصادية والمعيشية التي أدت لزيادة وصلت الأسعار فيها لإضعاف ما كانت عليه العام الماضي ما لم يمكن كثير من الأسر من تجهيز الحلو مر. والثاني حلول جائحة كورونا حول العالم لما يقارب من الشهرين والتي قادت الناس لأخذ الكثير من التدابير والاحتياطات تجنبا للإصابة بالفيروس، بعدم الخروج وترك كل ما ليس مهما وعدم الاختلاط وغيره. هذا إلى جانب فرض الحظر في السودان على التنقل بين الولايات والحظر الكامل في العاصمة الخرطوم والذي حال دون وصول الحلو مر لمعظم سكانها من قبل أهلهم وأسرهم في الولايات المختلفة. وسكان العاصمة ينتظرون الحلو مر بفارغ الصبر من أقاربهم خارجها نسبة لغلاء تكلفة تصنيعه في الخرطوم واختلاف نمط الحياة فيها ما جعل النساء لا يفضلن عمله في المنازل، إذ أنه يحتاج براحا واسعا وأيدي عاملة عديدة ويشترط فيها حسب العادات والتقاليد السودانية لمة نساء، أي اجتماع النسوة في يوم عمله. وتسود تفاصيل عمله جلسات الشاي والقهوة وتقديم ما لذ وطاب للاتي يقمن بعملية التصنيع والتي تسمى العواسة، وذلك دون مقابل مادي.

غير أن الحال تغير في طقوس عواسة النساء للحلو مر رغم أنهن ما زلن يتمسكن بتواجده على المائدة الرمضانية كمشروب مهم لا يحل مكانه أي عصير آخر مهما كان.

وتقول نعمات محمد بائعة الابري في سوق ود نباوي الشهير في أم درمان لـ«القدس العربي» إن «رمضان هذا العام يمر دون طعم الأعوام الماضية حزينا، بحد قولها، مبينة إنها حاولت بقدر الإمكان ورغم تدهور الأحوال الاقتصادية في البلاد وزيادة أسعار حبوب الذرة والتوابل والبهارات بجانب أزمة الوقود وعدم توفر غاز الطهي، أن تقوم بعمل الحلو مر لزبائنها الذين اعتادوا على تذوقه من صنيعها داخل وخارج البلاد منذ 35 عاما. وتضيف إن لديها كمية من الحلو مر تأتي بها صباحا أثناء ساعات فك الحظر المسموح بها للسوق، وجراء الخوف من كورونا وبقاء الناس في منازلهم تقل نسبة الطلب كثيرا هذا العام، مبينة أن سعر الجردل الذي فيه 12 لفافة وصل هذا العام 800 جنيه وهو مبلغ كبير جدا يصعب توفره لشراء الحلو مر فقط.

البهارات والتوابل

وفي السياق ذاته تقول ريا الأمين المتخصصة في صناعة الابري لـ«القدس العربي» إنها لأكثر من ثلاثين عاما تحرص على عمل الحلو مر في منزلها في منطقة قري شمالي الخرطوم بمعاونة بناتها وجاراتها خاصة أن لديها حلو مر من نوع مرغوب في أوساط معارفها. وتوضح «أقوم بجلب أي نوع من حبوب الذرة الجيدة وأقوم بغسلها ووضعها في جوالات خيش في عملية تسمى الزريعة، إلى أن تنبت وتزهر لثلاثة أيام أو أزيد في مكان مظلم بعيدا عن أشعة الشمس ومن ثم تجفيفها وطحنها». وتضيف «بعدها مباشرة أقوم بجلب أنواع من البهارات والتوابل المسحونة ذات النكهة الطيبة والمذاق الشهي كالكسبرة والجنزبيل والقرنجال والحلبة مضافة إليها القليل من المنتجات السودانية المغذية والصحية كالكركدي والعرديب. بجانب قليل من التمر لتخفيف حموضة هذه المواد وإعطاء المشروب لونا داكنا وطعما لذيذا».

وتضيف أن عملية خلط هذه المواد مع الدقيق تسمى الكوجيين، وهي تحتاج لنساء خبيرات لتذويب المواد مع بعضها حتى تصبح عجينة متماسكة تترك لساعات ومن ثم تحضر الصاجات وهي التي عليها تصنع رقائق الحلو مر وتعرف بالعواسة، وعلى نار ملتهبة يعجن الابري ويلف ساخنا في شكل قطعة مربعة أو مستطيلة ويترك ليجف يوما أو أكثر، ويحضر مشروبه وهو جاف» وتوضح ريا إنه «في السابق كنا نرى فرقا طفيفا في صنع الابري والحلو مر، رغم أن الإثنين هما شيء واحد وفي الغالب الفرق هو في طريقة شكل (الطرقة) أي اللفافة». وقالت إن الحلو مر دائما يعطي مذاقا حلوا ومرا في آن واحد نسبة للمواد التي تدخل في تكوينه، لذا يضاف إليه قليل من السكر لمن يرغب. وأضافت أنه مشروب ورثناه من جداتنا وأثبتت لنا التجارب أن تناوله يحدث شعورا بالراحة للمعدة أثناء الفطور، والشبع إذا تناول في السحور، وليست له أي أضرار إلا إذا كانت البهارات المضافة إليه كثيرة ومبالغ فيها .

الوليد بابكر يقول إنه لا يتوقع أن يصوم رمضان دون الحلو مر، أما مي مجذوب فتوضح إن كرتونة حلو مر أرسلت لها من أهلها في الجزيرة ولكن لن تصلها قريبا، وهي ترى أن شيئا ما يغيب في رمضان هذا العام.

لم يغب الحلو مر أو الابري هذه السنة على مي وغيرها فقط، فقد غاب عن السودانيين في الخارج بسبب جائحة كورونا التي أغلقت المطارات مع دول الجوار والعالم كله، وكان السودانيون في الخليج وأوروبا وحتى أمريكا ينتظرون بشغف كبير طرد رمضان من أهلهم في السودان يأتي محملا بأهم شيء هو مشروب الحلو مر. وفي ظل سوء الأوضاع الاقتصادية يبدو الحلو مر عصيا على المائدة الرمضانية السودانية، وتغيب عنها أيضا بسبب كورونا، ولكن هذا المشروب العريق سيظل صامدا في وجه كل المتغيرات والظروف.

أطباق رمضانية

المندي

المكوّنات

دجاجة مغسولة ومقطعة نصفين
كوبان أرز
معلقتان بهارات كبسة
كوب زيت
بصلة مقطعة
نصف رأس ثوم مفروم ناعم
فلفل ألوان مقطع
قرفة وورق غار
معلقة فلفل أسود
ملح حسب الرغبة
ماء لسلق الدجاج
مكسرات حسب الرغبة

طريقة التحضير

نضع الزيت والبصل والفلفل الملون والثوم في مقلاة ونشوحه الخليط حتى يشقر بعض الشيء.

نضيف الدجاج إلى المقلاة ونشوحه مع الخضار ونتركه لمدة قصيرة حتى يأخذ نكهة البصل والثوم ثم نضيف البهارات وكمية ماء مناسبة للسلق.

نرفع الدجاج وندهن وجهة بزبدة مذابة مع رشة ملح وفلفل وقليل من الزعفران وقالب ماجي.

نضع الدجاج في الفرن وفي الأثناء نطبخ الأرز بشوربة الدجاج مع الخضار.

في صحن واسع نسكب الأرز ثم نرتب الدجاج المشوي فوقه ونزينه بالمكسرات.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

الصيام في وقت جائحة كورونا

قال البروفيسور د. فاروق يورولماز رئيس قسم الصحة العامة بكلية الطب جامعة تراقيا في تركيا، إنه يجب الاهتمام بتناول الخضروات واللحوم في شهر رمضان بطريقة صحية في ظل انتشار وباء كوفيد–19. وشدد على ضرورة تجنب الزحام على مائدة الإفطار للحد من احتمال انتشار العدوى.

وشدد البروفيسور يورولماز على ضرورة الاهتمام بالتغذية الصحية والنوم الكافي، والتمارين الرياضية، وممارسة الأنشطة المختلفة خلال أوقات الفراغ.

وأوضح أنه يجب أداء عبادة الصيام بشكل لا يضر الصحة وأن شهر رمضان يختلف هذا العام عن الأعوام السابقة بسبب تفشي وباء كورونا.

وأضاف أنه يجب على من يعانون من أمراض مزمنة ومن لا يمكنهم الصيام إتباع توجيهات الأطباء بكل دقة وعدم الإصرار على الصيام رغم تحذيرات الأطباء.

وتابع «على من أصيب بالفيروس، أو من يعاني من أعراض مشابهه لأعراض كورونا، والمصابين بأمراض تنفسية أو أمراض مزمنة، أو من يتناولون أدوية بصورة منتظمة، وأصحاب المناعة الضعيفة، والحوامل والمرضعات ألا يصوموا في رمضان ما لم يسمح لهم الأطباء بالصيام».

وحول الأمور التي يجب على الأشخاص الأصحاء الراغبين في الصيام مراعاتها قال إنه يجب الامتناع عن ارتياد المخابز ومتاجر الأغذية في أوقات الذروة خاصة في اللحظات التي تسبق الإفطار مباشرة.

وزاد أنه يفضل شراء الخضروات والفواكه الطازجة والحليب اليومي والأغذية الطبيعية غير المعلبة.

وحذر من خطورة نقص الماء والمعادن في الجسم بسبب ارتفاع درجات الحرارة أو ظروف العمل. وأوصى بتناول كميات كافية من المياه والأطعمة التي تحتوي على قدر كبير من الماء على وجبتي الإفطار والسحور، وتجنب التمارين الرياضية التي يمكن أن تؤدي إلى فقدان الجسم للماء.

وأوضح أن تناول الطعام بطريقة سريعة وبكميات كبيرة خلال الإفطار، يشكل ضررا على الصحة.

وكرر ضرورة البدء باحتساء الشوربة، وتجنب تناول الأطعمة الدسمة التي تحتوي على كميات كبيرة من الملح، والمعجنات.

وحذر من، المخبوزات التي تحتوي على كميات كبيرة من السكريات، والمشروبات الغازية، والأغذية المصنعة.

وشدد يورولماز على الاستيقاظ لتناول وجبة السحور والحرص على تناول اللحوم والبيض والبقوليات التي تحتوي على البروتين والتي يمكنها إمداد الجسم بالطاقة اللازمة طوال فترة الصيام.

وأكد على ضرورة شرب نحو لترين ونصف من الماء والسوائل خلال الفترة الممتدة من الإفطار إلى السحور.

وحذر من الإفراط في التدخين عقب الإفطار لأنه يجعل الرئة أقل مقاومة وأكثر عرضة للإصابة بالفيروس. (الأناضول)

امساكية شهر رمضان

المدينة	الفجر	الشروق	الظهر	العصر	المغرب	العشاء
مكة	4.27	5.45	12.19	15.40	18.49	20.03
المدينة	4.21	5.42	12.20	15.47	18.54	20.10
فلسطين	3.20	4.49	11.38	15.17	18.23	19.46
أبوظبي	4.22	5.43	12.21	15.48	18.55	20.11
المنامة	3.33	4.56	11.36	15.06	18.13	19.30
الجزائر	4.12	5.49	12.46	16.33	19.40	21.11
الخرطوم	5.07	6.22	12.49	15.56	19.11	20.21
الكويت	3.36	5.01	11.47	15.22	18.28	19.49
الرباط	4.01	5.33	12.26	16.09	19.15	20.41
الرياض	3.52	5.13	11.52	15.19	18.26	19.42
الدوحة	3.32	4.53	11.33	15.01	18.08	19.24
القاهرة	3.41	5.07	11.54	15.30	18.36	19.57
بيروت	3.12	4.44	11.37	15.19	18.25	19.52
بغداد	3.38	5.09	12.01	15.43	18.49	20.14
تونس	3.43	5.20	12.18	16.05	19.12	20.43
جيبوتي	4.31	5.45	12.06	15.19	18.24	19.32
دمشق	3.10	4.41	11.33	15.16	18.22	19.47
دبي	4.18	5.39	12.18	15.46	18.53	20.09
صنعاء	4.21	5.36	12.02	15.10	18.24	19.34
طرابلس	3.44	5.15	12.06	15.47	18.53	20.18
عمان	4.16	5.45	12.35	16.15	19.20	20.44
مسقط	4.08	5.28	12.05	15.30	18.38	19.53
مقديشيو	4.36	5.47	11.57	15.18	18.04	19.10
نواكشوط	5.17	6.33	13.03	16.16	19.28	20.40
انقرة	3.00	4.43	11.47	15.38	18.47	20.24
طهران	3.32	5.07	12.03	15.48	18.55	20.24
اثينا	3.44	5.24	12.24	16.12	19.20	20.53
برلين	2.38	4.27	12.05	16.10	19.39	21.20
بروكسل	3.18	5.09	12.41	16.45	20.09	21.53
باريس	3.30	5.23	12.49	16.51	20.11	21.57
جنيف	3.19	5.15	12.34	16.32	19.49	21.37
روما	3.12	5.00	12.09	16.02	19.13	20.54
سراييفو	2.38	4.32	11.45	15.41	18.54	20.40
ستوكهولم	2.03	3.39	11.46	15.59	19.49	21.20
كوبنهاغن	2.35	4.19	12.08	16.17	19.54	21.31
لندن	2.34	4.25	11.59	16.03	19.29	21.12
مدريد	4.24	6.08	13.13	17.05	20.15	21.52
نيقوسيا	3.16	4.50	11.45	15.30	18.36	20.04
واشنطن	3.24	5.05	12.07	15.56	19.05	20.39
أوتاوا	2.47	4.45	12.01	15.59	19.14	21.03

* تقويم المركز الاسلامي في آخن - المانيا. ** يرجى مراعاة التوقيت الصيفي.

جديد الطب

اللقاح المضاد لكورونا: أكثر من 100 مشروع و10 قيد التجربة

هناك حوالي مئة مشروع لقاح مضاد لوباء كوفيد–19 بينها نحو عشرة في مرحلة التجارب السريرية حسب بيانات مدرسة لندن لحفظ الصحة وطب المناطق الحارة.

وقد أحصت هذه الكلية المعروفة في مجال الطب بريطانيا، حوالي 120 مشروعاً مختلفاً للقاحات ضد المرض الناجم عن فيروس كورونا المستجد بينها 110 في مرحلة التطوير «ما قبل السريرية». وصلت ثمانية مشاريع إلى المرحلة الأولى من التجارب السريرية على البشر، بينها مشروع صيني تطوره خصوصا شركة «كانسينو» المدرجة في هونغ كونغ وقد وصل إلى مرحلة أكثر تقدماً مع تجارب سريرية في المرحلتين الأولى والثانية.

والهدف الرئيسي لتجارب المرحلة الأولى هو اختبار سلامة المنتج الطبي وبدرجة أقل فاعليته. أما تجارب المرحلة الثانية ثم الثالثة والتي تجري على نطاق أوسع فهي تهدف خصوصاً إلى تقييم فاعلية اللقاح قبل أن تسمح السلطات الصحية بإنزاله إلى الأسواق.

وهناك ثلاثة مشاريع صينية أخرى في المرحلة الأولى من التجربة؛ أحدها تطوره شركة الأدوية العملاقة سينوفاك واثنان يقوم بهما معهد شينزين الطبي حسب معلومات مدرسة لندن لحفظ الصحة وطب المناطق الحارة.

وهناك أيضاً مشروع بريطاني تجريه جامعة أوكسفورد وآخر ألماني يقوم به مختبر بيون–تيك ولا يزالان في المرحلة الأولى، وقد أعلنت السلطات الألمانية أن مرحلة الاختبارات السريرية لمشروع مختبر بيون–تيك ستبدأ قريبا.

كما هناك مشروعان في الولايات المتحدة للقاح في المرحلة الأولى من التجارب؛ أحدهما تقوم به شركة التكنولوجيا الحيوية «موديرنا» بالتعاون مع المعاهد الوطنية للصحة الأميركية والآخر تجريه شركة «إينوفيو للصيدلة».

ويعد تطوير لقاحات فعالة وآمنة نقطة رئيسية في المعركة ضد وباء كوفيد–19 الذي تسبب بوفاة أكثر من 210 آلاف شخص في العالم. وفي ظل غياب علاجات مثبتة للأشكال الشديدة من هذا المرض، فإن اللقاحات التي تجري على نطاق واسع وحدها قد تتيح المناعة في مواجهة المرض ووقف انتقال الفيروس.

وتكمن المشكلة الأساسية في البطء النسبي لتطوير لقاحات، وإنتاجها على نطاق واسع والقيام بحملات تلقيح واسعة.

وكانت المنظمات الصحية مثل منظمة الصحة العالمية وأكبر مختبرات الصيدلة تحدثت عن مهلة 12 إلى 18 شهراً كحد أدنى يكون اللقاح بعدها متاحاً للاستخدام.

ويعتبر بعض الخبراء مثل الأخصائية البريطانية في اللقاحات ساره جيلبرت الأستاذة في جامعة اوكسفورد أو فريديريك تانغي المتخصص في اللقاحات في معهد باستور (الذي يعمل على ثلاثة مشاريع مختلفة) أنه من الممكن التوصل إلى لقاح بحلول نهاية 2020.

كيف يمكن حماية مرضى الربو من العدوى بفيروس كورونا؟

تونس ـ «القدس العربي»:

أثبت فيروس كورونا أن لا أحد ولا مكان في هذا العالم بمنأى عن هذا الخطر الداهم الذي حوّل الكرة الأرضية برمتها إلى قرية معزولة وجعل كبرى الدول تقف عاجزة أمام خطورة وسرعة تفشيه. وتتسابق كبرى شركات ومخابر الأدوية في العالم إلى إنتاج اللقاح المناسب بالتزامن مع تسريع اكتشافات الكشف عن هذا الفيروس الغامض الذي بات ينتقل من أشخاص يحملونه قبل أن تظهر عليهم أي أعراض أو بدون أن تظهر عليهم أي أعراض للإصابة به على الإطلاق.

وكشفت عديد التقارير بأن مناعة الإنسان هي الفيصل الأساسي في محاربة هذا العدو الخفي. ولعل التساؤل الأهم الذي يؤرق شرائح عديدة هو مدى زيادة خطورة العدوى بهذا الفيروس لدى مرضى الربو مقارنة بالأشخاص العاديين وما هي أساليب الوقاية الإضافية؟

زيادة الخطورة

يرى د. عبد العزيز مثلوثي، الأخصائي التونسي في أمراض الجهاز التنفسي، في حديثه لـ «القدس العربي» أن مخاوف مرضى الربو والأطباء المباشرين لهم من حدوث أي عدوى بفيروس كورونا مشروعة ومفهومة نظرا لعديد النقاط والعوامل لعل أهمها أن نسبة مرضى الربو عبر العالم ليست بالهينة وتتراوح من 7 إلى 10 في المئة من بلد إلى آخر. موضحا بأن مرض الربو في حالاته القوية والخارجة عن التحكم يضعف المناعة ويضعف دفاعات الجهاز التنفسي في مواجهة الالتهابات والاحتقانات. مشيرا إلى أن الفيروسات بجميع أنواعها تستطيع أن تحدث تشنج الربو وتزيد في حدة أعراضه وعلاماته.

وأوضح أن علاج الربو يرتكز في أغلب الحالات على أدوية موضعية مثل البخاخ وتحتوي في معظمها على مادة الكورتيزون ومادة الكورتيزون معروفة بأنها تضعف مناعة الإنسان عندما تؤخذ خارج المنزل، يجب على مريض الربو أن يضع الكمامة الواقية وعدم لمس أي شيء. إضافة إلى غسل اليدين بالصابون عدة مرات وعدم لمس الوجه إذا كانت الأيدي غير معقمة.

وعن النظام الغذائي الأمثل لمرضى الربو أجاب: «ليس هناك غذاء معينا، لكن المفروض أن يكون الغذاء متوازنا وأن يمتنع مريض الربو عن التدخين وعن كل ما من شأنه أن يضر بالعدة كالمأكولات الحارة، وأن يتناول عصائر توفر له الفيتامينات وخاصة الفيتامين ج مثل تناول عصير البرتقال أو حبة فيتامين «ج» بعد فطور الصباح. كذلك يجب أن يتجنب المريض كل ما من شأنه أن يساهم في تهيج الربو مثل الاستعمال المفرط في المواد المطهرة الكيميائية، والابتعاد عن الغبار، والمجاري الهوائية. وشدد على ضرورة الانتباه لكل العوارض والعلامات التي تظهر وإعارة الأهمية لكل عارض غير معتاد. إذ أن مريض الربو عادة ما يتعرف على علامات تهيج الربو الذي يلازمه منذ فترة ويجب أن ينتبه لكل علامة جديدة وغير معهودة ويمتنع عن تناول أي دواء إضافي قبل استشارة طبيبه المباشر.

وحول أهمية استمرار التواصل والتشاور مع الطبيب المباشر أوضح محدثنا: «أدعو الأخوة الأطباء إلى مزيد من الرأفة بالمرضى ومدهم بكل روابط الاتصال بهم (رقم الهاتف، شبكات التواصل الاجتماعي، العنوان الالكتروني...) وعدم التباطؤ في الرد عليهم».

ويشير مثلوثي إلى أنه حسب ما اتضح من الدراسات والملاحظات الأولية منذ ظهور وباء فيروس كورونا المستجد، فإن نسبة الوفيات من بين المصابين بالربو لا تفوق بشكل واضح النسبة العامة للوفيات. وتبقى أقل من نسبة الوفيات عند الحاملين لأمراض مزمنة أخرى والمصابين بفيروس كورونا مثل السكري غير المنتظم، التهاب القصبات الهوائية المزمن، وقصور القلب وغيره.

وحسب محدثنا فإن انتشار فيروس كورونا في هذه الفترة أي في فصل الربيع يتزامن مع ازدياد حالات الحساسية والربو المتأتية من لقاح الزهور، وهناك أعراض وعلامات مشتركة مع كورونا كالسعال الجاف، وضيق التنفس، والعطاس والرشح، ما يحدث نوعا من الخلط وشيئا من الهلع عند مرضى الربو وحتى لدى الأطباء المشرفين عليهم.

كيفية الوقاية

أما عن النصائح التي يقدمها الأخصائي التونسي لمرضى الربو للوقاية من فيروس كورونا وأساليب الوقاية الإضافية التي يجب ان يلتزم بها مرضى الربو فيوضح بالقول: «يجب على مريض الربو أن يتبع النصائح ويتخذ كل الإجراءات الوقائية المعمول بها لعامة الأشخاص. وكذلك عدم التوقف عن العلاج حتى وأن كان الربو متحكما فيه وأي تغيير في طريقة العلاج يجب ان تكون بأستشارة الطبيب المباشر. فعندما يكون الربو مستقرا تكون دفاعات الجهاز التنفسي على ما يرام لمجابهة أي طارئ أو أي التهاب ناجم عن الفيروس. وكما أشرنا في السابق فان الكورتيزون الموضعي لا يخل بتوازن دفاعات الجهاز التنفسي أو بجهاز المناعة».

وشدد مثلوثي على ضرورة التوقف عن العمل والتقيد التام بالحجر الصحي عندما يكون الربو غير متحكم فيه أو حالات الربو التي تعالج بحبوب أو أبر الكورتيزون وعند خروج الشخص من المنزل لأي سبب ومهما كانت المسافة

منوعات

بعد تزايد العنف ضد النساء بنسبة 30 في المئة جمعية «أبعاد» «حجر مش حجز»

جيهان إسعيد: وجود المعنِّف الدائم في المنزل يزيد العنف والضحية تفقد فرصة التواصل مع الخارج

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

هو منطق القوة الجسدية يتحكم في النساء في شتى الحالات الإنفعالية للأزواج العاجزين عن ضبط ردات أفعالهم. في الحروب، وفي التعثر الاقتصادي، وكذلك في حالات انتشار الأوبئة، ولا ضرورة للمزيد من العناوين المساهمة في رفع درجة التوتر لدى بعض البشر. في زمن كورونا الذي يترصد الناس على أقل تهاون في الدراية منه ليقبض على حناجرهم من الداخل، كان إلتزام الحجر المنزلي ضرورة قصوى ولا خيار آخر. تواجه الأزواج والزوجات لساعات، تنافروا أو اختلفوا على رأي، أو ضاقت بهم سبل العيش لقلة ذات اليد، أو أو أو، ألف سبب وسبب. فوقع المحظور ووجد العنف نفسه محجوراً جنباً إلى جنب مع النساء، فصار لاحقاً حجزاً بغيضاً وموجعاً.

في لبنان وكما في سائر أنحاء العالم ارتفع الصوت منبهاً إلى ارتفاع منسوب العنف ضد النساء، وكذلك القتل. جيهان إسعيد مديرة الدار الأمن للنساء والفتيات الناجيات من العنف في جمعية أبعاد ردت على أسئلة «القدس العربي» حول الموضوع:

○ لفتتني نشاطكم في زمن الحجر المنزلي دفاعاً عن النساء المعنفات ودعوتكم للوقوف على الشرفات وتدوين رقم الهاتف الساخن وأننا في حجر وليس حجز. هل ظاهرة العنف كبيرة؟

● تضيء الأمم المتحدة دائما على أوضاع النساء والأطفال في ظل النزاعات المسلحة والكوارث الطبيعية كونهن الحلقة الأضعف، للأسف وصول النساء للخدمات والحماية غير متوفر، كما أن حقوقهن غير مصانة. وواضح على صعيد العالم ارتفاع العنف ضد النساء خلال النزاعات المسلحة، والخطر المحدق بهن إلى جانب أطفالهن سواء عبر الإتجار والاستغلال والعنف المنزلي، كذلك هو الأمر خلال الكوارث الطبيعية وانتشار الأوبئة. والتقرير الأخير لمنظمة الصحة العالمية تحدث عن رصد لحالات مرتفعة من العنف ضد النساء في مختلف دول العالم، في ظل فيروس كورونا.

○ وماذا عن رصد حالات العنف المسجلة في لبنان تحديداً؟

● من المعروف أننا في لبنان نفتقد لمصدر موحد للإحصاء. والمؤكد هو ارتفاع في نسبة الاتصالات على الخط الآمن الذي تديره قوى الأمن الداخلي 1445. وهذه الاتصالات تضمنت تبليغاً عن حالات عنف، وكذلك طلب الحماية. وهناك اتصالات مباشرة مع الجمعيات الأهلية العاملة على مساعدة النساء في حالات العنف. كذلك صدرت عدة تقارير في صحف محلية وعالمية ذُكرت فيها أسماء جميعات كما «أبعاد» و«التجمع النسائي الديمقراطي اللبناني» وغيرهما. نحن في جمعية «أبعاد» تلقينا خلال الحجر المنزلي أكثر من 155 اتصالا على الخط الآمن المخصص لطلبات الحماية والاستشارة القانونية والدعم النفسي الإجتماعي.

○ وماذا عن انتماءات المتصلات الاجتماعية والثقافية؟

● في هذه المرحلة نجتهد في تقديم الخدمة والاستجابة السريعة، من دون الغوص في تحليل الحالات وإلى أي من الفئات تنتمي. إنما وبشكل عام هنّ ينتمين إلى مختلف الجنسيات والفئات والمناطق. وما ترصده الجمعيات ونحن من بينها أكد ارتفاعاً ظاهراً في عدد الاتصالات على الخط الآمن الخاص بكل منا. وكذلك حال المنظمات العاملة ضمن حقوق الإنسان والمرأة والطفل تحديداً. ومن المعروف أنه وبنتيجة الحجر المنزلي وتواجد المُعنِّف في المنزل من المحتمل جداً تعرّض عدد كبير من النساء للعنف، مع انعدام امكانية التواصل لطلب الحماية في وجوده. وهذا ما تمكنا من رصده بطريقة غير مباشرة. إضافة للخط الآمن لدينا خدمة الواتس آب، ونرصد من خلالها الرسائل المكتوبة التي تحكي الناس فيها عن العنف الواقع عليهن وأنواعه، ويقلن صراحة بأن امكانات التواصل مع الخارج معدومة، إنما يسألن عن الوسيلة التي تمكنهن من إدارة وضعيتهن في ظل العجز عن أي فعل. ويقولن بإن فقدان ربطة الخبز في المنزل يؤدي إلى عنف.

○ وفي هذا الواقع الصعب ما هي سبل المساعدة؟

● بالتوافق مع المُتصلة القادرة على التواصل الهاتفي تعمل الأخصائيات الاجتماعيات على مدها بالدعم النفسي الاجتماعي ما يخفف من التعب الذي تعيشه. ولأن مراكزنا كافة مقفلة فالمقابلات وجهاً لوجه غير متاحة، بل نكتفي بالخدمة الهاتفية أو عبر واتس آب وكذلك فيسبوك. وفي حالات الطوارئ والخطورة المحدقة بحياة المرأة، وفي الحالات الاستثنائية جداً جداً، وحين تقرر ترك المنزل، نستقبلها رغم وجود الحجر. وهذا يتم بعد اتخاذ الإجراءات الطبية الضرورية كافة، وتخصيص مكان للحجر وذلك حرصاً على أمن وسلامة فريق العمل الذي سيكون على تواصل مع النساء، وأمن وسلامة وصحة الموجودات أساساً في الدار. وبعد التأكد من السلامة الصحية لتلك السيدة يسمح لها بالانضمام إلى المجموعة الأكبر.

○ هل من إحصاء تقريبي لحالات العنف ضد النساء في هذه المرحلة؟

● رصدنا في «أبعاد» زيادة العنف بنسبة 30 في المئة. ولهذا السبب رفعنا الصوت كجمعية، ونشرنا الرقم الجديد للتواصل معنا مرفق برسالة تقول «حجر مش حجز» وضعت على قماش أبيض كي يصل للنساء المعنفات. فبدون شك ثمة عدد كبير من النساء يجهلن وجود من يقف إلى جانبهن ويقدم لهن الدعم. كذلك رصد «التجمع النسائي الديمقراطي اللبناني» زيادة بنسبة 40 في المئة عن الأشهر الماضية. وذكرت جمعية «كفى» أن زيادة العنف بلغت 20 في المئة.

○ هل يمكن القول إن الخط الساخن الخاص بقوى الأمن الداخلي فعّال؟

● بكل تأكيد وهم يتلقون اتصالات أو تبليغاً من نساء معنفات، ومن جيران يسمعون العنف فيبلغون به.

○ وماذا عن قضايا قتل النساء التي ترافقت مع الحجر المنزلي؟

● علمنا في أكثر من جريمة قتل للنساء، منها في ثلاث حالات قتل في البقاع، إحداها لسيدة وجدت مرمية إلى جانب الطريق وقد نهشت الحيوانات جسدها. وأخرى لمُطلقة انتحل طليقها شخصية امرأة وجاءها إلى منزلها وقتلها بعدة طعنات سكين. وأخرى لسيدة عادت إلى لبنان مع المغتربين من ألمانيا وبوصولها إلى منزلها لوضع نفسها في الحجر المنزلي فعاجلها زوجها بالضرب المبرح مما استدعى دخولها إلى المستشفى. ونذكر أيضاً الطفلة التي ضربها والدها حتى الموت في طرابلس. وهذا يؤكد أن النساء في منازلهن محجورات ومحجوزات الحرية ويتلقين أنواعاً شتى من العنف. ومن الواضح أن ارتفاع وتيرة العنف له صلة بالظروف الاقتصادية وغيرها من الضغوط. ومن المعروف أن الشخص المُعنِّف لا قدرة له للسيطرة على انفعالاته وردّات فعله. ولهذا فوجوده الدائم في المنزل وعلى احتكاك المتواصل مع ضحيته يزيد من وتيرة العنف.

○ كم عدد النساء اللواتي لجأن إلى الدار في هذه المرحلة؟

● استقبلنا حتى الآن أكثر من خمس عائلات. وأكرر بأننا نلتزم الحذر الصحي ونضع ذاتنا بمواجهة الخطر، وللأسف ثمة فحوصات كانت سلبية وصارت لاحقاً ايجابية.

○ وهل من رجال أبلغوا عن تعنيفهم من قبل زوجاتهم في ظل الحجر؟

● السؤال وجيه. ففي جمعية «أبعاد» مركز خاص بالرجال، حيث نعمل مع المُعنِّفين ومع من هم ضحية للعنف. استوضحت الزميلة المسؤولة عن هذا المركز عن عدد الرجال الذين لجؤوا إلى الدار أو تواصلوا مع المركز عبر الخط الآمن نتيجة تعرضهم لعنف أو ضغوط، فكانت النتيجة صفر. إنما عدد لا بأس به من الرجال يلجؤون للمركز طلباً للمشورة لأنهم يعيشون ضغوطا كبيرة، يطلبون الدعم في كيفية إدارة انفعالاتهم والمصاعب التي يمرون بها. وعدد هؤلاء الرجال إلى إزدياد. وكذلك يزداد عدد الرجال الذين يطلبون الاستشارة من الأخصائيين النفسيين للتمكن من إدارة ردّات أفعالهم، أو الضغوط التي يمرون بها، وليس بالضرورة أن يكونوا معنّفين. وكافة هذه الاستشارات تتم عبر الهاتف نظراً للأوضاع المستجدة صحياً.

○ وكيف تتواصلون مع النساء للتوعية؟

● عبر مجموعات على الواتس آب نبث فيديوهات للتوعية، أما الدعم الفردي فيتم عبر الهاتف.

○ كمسؤولة في جمعية تختص بقضايا النساء ماذا تقولين عن الفيديوهات التي تناولت الأسرة من زوجات وأزواج خلال الحجر؟

● علمت بكم كبير من الناكت في هذا المجال ولم يصلني أي منها بشكل مباشر. ردي هو للأسف أن التنمر على أوضاع إنسانية نعيشها، أو على اشكاليات نمر بها ربما تكون في أحيان من باب التخفيف، لكنها تخلق مشاكل وأزمات لدى بعض الأشخاص. حتى وإن رسمت تلك الناكت بسمة على وجوهنا في بعض الأحيان، إنما زيادة التنمر على مواضيع معينة قد يتسبب بأذى وخلق أزمة على المدى البعيد.

○ مع إقرار بعض القوانين لحماية النساء من العنف هل تبدل أمر ما؟ هل بات الرجل يخشى التعرض لزوجته بالضرب؟

● للأسف نلمس أن النساء يعشن غياب الثقة في تنفيذ القوانين. غياب هذه الثقة بين النساء والضابطة العدلية أو من هم معنيون بإنفاذ القوانين يبعد النساء عن اللجوء إلى القضاء. ولهذا نرى استمرار الجريمة واستمرار العنف، وهذا قائم في كافة الدول. إذا العنف ضد المرأة لا يزال موجوداً والمعنِّف يرتكب ما يريده بحق ضحيته. لهذا قد تشكل تلك القوانين رادعاً للبعض. وثمة شخصيات من المعنفين تفتقد للرادع الداخلي وهؤلاء يعرفون بالشخصيات النرسيسية. الرادع الوحيد لهذا النوع من الشخصيات الصورة الخاصة بكل فرد، وإن هي اهتزت للحظة فهذا ما يحوله سريعاً لشخص عنيف جداً.

○ لنتعرف إلى جيهان إسعيد ولماذا اخترت هذا النوع من العمل؟

● أعمل أخصائية اجتماعية، نلت إجازة جامعية في الإشراف الصحي الاجتماعي من كلية الصحة في الجامعة اللبنانية. بدأت العمل في سنة 2004 حيث تنقلت بين عدة جمعيات أهلية. وأعمل في جمعية «أبعاد» منذ سبع سنوات.

○ كم تتأثرين بأوضاع النساء المعنفات وهل لك قدرة الفصل بينها وبين حياتك الخاصة؟

● مع تقدم الزمن في هذا النوع من العمل ومع اكتساب الخبرة تصبح إمكانية الفصل أكبر. بالتأكيد نحن بشر ونتأثر، وخاصة في ظل وجود أوضاع لبشر تهز كيان الإنسان من داخله. وأيضاً أكرر بأن أحدنا يتعلم درساً من كل وضعية إنسانية يكون في مواجهتها. ويعرف من أين يعمل على ذاته ليمكن نفسه ويحصنها من أجل متابعة رسالته، وهذا ما نقوم به على الدوام.

مبدعون وكتاب تونسيون يواجهون الحجر المنزلي بتشجيع المطالعة

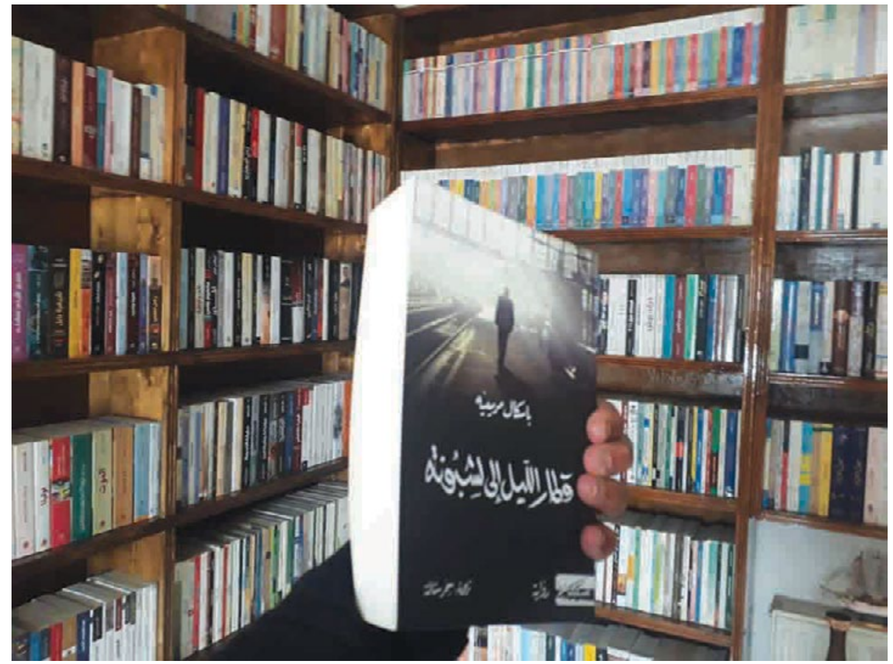

تونس ـ «القدس العربي»: روعة القاسم

لم يمنع فيروس كورونا عديد المبدعين والكتاب والشعراء التونسيين من مواصلة أنشطتهم الثقافية والفنية والفكرية من خلف جدران العزل المنزلي، وأدواتهم في ذلك هي الشبكات العنكبوتية ووسائل التواصل الاجتماعي التي يمكن أن تقدم بديلا مؤقتا للقراء والمتابعين والمهتمين بالشأن الثقافي.

وانخرطت جمعية «أحباء المكتبة والكتاب» في زغوان في مشاريع ثقافية عدة تسعى إلى تحفيز كل الشرائح العمرية والاجتماعية على المطالعة ومنها مشروع «متعة القراءة».

تقول محدثتنا الشاعرة والكاتبة التونسية ماجدة الظاهري نائبة رئيس جمعية «أحباء المكتبة والكتاب» في زغوان، إن هذه المبادرة انطلقت في السابق في الفضاءات المغلقة منها المبيتات الجامعية والمدرسية والمستشفى ونوادي الأطفال والسجن.

وتقول لـ «القدس العربي»: «كانت تجربتي في ورشة المطالعة في السجن استثنائية وتواصلت في زمن كورونا وتحولت صفحة الجمعية إلى منصة ثقافية للتعريف بالكتب وتقديمها من خلال فيديوهات وروابط للتحميل. وتمت دعوة الكتاب إلى المساهمة، فكانت الاستجابة من تونس ودول عربية عدة، فلاقت هذه التجربة استحسان الكثيرين وهناك من نسج على منوالها لأهميتها في هذا الوقت».

وتؤكد أن اليوم كما نحتاج للعلم لإنقاذ البشرية من هذه الجائحة، فإننا نحتاج أيضا للثقافة لترميم النفوس من الخوف والشك، وبذلك يقف المثقف في صفوف المدافعين عن الحياة، والكتاب يمكن أن يكون كمامة للعقل على حد قولها. ولم تكتف الشاعرة ماجدة الظاهري فقط بهذه المبادرة بل قامت أيضا وفي محيط سكنها، بتشجيع جيرانها على القراءة من خلال تقديم أحدث نتاجاتها الشعرية كهدية لمن يحب وُضعت في كيس معقم كل أمام منزله. وعن هذه التجربة تضيف: «لقد فرض علينا الوضع الصحي نمطا جديدا في الحياة ومنها الالتزام بالبقاء في البيت، وهذا ما فرض صعوبات أمامي، فأنا معتادة على الخروج للمشاركة في الفاعليات الثقافية والأمسيات الشعرية. لذلك خطر في بالي ان أنشر دعوة لمن يحب اقتناء ديواني الجديد على صفحة نقابة الإقامة فلقيت الدعوة استحسان الكثيرين. قمت برفقة ابنتي بضبط عناوين الشقق للراغبين في تسلم الديوان هدية مني وقمنا بتعقيم الأكياس ووضعنا فيها كتابين وخرجت لتوزيعها بعد أخذ كل الاحتياطات اللازمة». وتضيف: «لم أكن أتصور كم الفرحة من هذه المبادرة والتي عبر لي عنها جيراني حين تسلموا الكتب أو من خلال صفحتي على فيسبوك وصفحة نقابة الإقامة».

جسور التواصل

أما الشاعر والكاتب الصحافي ناجي بن جنات فحاول بطريقته الخاصة تشجيع المتابعين على القراءة من خلال عرض عناوين لكتب ومؤلفات مختلفة تونسية وعربية وعالمية كل ليلة، تعرّف بالكتب ومواضيعها وذلك على صفحته الخاصة على فيسبوك. ويوضح لـ «القدس العربي»: «أكدت فترة الحجر الصحي الطارئة التي حتمها وباء كورونا الحاجة القصوى إلى الثقافة بكل مجالاتها وأنماطها لتأثيث مساحات الفراغ الهائلة التي فرضتها الأزمة المستفحلة فوق الأرض. وقد وجدت في الكتاب ذلك المضاد الحيوي الفعال لمواجهة الحجر الصحي، واكتشفت أن مكتبتي المنزلية التي تعد حصاد عمري، تظل إحدى الحقائق الكبرى في حياتي في وجه عواصف القدر» ويتابع: «لقد اخترت في هذه الفترة أن أمد جسور التواصل مع الأصدقاء من خلال تقديم مقترحات للكثير من العناوين في شتى مجالات الثقافة أضعها كل يوم على صفحتي على فيسبوك حتى يستعين بها هواة المطالعة. العناوين التي أقترحها تنتمي إلى حقول الأدب بامتياز عبر مختارات واسعة من الأدب العربي والعالمي. ولا شك أن هذا المسعى يعد واحدا من السبل المثلى لاستثمار فترة الحجر الصحي بما ينفع الناس وينمي العقول ويمنح النفوس بارقة الأمل المنشود في هذا المنعطف الخطير الذي تعيشه البشرية».

ظاهرة «مبدعون في الحجر»

من جهة أخرى لفتت ظاهرة «مبدعون في الحجر» التي أطلقتها إدارة المطالعة العمومية تحت إشراف وزارة الشؤون الثقافية في تونس اهتمام عديد الفاعلين الثقافيين، وهي موجهة إلى كلّ المهتمين بالكتب والمولعين بالقراءة للمشاركة في المسابقة التي ستقوم عليها «مبدعون في الحجر» من 10 نيسان/أبريل إلى غاية 30 أيار/مايو. واكد القائمون على هذه التظاهرة أن المبادرة صدرت من وزارة الشؤون الثقافية وإدارة المطالعة العمومية للاشتغال على المحامل الرقمية في فترة الحجر الصحي ومحاولة إيصال منتوج ثقافي حقيقي يتوجّه إلى العائلة التونسية ويوفّر لها مادّة تساعدها أثناء فترة الحجر الذي تعيشه البلاد.

ويؤكد الياس الرابحي مدير إدارة المطالعة العمومية لـ «القدس العربي» ان إدارة المطالعة ارتأت تبعا لإعلان الحجر الصحي العام وما نتج عنه من غلق لجميع مؤسسات العمل الثقافي، ومن أجل المحافظة على نشر ثقافة الكتاب والمطالعة وتوطيد العلاقة مع رواد المكتبات العمومية، أن تنظم هذه التظاهرة الثقافية بهدف إنتاج مضمون ثقافي رقمي تتفاعل فيه شرائح عمرية مختلفة في إطار العائلة معتمدة في ذلك على الكتاب بمختلف المحامل المتاحة. وحسب الرابحي فإن هذه التظاهرة التي تحمل عنوان «مبدعون في الحجر» تتكون من محطتين، من مسابقة في الحكي والخرافة الشعبية ومسابقة في إنتاج قصة رقمية تفاعلية يتشارك فيها أفراد العائلة إعدادا وتنفيذا وإخراجا. ويعتمد في المسابقتين على تقسيم المشاركين لفئات عمرية ثلاث (من 0–4 سنة ومن 5–8 سنة ومن 9 سنة فما فوق) وتختتم هذه التظاهرة بحفل تتويج للفائزين (05 عن كل فئة عمرية) بجوائز تشجيعية ومالية هامة بفضاء المطالعة في مدينة الثقافة في النصف الثاني من سنة 2020.

ومن أجل إنجاح هذه التظاهرة الثقافية الهامة يوكل إلى مديري المكتبات الجهوية والمكتبات العمومية مجموعة من المهام التي تتمثل في الإعلان عن التظاهرة في صفحات المكتبات الراجعة لهم بالنظر وكل وسائل الاتصال المتاح، والاتصال برواد المكتبات من خلال بيانات الاتصال الموجودة على بطاقات اشتراكهم.

أما مسابقة الحكي والخرافة، فتتمثل في تقديم قصة أو خرافة من وحي خيال المشارك أو من المخزون الثقافي التونسي أو العالمي ككحكايات العروي مثلا أو غيرها تقدم باللغة العربية أو غيرها. ويمكن للمشارك ارتداء ملابس تحيي التراث التونسي أو إعداد ديكور خاص بالحكاية المقدمة أو مرافقة موسيقية أو غيرها، كما يمكن لكل أفراد العائلة المساهمة في العمل المنجز على أن تسجل المحاولة باسم المشارك.

وتجدر الإشارة إلى أنه ستقيم الأعمال من قبل لجنة تحكيم خاصة بالمسابقة كما سيؤخذ في عين الاعتبار عدد مرات الإعجاب والمشاركة والتعليقات للعمل المنشور على الصفحة.

أما مسابقة القصة الرقمية التفاعلية، فتتمثل في إنتاج قصة رقمية تفاعلية من وحي خيال المشارك أو بالاعتماد على الكتب والقصص والدوريات على اختلاف محاملها تقدم باللغة العربية أو غيرها. ويمكن أن يكون العمل المقدم نتاج تفاعل عائلة كاملة بمختلف أفرادها وتسجل المحاولة باسم العائلة اختياريا حسب رغبتهم. وسيحصل الفائزون جوائز تشجيعية ومالية وهي مفتوحة للشرائح العمرية من الأطفال إلى الشباب والكهول. وستختتم التظاهرة بحفل تتويج في فضاء المطالعة بمدينة الثقافة في النصف الثاني من العام 2020.

«فالانتينو» و«سُكر زيادة» رهان النجوم الكبار على المستحيل!

كمال القاضي

في مفاجأة من العيار الثقيل جاء الإعلان عن مسلسلات الكبار، ليبدد الشكوك حول انتهاء العمر الافتراضي للنجومية، طالما بقيت الفرصة سانحة أمام أصحاب التاريخ الفني الطويل ليثبتوا أنهم قادرون على العطاء ولديهم الاستعداد للمنافسة في أكبر المواسم الدرامية وأقواها، وليس أدل على ذلك من عودة النجم عادل إمام ليتصدر المشهد بواحد من الأعمال الرئيسية بعنوان يشير إلى دونجوانية الفنان وحيويته وقدرته الفائقة على التأثير العاطفي الرومانسي مُختصراً كل المعاني الايجابية في اسم «فالانتينو» حيث توحي الدلالة الضمنية المعهودة للعنوان بجو المغامرات وحالة الحب المتخيلة عن القصة وإسهام البطل فيها بشكل يدعو إلى تجديد الشباب والابتعاد عن الإحساس بالشيخوخة.

ولأن هناك رغبة قوية في التمسك بأهداب النجومية وعدم الاعتراف بفرضيات المراحل الزمنية وما تتركه من آثار وبصمات، فقد اجتمعت حسناوات السينما ورائدات المسرح للظهور في وقت واحد بعمل درامي واحد، وكما كان عنوان «فالانتينو» دالاً على التحدي في مسلسل عادل إمام، جاء «سُكر زيادة» أيضاً ليمثل ذات المفارقة الكوميدية ما بين أعمار البطلات الأربع وأدوارهن الخفيفة في إعجاز لا يتحقق إلا مع نبيلة عبيد ونادية الجندي وسميحة أيوب وهالة فاخر، إذ لا تتناسب مكانة الواحدة منهن ولا إمكانياتها مع فكرة التجريب، وهو موطن الإعجاز الكوميدي بالفعل لنجمات لم يتخصصن في هذا اللون الإبداعي ولم يقدمن قبل ذلك ما يدل على أن عملهن الفارق «سُكر زيادة» هو امتداد لمسيرتهن في هذا الاتجاه، باستثناء واحدة فقط هي هالة فاخر التي يمكن اعتبارها صاحبة تجارب في مجال الإبداع النوعي الخفيف. لقد لعبت كل من نادية الجندي ونبيلة عبيد أدوار البطولة في العديد من الأفلام المصرية على مدار سنوات طويلة اقتربت من نصف قرن، وخاضت كل منهما معارك تنافسية شرسة للثبات على قمة النجومية، وقد كان لهن صولات وجولات مع الجمهور الذي امتدت طوابيره أمام دور العرض السينمائية لعشرات الأمتار تمنيا للحصول على تذكرة دخول لحجز مقعد بالصالة أو البلكون أو اللوج للاستمتاع بطلة إحداهن على الشاشة كأنه على موعد مع ملكة من ملكات الجمال والدلال والأنوثة. وعاشت النجمتان الكبيرتان أزهى أيامهما في ظل نشوة الإحساس بالنجاح والشهرة والنجومية الكاسحة، وارتفعت أسهمهن وزادت أجورهن بفعل هذا التهافت الجماهيري الكبير.

عادل إمام

ومثلهن تمتعت سميحة أيوب بالجلوس على عرش المسرح المصري والعربي ردحاً من الزمن فهي صاحبة العصمة والمقام كنجمة وممثلة ومسؤولة كبيرة، فيها من سمات القيادة ما يوفر لها الهيبة والشموخ والرسوخ، ولها من المعجبين والمريدين قاعدة شعبية عريضة. وليس لهالة فاخر مكانة أقل، بل أنها تتميز بخفة الظل والحضور ولها كذلك في المسرح والسينما والتلفزيون باع طويل، وهو ما يجعل من الوقوف عند اختيار النجمات الكبيرات لأدوارهن في المسلسل الجديد موضعاً للتساؤل، لا سيما وأن عملية الجمع بينهن في عمل فني واحد أمر لا يُستهان به، فإما أن يكون المقصود هو الاستثمار للأسماء اللامعة والأرصدة التاريخية المتراكمة لهن من النجاح، وبهذا تصبح العملية ربحية تجارية محضة، أو يكون الجمع بينهن جاء من باب التوفير الاقتصادي والمحافظة على الميزانية الإنتاجية في ضوء سياسة الكل في واحد، واستغلال انحسار الأضواء عن البطلات وميلهن للظهور مجدداً على الشاشة في أي أدوار وبأي شكل، وهو ما يمثل ظُلماً بيناً للمواهب والقامات الكبيرة ويعد تبديداً لطاقاتهن الحقيقية بسوء التوظيف الفني داخل إطارات كوميدية غير مقنعة لا تناسب قدرهن ولا تشبه إبداعهن السابق.

وفي كل الأحوال وأيّ ما كانت الحسابات الخاصة بجهة الإنتاج أو المخرج وائل إحسان فإن العبرة ستكون بالنتيجة المنتظرة التي ستتوقف بالقطع على الحبكة الدرامية للعمل الذي كتبه أمين جمال بالتعاون مع إبراهيم محسن، حيث تفنن الاثنان في رسم الشخصيات والمحاور وتحديد الفكرة المبتكرة للبطلات الأربع اللائي تستدعي الأحداث إقامتهن سوياً في فيلا بعد وقوعهن في عملية نصب من بعض المحتالين وتعرضهن لضغوط أخرى للحيلولة دون بقائهن في الفيلا بشكل مستقل طمعاً في السطو عليها باعتبار السيدات الأربع ضعيفات ومهيضات الجناح، وعلى هذا المنوال تدور الأحداث بإيقاع مثير وجذاب حسب المستهدف والمأمول.

لدمجها في احتفالات «الاستقلال»

فنانة فلسطينية من يافا ترفض جائزة الأكاديمية الإسرائيلية للتلفزيون لأفضل ممثلة عن مسلسل «الفتيان»

الناصرة ـ «القدس العربي»:

رفضت فنانة فلسطينية من الداخل تسلم جائزة أفضل ممثلة عن مسلسل «الفتيان» من الأكاديمية الإسرائيلية للتلفزيون علماً انه سيتم اقصائها مستقبلاً عن أي عمل بسبب رفضها تزامناً مع احتفالهم بالاستقلال لتقول لهم أنا فلسطينية. في رسالة عممتها قالت ربى بلال عصفور الفنانة الفاعلة في مسرح الحياة في مدينة الرملة إنها تتنازل عن جائزة أفضل ممثلة في مسابقة الأكاديمية الإسرائيلية للتلفزيون. يشار إلى أن شركة الإنتاج العالمية «اتش بي او» قد عرضت مشروعا فنيا يشارك فيه جانبان إسرائيلي وفلسطيني يأتي كل منهما بمقاطع من روايته ومسلسل «الفتيان» يتحدث عن قتل المستوطنين الإسرائيليين الثلاثة وعن قتل الطفل الفلسطيني محمد خضير حرقا. وقد أوضحت رؤيتها في رسالة قالت فيها «أنا الموقعة أدناه ربى بلال عصفور، أتوجه بهذا للأكاديمية الإسرائيلية للتلفزيون للتنازل المعنوي والمادي عن جائزة أفضل ممثلة عن دوري في مسلسل (فتيان) والتي مُنحت لي من قبل الأكاديمية يوم 29 أبريل/نيسان، علماً وكما هو متبع فقد تم ترشيحي من خلالكم. إن تقديمي لدور أم الشهيد محمد أبو خضير في المسلسل الذي أنتجته شركة اتش بي أو، العالمية، هو محاولة مني لنقل صورة الألم والمعاناة والصراع الفلسطيني للعالم، وفضح جرائم الاحتلال الإسرائيلي. بالمقابل اختارت الأكاديمية الإسرائيلية للتلفزيون هذا العام نقل أسماء الفائزين بمسابقتها كجزء من احتفالات استقلال دولة إسرائيل، والتي بالتأكيد تمثل بالنسبة لي احتفالا بالظلم التاريخي والنكبة المستمرة التي مر ويمر بها شعبي الفلسطيني. لقد عشت ألماً لا يوصف أثناء تصوير قصة الشهيد أبو خضير، عدت كل يوم لأطفالي ولم أستطع احتضانهم بسبب بشاعة ما مر به هذا الشهيد وعائلته، وذات تلك البشاعة يمر بها الأطفال الأسرى والشهداء يومياً. كفنانة فلسطينية ناشطة، أعيش يومياً تخبطات أخلاقية كثيرة لها علاقة باختيار الأدوار والمشاريع التي أشارك بها، بحثاً عن عدم تقديم تنازلات أخلاقية تمس بشعبي وقضيتي ودوري الإنساني، وليس هذا بالأمر بالسهل مع خصوصية وجودنا ضمن محيط إسرائيلي منشغل بقمع كل صوت ينادي بالسلام وإنهاء الاحتلال. أشكر من صميم قلبي كل من صوت لي وآمن وصدق وتعاطف مع ما قدمت من خلال دوري في مسلسل فتيان، لقد كان دوري البسيط هو قيامي بواجبي الأخلاقي ومساهمتي بإيصال قصة شهيد الفجر للعالم أجمع وهذا أكبر تقدير. أعلم جيدا انه سيكون لقراري هذا ثمن كبير كما تعودت، ولكني أفتخر بأنني أحمل قضيتي الإنسانية ومقولتي السياسية واختياراتي الصادقة. تحية حب ومشاركة بالألم مع أم الشهيد أبو خضير، وعميق شكري وامتناني لكل من ساهم بصنع هذا المسلسل».

ربى بلال عصفور

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) ✻ فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أشارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
✻ هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
✻ هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 ✻ هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk ✻ www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) ✻ Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco ✻ Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 ✻ Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الثانية والثلاثون العدد 9893 الأحد 3 آيار (مايو) 2020 – 10 رمضان 1441 هـ
Volume 32 - Issue 9893 Sunday 3 May 2020

زيادة في مبيعات اختبارات الحمل منذ بدء الحجر الصحي في فرنسا

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

لاحظ المرصد الفرنسي الخاص بالمبيعات في السوبرماركتات الكبيرة ارتفاعاً واضحاً في مبيعات اختبارات الحمل في البلاد منذ بدء الحجر الصحي الساري بهدف الحد من تفشي فيروس كورونا؛ مقابل انخفاض واضح في مبيعات العوازل الطبية الذكرية خلال الفترة ذاتها. فهل تشهد البلاد موجة ولادات جديدة في الأشهر المقبلة؟

ويوضح المرصد، أنه قبل بدء فرض الحجر الصحي المنزلي في 17 نيسان/ابريل المنصرم، كانت مبيعات هذين المنتجين تزداد بشكل منتظم (اختبار منع الحمل ـ الواقي الذكري)؛ لكن منذ ذلك التاريخ، بدأت مبيعات العوازل الطبية تتباطأ، قبل أن تتراجع تماماً مع مرور الأيام بنسبة 26 في المئة.

في موازاة ذلك؛ شهدت مبيعات اختبارات الحمل زيادات واضحة مقارنة بفترة ما قبل فرض الحجر الصحي المنزلي، حيث بلغت في الأيام الأخيرة 37 في المئة. غير أن شراء النساء لاختبارات الحمل، بشكل متزايد هذه الفترة، ليس بالضرورة لرغبتهن في الولادة، ولكن لأن الحجر أحدث اضطرابات في دورتهن الشهرية.

ففي بداية شهر نيسان/ابريل المنصرم، أظهرت نتائج استطلاع أجرته الصحافية والممثلة الفرنسية أوفيدي البالغة من العمر 39 عاماً على تويتر، أن 40 في المئة ممن شاركن في الاستطلاع، أكّدن أن دورتهن الشهرية لم تكن طبيعية، بينما غابت الدورة الشهرية تماماً لدى 16 في المئة منهنّ.

وقامت نسوة لم يكن ترغبن بالحصول على أطفال بشراء اختبارات الحمل حتى لا يخاطرن بتجاوز الفترة المحددة للإنهاء الطوعي للحمل، حتى وإن كانت هذه الفترة قد تم تمديدها في ظل سريان الحجر الصحي.

ويبدو أن العوازل الذكرية (الكندوم أو الكبُّوت) التي تم شراؤها بأعداد كبيرة في بداية الحبس، لم يتم استخدامها دائمًا كوسائل لمنع الحمل! كما أن هذه المنتجات التي نفدت في بعض الأحيان، تم شراؤها تارةً من قبل أفراد لاستخدامها كغطاء للأصابع عند لمس أزرار المصاعد ورموز رقمية أخرى.

وإذا كانت هذه الظاهرة تطرح تساؤلات، فإن من الصعب فعلا أن نتوصل إلى نتيجة قاطعة أن ستكون هناك موجة في معدلات الولادات مستقبلاً المعروفة «Baby-boom» كما توقع ذلك مدير العام لشركة إيكيا السويدية، نقلا عن وكالة رويترز للأنباء.

«بيلا تشاو ـ يا حلوة وداعًا»

فنانة فلسطينية تشارك في نسخة جديدة من أغنية المقاومة الإيطالية مع ستة فنانين من العالم

الناصرة ـ «القدس العربي»: وديع عواودة

تشارك فنانة فلسطينية شابة من أراضي 48 في أغنية عالمية مع ستة فنانين آخرين من قوميات مختلفة في طبعة جديدة من أغنية تراثية إيطالية تتبنى لحنها وتعتمد نصا جديا لها بإشراف موسيقار إيطالي. والحديث يدور عن أغنية «يا حلوة وداعا» (بيلا تشاو) القائمة على فكرة المقاومة وهي أغنية تراثية في إيطاليا أصبحت نشيدا عالميا ضد الفاشية. وتظهر في هذه النسخة صور من مسيرات العودة في قطاع غزّة التي بدأت مع «يوم الأرض» في 30 آذار/مارس وتوالت مذاك كل يوم جمعة، مخلّفة أكثر من 135 شهيداً و15 ألف جريح، وتميزت بمشاركة نسائيّة عالية. وفي الفيديو صور لرزان النجار، المسعفة من خان يونس، ووصال شيخ خليل من مخيم البريج، اللتين قنصهما جنود إسرائيل فأرديتا شهيدتان.

وتوضح الفنانة الشابة سماح مصطفى لـ «القدس العربي» أن النسخة الجديدة من هذه الأغنية الجديدة تتفرع من أغنية فولكلورية إيطالية سبق واشتهرت ضمن مسلسل تلفزيوني. وقالت إن زميلا إيطاليا يدعى توما سوبرينو بادر في الشهر الماضي لإنتاج أغنية بنسخة جديدة في صلبها فكرة المقاومة بذات اللحن يشارك فيها مغنون من سبع دول، كل منهم يحمل فكرة وهم من اسبانيا واليونان والسينغال وإيطاليا وألبانيا والبرازيل وفلسطين. وتم إطلاق الأغنية في 25 نيسان/ابريل تزامنا مع يوم استقلال إيطاليا في منتديات التواصل الاجتماعي وبعض القنوات ووسائل الإعلام الإيطالية والأجنبية. وتنوه أن اللحن هو نفس لحن أغنية «بيلا تشاو» الإيطالية، لكن نص الأغنية الجديدة كل مقطع تم تأليفه من قبل المشاركات والمشاركين. سماح المقيمة في قرية كوكب في الجليل وتعمل أيضا بالعلاج بالموسيقى علاوة على الغناء والتلحين بالتعاون مع زوجها الفنان الشاب أكرم عبد الفتاح تشارك في الأغنية العالمية الجديدة بمقطع تقول فيه: «يا وطني راجع لترابك راجع.. اتحدى الخوف اتحدى الموت بيلا تشاو ... وإن يوم نسينا، مجدك يروينا، يروينا يروينا حب وأمل جديد». منوهة إلى أن الأغنية في صلبها مقاومة لكنها تأتي مع فترة كورونا كعدوى عالمية وتشير أنه في الأصل عُرفت الأغنية «بيلا تشاو» في إيطاليا إبّان حقبة المقاومة ضد النازيّة والفاشية واعتمدتها حركة اليسار الإيطالي حينها نشيدًا لها، وهي بالأصل من الموروث الشعبي الإيطالي.

كلمات الأغنية

صباح يوم ما، أفقت من النوم
يا حلوة تشّاو، بيلا تشاو، بيلا تشاو، تشاو، تشاو
صباح يوم ما، أفقت من النوم
ورأيت وطَني محتلًا
يا رفيقة، احمليني بعيدًا
يا حلوة تشاو، بيلا تشاو، بيلا تشاو، تشاو، تشاو
يا رفيقة، احمليني بعيدًا
لأنّني سأموت
وإن متّ، كمقاوم
يا حلوة تشاو، بيلا تشاو، بيلا تشاو، تشاو، تشاو
إذا متّ، كمقاوم
فعليكِ دفني
أدفنيني، أعلى الجبال
يا حلوة تشاو، بيلا تشاو، بيلا تشاو، تشاو، تشاو
أدفنيني، أعلى الجبال
تحت ظل وردة
وإن مرّ، مرّ قومٌ
يا حلوة تشاو، بيلا تشاو، بيلا تشاو، تشاو، تشاو
إذا مرّ، مرّ قومٌ
سيقولون: ما أجمل الوردة
تلك وردة المقاوم
يا حلوة تشاو، بيلا تشاو، بيلا تشاو، تشاو، تشاو
تلك وردة المقاوم
الذي استشهد حرًا.